





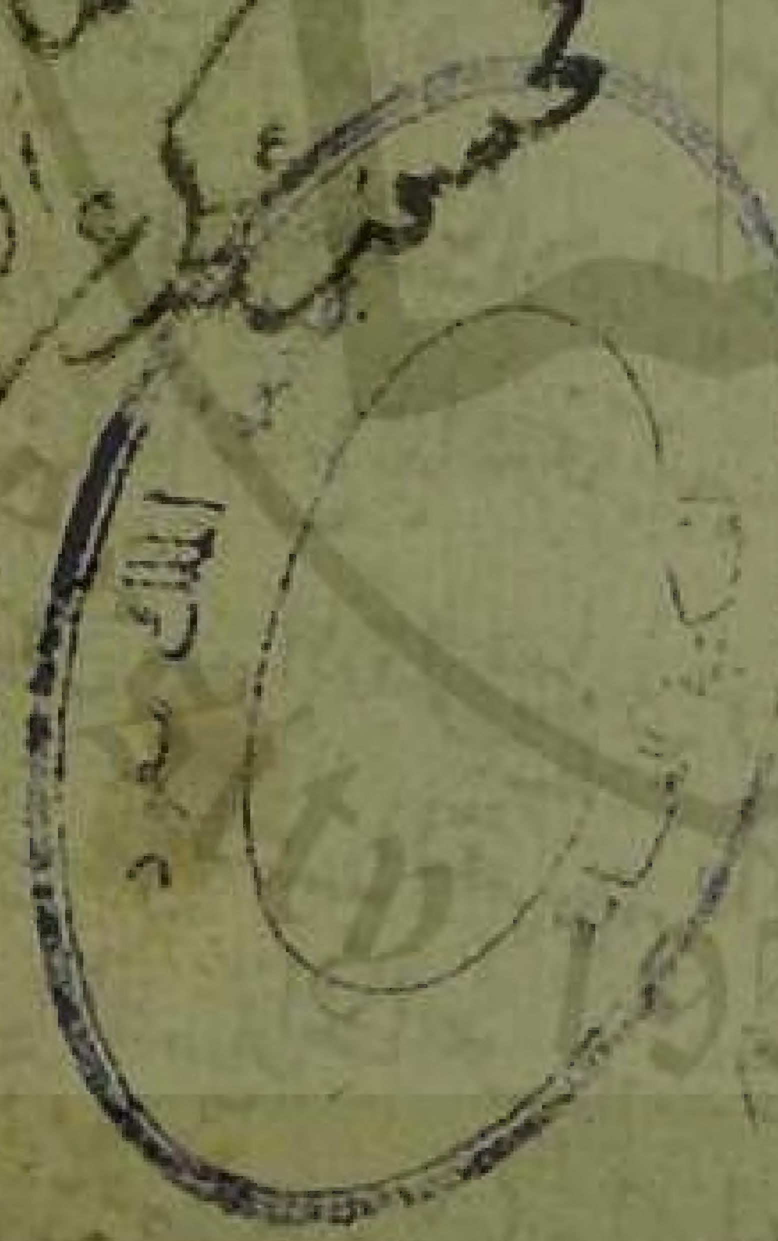
٢١٨
ص.ج (قيد) صيد الخاطر ، تأليف عبد الرحمن بن علي بن محمد
الجوزي القرشي ، البغدادي ، ابو الفرج (٥٠٨-
٥٩٧هـ) . كتبت سنة ١٢٢٢هـ.
٢٩١ ١٩٨ق ١٧س ٥ر٢٠×٥ر١٧ سم
نسخة جيدة ، خطها معتاد ، ورد بصفحة العنوان
انه - صيد الخاطر
الاعلام ٤ : ٨٩ ، رازا رمبور ٤ : ٥٦
١- الشعائر والتقاليد والاخلاق
الاسلامية أ- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي
-٥٩٧هـ. ب- تاريخ النسخ

كتاب صيد الخاطر

تأليف الإمام العالم الورع الزاهد
الصدر الكبير جمال الدين نجم الإسلام محي الإمام
زين الأئمة ناصر السنة أبي الفرج عبد الرحمن
بن علي بن محمد بن علي الجوزي عفى الله
عنه آمين آمين آمين
آمين آمين آمين آمين
آمين آمين آمين
آمين آمين آمين
آمين

دخل في حوز الفقير
[illegible] عبده عبد
ابن المرحوم [illegible]
[illegible] عفا الله عنه

ملك [illegible] العبد
محمد [illegible]







بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد واله . قال الشيخ الامام العالم ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي رحمة الله عليه . الحمد لله حمدا يبلغ رضاه وصلى الله على اشرف من اجتباه . وعلى من صاحبه ووالاه . وسلم تسليما لا يدرك منتهاه . لما كانت الخواطر تجول في تصفح اشيا تعرض لها ثم تعرض عنها فتذهب كان من اولى الامور حفظ ما يخطر كيلا ينسى وقد قال عليه السلام قيدوا العلم بالكتابة وكم قد خطر لي شي فاتشاغل عن اثباته فيذهب فاتاسف عليه ورايت من نفسي انني كلما فتحت بصر التفكر سنح لي من عجايب الغيب ما لم يكن في حساب فانثال عليه من كثب التفهيم ما لا يجوز التفريط فيه فجعلت هذا الكتاب قيدا لصيد الخاطر والله ولي النفع انه قريب مجيب .

فصل

قد تعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة فاذا انفصل عن مجلس الذكر عادت القساوة والغفلة فتدبرت السبب في ذلك فعرفته

ثم رايت الناس

ثم رايت الناس يتفاوتون في ذلك فالحالة العامة ان القلب لا يكون على صفته من اليقظة عند سماع الموعظة بعدها لسببين احدهما ان المواعظ كالسياط والسياط لا تولم بعد انقضايها ايلامها وقت وقوعها والثاني ان حالة سماع المواعظ يكون الانسان فيها مزاح العلة قد تخلى بجسمه وفكره عن اسباب الدنيا وانصت بحضور قلبه فاذا عاد الى الشواغل اجتذبته بافاتها وكيف يصح ان يكون كما كان وهذه حالة تعم الخلق الا ان ارباب اليقظة يتفاوتون في بقا الاثر فمنهم من يعزم بلا تردد ويمضي من غير التفات فلو توقف بهم ركب الطبع لضجوا كما قال حنظلة عن نفسه نافق حنظلة ومنهم اقوام يميل بهم الطبع الى الغفلة احيانا ويدعوهم ما تقدم من المواعظ الى العمل احيانا فهم كالسنبلة تميلها الرياح واقوام لا يوثر فيهم الا بمقدار سماعه كماء دحرجته على صفوان .

تقدم من المواعظ

فصل

جواذب الطبع الى الدنيا كثيرة ثم هي من داخل وربما ظن من لا علم له ان جواذب الاخرة اقوى لما يسمع من الوعيد في القران وليس كذلك لان مثل الطبع في ميله الى الدنيا كالماء الجاري فانه يطلب الهبوط وانما رفعه الى فوق يحتاج الى التكلف ولهذا اجابت معاون الشرع بالترغيب والترهيب يقوي جند العقل فاما الطبع فجواذبه كثيرة وليس العجب ان يغلب انما العجب ان يغلب .

فصل

من عاين بعين بصيرته تناهي الأمور في [illegible] بداياتها نال خيرها
ونجا من شرها ومن لم ير العواقب غلب عليه الحس فعاد عليه بالالم
ما طلب منه السلامة وبالنصب ما رجا منه الراحة وبيان هذا في
المستقبل تبين بذكر الماضي وهو انك لا تخلوا ان يكون عصيت
الله في عمرك او اطعته فاين لذة معصيتك واين تعب طاعتك
هيهات رحل كل بما فيه فليت الذنوب اذ تخلت خلت وازيدك
هذا بيانا مثل ساعة الموت وانظر الى مرارة الحسرات على
التفريط ولا اقول كيف تغلب حلاوة اللذات لان حلاوة اللذات استحالت حنظلا
فبقيت مرارة الاسى بلا مقاوم أتراك ما علمت ان الامر بعواقبه فراقب العواقب
تسلم ولا تمل مع هوى الحس فتندم
فصل من تفكر في عواقب الدنيا اخذ الحذر ومن
ايقن بطول الطريق تاهب للسفر ما اعجب امرك يا من يوقن بأمر ثم ينساه
ويتحقق ضرر حال ثم يغشاه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه تغلبك نفسك
على ما تظن ولا تغلبها على ما تستيقن أعجب العجائب سرورك بغرورك وسهوك
في لهوك عما قد خبي لك تغتر بصحتك وتنسى دنو السقم وتفرح بعافيتك غافلا عن
قرب الالم لقد اراك مصرع غيرك مصرعك وابدا مضجع سواك قبل الممات مضجعك
وقد شغلك نيل لذاتك عن ذكر خراب ذاتك
كانك لم تسمع باخبار من مضى ... ولم تر في الباقين ما يصنع الدهر

خشاه

فان كنت

فان كنت لا تدري فتلك ديارهم ... محاها مجال الريح بعدك والقطر
كم رايت صاحب منزل ما نزل لحده حتى نزل وكم شاهدت والي قصر وليه
عدوه لما عزل فيا من هو في كل لحظة الى هذا يسري وفعله فعل من لا يفهم ولا يدري
شعر وكيف تنام العين وهي قريرة ... ولم تدر في اي المحلين تنزل
فصل من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة ومن ادعى الصبر وكل
الى نفسه ورب نظرة لم تناظر واحق الاشيا بالضبط والقهر اللسان والعين فاياك
اياك ان تغتر بعزمك على ترك الهوى مع مقاربة الفتنة فان للهوى مكايد وكم
من شجاع في صف الحرب اغتيل فاتاه ما لم يحتسب ممن يانف من النظر
اليه واذكر حمزة مع وحشي
شعرا
فتبصر ولا تشم كل برق ... رب برق فيه صواعق حين
واغضض الطرف تسترح من غرام ... تكتسي فيه ثوب ذل وشين
فبلاء الفتى موافقة النفس ... وبدو الهوى طموح العين
فصل أعظم المعاقبة أن لا يحس المعاقب بالعقوبة واشد من ذلك نقع السرور
بما هو عقوبة كالفرح بالمال الحرام والتمكن من الذنوب ومن هذه حاله
لا يفوز بطاعة واني تدبرت احوال اكثر العلما والمتزهدين فرايتهم
في عقوبات لا يحسون بها ومعظمها من قبل طلبهم للرياسة فالعالم منهم
يغضب ان رد عليه خطاوه والواعظ متصنع بوعظه والمتزهد منافق او
مراي فاول عقوباتهم اعراضهم عن الحق شغلا بالخلق ومن خفي عقوباتهم سلب

أعظم

نسخه نوقع السرور بما هو عقوبه

حلاوة المناجاه ولذة التعبد ولولا رجال مومنون ونسا مومنات يحفظ الله
بهم الارض بواطنهم كظواهرهم بل احلى وسرايرهم كعلانيتهم بل اجلى وهممهم عند
الثريا بل اعلا ان عرفوا تنكروا وان رويت لهم كرامة انكروا فالناس في غفلاتهم
وهم في قطع فلاتهم تحبهم بقاع الارض وتفرح بهم املاك السما نسال الله عز
وجل التوفيق لاتباعهم وان يجعلنا من اتباعهم **فصل** من علامة كمال العقل
علو الهمة والراضي بالدون دني شعر

ولم ار في عيوب الناس شيا ... كنقص القادرين على التمام

فصل سبحان من سبقت محبته لاحبابه فمدحهم على ما وهب لهم واشترى
منهم ما اعطاهم وقدم المتاخر من اوصافهم لموضع ايثارهم فباهى بهم في
نومهم واحب خلوف افواههم بالها من حالة مصونة لا يقدر عليها كل خاطب ولا
يبلغ كنه وصفها خاطب **فصل** الواجب على العاقل اخذ العدة للرحيل
فانه لا يعلم متى يفجاه امر ربه ولا يدري متى يستدعى واني رايت خلقا
كثيرا غرهم الشباب ونسوا فقد الاقران والهاهم طول الامل وربما
قال العالم المحصن لنفسه اشتغل بالعلم ثم اعمل به فيتساهل في الزلل بحجة
الراحة ويوخر الاخذ لتحقيق التوبة ولا يتحاشى من غيبة او سماعها ومن
كسب شبهة يومل ان يمحوها بالورع وينسى ان الموت قد يبغت فالعاقل
من اعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه فان بغته الموت رؤي مستعدا وان

بلغ مقابلة

نال الامل

نال الامل ازداد خيرا **فصل** خطرت لي فكرة فيما يجري على كثير من العالم من
المصايب الشديدة والبلايا العظيمة التي تتناهى الى نهاية الصعوبة فقلت سبحان
الله ان الله اكرم الاكرمين والكرم يوجب المسامحة فما وجه هذه المعاقبة
فتفكرت فرايت كثيرا من الناس في وجودهم كالعدم لا يتصفحون ادلة
الوحدانية ولا ينظرون في اوامر الله تعالى ونواهيه بل يجرون على عاداتهم
كالبهايم فان وافق الشرع مرادهم قبلوه والا فمعولهم على اغراضهم وبعد
حصول الدنيا لا يبالون امن حلال كان ام من حرام وان سهلت عليهم الصلوة
فعلوها وان لم تسهل تركوها وفيهم من يبارز بالذنوب العظيمة مع
نوع معرفة الناهي وربما قويت معرفة عالم منهم وتفاقمت ذنوبه فعلمت
ان العقوبات وان عظمت دون اجرامهم فاذا وقعت عقوبة لتمحص ذنبا
صاح مستغيثهم ترى هذا باي ذنب وينسى ما قد كان مما تتزلزل الارض
لبعضه وقد يهان الشيخ في كبره حتى ترحمه القلوب ولا يدري ان ذلك
لاهماله حق الله تعالى في شبابه فمتى رايت معاقبا فاعلم انه لذنوب
فصل تاملت التحاسد بين العلما فرايت منشاه من حب الدنيا
فان علما الاخرة يتوادون ولا يتحاسدون كما قال عز وجل ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال تعالى والذين جاوا من بعدهم يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا

للذين امنوا وقد كان ابو الدردا يدعو كل ليلة لجماعة من اخوانه وقال
الامام احمد بن حنبل لولد الشافعي ابوك من الستة الذين ادعو لهم وقت السحر
والامر الفارق بين الفئتين ان علما الدنيا ينظرون في الرياسة فيها ويحبون
كثرة الجمع والثنا وعلما الاخرة بمعزل من ايثار ذلك وقد كانوا يتخوفونه
ويرحمون من بلي به وكان النخعي لا يستند الى سارية وقال علقمة اكره ان يوطا
عقبي ويقال علقمة وكان بعضهم اذا جلس اليه اكثر من اربعة قام عنهم
وكانوا يتدافعون الفتوى ويحبون الخمول ومثل القوم كمثل راكب البحر
وقد خب فعنده شغل الى ان يفوز بالنجاة وانما كان بعضهم يدعو
لبعض ويستفيد منه لانهم ركب تصاحبوا فتوادوا فالايام والليالي
مراحلهم الى سفر الجنة **فصل** من احب تصفية الاحوال فليجتهد في تصفية
الاعمال قال عز وجل وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا
وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل لو ان عبادي
اطاعوني لسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم
اسمعهم صوت الرعد وقال صلى الله عليه واله وسلم البر لا يبلى والاثم
لا ينسى والديان لا ينام وكما تدين تدان وقال ابو سليمن الداراني
من صفى صفي له ومن كدر كدر عليه ومن احسن في ليله كوفي في نهاره
ومن احسن في نهاره كوفي في ليله وكان شيخ يدور المجالس ويقول من سره

ومصداقه قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما والارض

ان تدوم له العافية

ان تدوم له العافية فليتق الله عز وجل وكان الفضيل بن عياض يقول اني
لاعصي الله فاعرف ذلك في خلق دابتي وجاريتي واعلم وفقك الله انه لا
يحس بضربه مبنج وانما يعرف الزيادة من النقصان المحاسب لنفسه ومتى
رايت تكديرا في حال فاذكر نعمة ما شكرت او زلة قد فعلت واحذر
من نفار النعم ومفاجاة النقم ولا تغتر بسعة بساط الحلم فربما عجل
انقباضه وقد قال الله عز وجل ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
بانفسهم وكان ابو علي الروذباري يقول من الاغترار ان تسي فيحسن
اليك فتترك التوبة توهما انك تسامح في الهفوات **فصل** تفكرت
يوما في التكليف فرايته ينقسم الى سهل وصعب فاما السهل فهو اعمال
الجوارح الا ان منه ما هو اصعب من بعض فالوضوء والصلوة اسهل من الصوم
والصوم ربما كان عند قوم اسهل من الزكوة واما الصعب فيتفاوت فبعضه
اصعب من بعض فمن المستصعب النظر والاستدلال الموصلان الى معرفة الخالق
فهذا صعب عند من غلب عليه امور الحس سهل عند اهل العقل ومن المستصعب
غلبة الهوى وقهر النفوس وكف الطباع عن التصرف فيما يوثره وكل هذا يهون
على العاقل النظر في ثوابه ورجا عاقبته وان شق عاجلا وانما اصعب التكاليف
واعجبها انه قد ثبتت حكمة الخالق عند العقل ثم نراه يقتر على العالم المقبل على العبادة
حتى يعضه الفقر بناجذه فيذل للجاهل في طلب القوت والغني الفاسق مع

الجهل حتى يفيض الدنيا عليه ثم تراه ينبغي الاجسام ويحكمها ثم ينقض بنا الشباب
في مبلغ امره وعند استكمال بنائه فاذا به قد عاد هشيما ثم تراه يولم الاطفال
حتى يرحمهم كل طبع ويقال له اياك ان تشك انه ارحم الراحمين ثم يسمع بارسال
موسى الى فرعون ويقال له اعتقد ان الله اضل فرعون واعلم انه ما كان لادم
بد من اكل الشجرة وقد وبخ بقوله وعصى ادم ربه وفي مثل هذه الاشيا تحير
خلق حتى خرجوا الى الكفر والتكذيب ولو فتشوا على سر هذه الاشيا لعلموا ان
تسليم هذه الامور تكليف العقل ليذعن وهذا اصل اذا فهم حصل السلامه
والتسليم نسال الله عز وجل ان يكشف لنا من الغوامض التي حيرت من ضل انه
قريب مجيب **فصل** ينبغي للانسان ان يعرف شرف زمانه وقدر وقته
فلا يضيع منه لحظة في غير قربة ويقدم الافضل فالافضل من القول والعمل
ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور عما يعجز عنه البدن من العمل كما جا
في الحديث نية المومن خير من عمله وقد كان جماعة من السلف يبادرون
اللحظات فنقل عن عامر بن عبد قيس ان رجلا قال له كلمني فقال له
امسك الشمس وقال ابن ثابت البناني ذهبت القن ابي فقال يا بني دعني
فاني في وردي السادس ودخلوا على بعض السلف عند موته وهو يصلي فقيل له
فقال الان تطوى صحيفتي فاذا علم الانسان انه وان بالغ في الجد فان
الموت يقطعه عن العمل عمل في حياته ما يدوم له اجره بعد موته فان

كان له شي

كان له شي من الدنيا وقف وقفا وغرس نخلا واجرى نهرا وسعى في تحصيل
ذرية تذكر الله بعده فيكون الاجر له او ان يصنف كتابا من العلم فان تصنيف
العالم ولده المخلد وان يكون عاملا بالخير عالما فيه فينقل من فعله ما يقتدي الغير
به فذلك الذي لم يمت. قد مات قوم. وهم في الناس احيا **فصل** رايت
من اعظم حيل الشيطان ومكره انه يخبط ارباب الاموال بالامال والتشاغل
باللذات القاطعة عن الاخرة واعمالها فاذا اهلكهم بالمال حريصا على جمعه
وحثا على تحصيله وامرهم بحراسته بخلا به فذلك من متين حبله
وقوي مكره ثم دقق في هذا الامر من دقايق الحيل الخفية ان خوف
من جمعه المومنين فنفر طالب الاخرة منه وبادر الغايب يخرج ما في
ما في يده ولا يزال الشيطان يحرضه على الزهد ويامره بالترك ويخوفه
من كثرة الكسب اظهارا للنصح وحفظ دينه وفي خفايا ذلك عجايب من مكره
وربما تكلم الشيطان على لسان بعض المشايخ الذين يقتدي بهم التايب فيقول
له اخرج من مالك وادخل في زمرة الجهلاء الزهاد ومتى كان لك غدا
وعشا فلست من اهل الزهد ولا تنال مراتب العزم وربما كرر عليه
الاحاديث البعيدة عن الصحة الموارده على سبب ولمعنى فاذا اخرج
ما في يده وتعطل عن مكاسبه عاد تعلق طمعه بصلة الاخوان او الحسن
عنده صحبة السلطان لانه لا يقوى على طريق الزهد والترك الا اياما

ثم يعود الطبع فيتقاضى مطلوباته فيقع في اقبح مما فر منه ويبذل اول الشح
في التحصيل دينه وعرضه ويصير متمسكا لاهبه ويقف في مقام اليد
السفلى ولو انه نظر في سير الرجال وسبلاتهم وتامل صحاح الاحاديث
عن رواياتهم لعلم ان الخليل عليه السلام كان كثير المال حتى ضاقت بلده
بمواشيه وكذلك لوطا عليه السلام وكثير من الانبيا عليهم السلام والجم
الغفير من الصحابه وانما صبروا عند العدم ولم يمتنعوا من كسب ما يحل لهم عليهم
ولا من تناول المباح عند الوجود وكان اكثرهم ابو بكر رضي الله عنه يخرج
للتجارة والرسول صلى الله عليه واله وسلم حي وكان اكثرهم يخرج فاضل
ما ياخذ من بيت المال ويسلم من فضل الحاجه الى الاخوان وقد كان عمر
لا يرد شيا ولا يسال واني تاملت على اكثر اهل الدين والعلم هذه الحاله
فوجدت العلم شغلهم عن المكاسب في بداياتهم فلما احتاجوا الى القوت
ذلوا وهم احق بالعز وقد كانوا قديما يكفيهم من بيت المال فضلات الاخوان
فلما عدم ما في هذا الاوان لم يقدر متدين على شي الا ببذل شي من
دينه وليته قدر فربما تلف الدين ولم يحصل له شي فالواجب على العاقل
ان يحفظ ما معه وان يجتهد في الكسب ليربح مداراة الظالم او مداهنة
جاهل ولا يلتفت الى ترهات المتصوفه الذين يدعون في الفقر ما يدعون
في الفقر الا مرض العجز وللصابر على الفقر ثواب الصابر على المرض اللهم الا ان

يكون جبان

يكون جبان عن التصرف مقنع بالكفاف فليس ذلك من مراتب الابطال
بل هو من مقامات الجبنا الزهاد واما المكاسب ليكون المعطي لا المعطا الجبنا
والمفضل لا المتصدق عليه فهي مراتب الشجعان الفضلا ومن تامل هذا علم
شرف الغنا ومخاطرة الفقر **فصل** تاملت احوال الفضلا فوجدتهم في
الاغلب قد بخسوا من حظوظ الدنيا ورايت الدنيا غالبا في ايدي النقايص فنظرت
في الفضلا فاذا هم يتاسفون على ما فاتهم مما ناله اولوا النقص وربما
تقطع بعضهم اسفا على ذلك فخاطبت بعض المتاسفين فقلت له ويحك تدبر
امرك فانت غالط من وجوه احدها انه ان كانت لك همه في طلب الدنيا
فاجتهد في طلبها تربح عدم التاسف على فوتها فان قعودك متاسفا
على ما ناله غيرك مع قصور اجتهادك غاية العجز والثاني ان الدنيا
انما تراد لتعبر لا لتعمر وهذا هو الذي يدلك عليه علمك ويبلغه فهمك
وما يناله اهل النقص من فضولها يوذي ابدانهم واديانهم فاذا عرفت
ذلك ثم تاسفت على فقد ما فقده اصلح لك كان تاسفك عقوبة لتاسفك
على ما تعلم المصلحه في بعده فاقنع بذلك عذابا عاجلا ان سلمت من العذاب
الاجل الثاني والثالث انك قد علمت بخس حظ الادمي في الجمله من مطاعم
الدنيا ولذاتها بالاضافة الى الحيوان البهيم لانه ينال ذلك اكثر مقدارا
مع امن وانت تناله مع خوف وقلة مقدار فاذا ضوعف حظك من ذلك

بلغ

لجنسك كان لاحقا بالحيوان البهيم من جهة انه شغله ذلك عن تحصيل
الفضائل وتحقيق الموت تحث صاحبه على نيل المراتب فاذا اثرت مع قلة
الفضول المخفق لنا عدت على ما علمت بالازراقة فت علمك ودللت على احتلاط
رايك **فصل** تاملت اقدام العلما بالعقاب على شهوات النفس المنهي عنها
فرايتها مرتبة تراحم الكفر لولا تلمح معنى وهوان الناس عند مواقعة
المحظور ينقسمون فمنهم جاهل بالمحظور انه محظور فهذا نوع عذر ومنهم
من يظن المحظور مكروها لا محرما فهذا قريب من الاول وربما دخل في
هذا القسم ادم صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم من يتاول فيغلط
كما يقال ان ادم عليه السلام نهي عن الشجرة بعينها فاكل من جنسها
لا من عينها ومنهم من يعلم التحريم غير انه غلبات الشهوة انسته تذكر
ذلك فشغله ما راى عما يعلم ولهذا لا يذكر السارق القطع بل
يغيب بكليته في نيل الحظ ولا يذكر راكب الفاحشة الفضيحة ولا الحد بل
ما راى يذهل عما يعلم ومنهم من يعلم الحظر ويذكره غير انه يعلم سعة العفو
وعموم التسامح يجعل في نفسه التوبة وان قدم المعصية كما قال اخوة
يوسف وتكونوا من بعده قوما صالحين فهذا مخاطر ولكنه استند
بالتوبة لانه راى عفو الكريم اعظم من ذنبه غير ان الاخذ بالحزم اولى
بالعاقل كيف وقد علم ان هذا الملك الحليم قطع اليد في ربع دينار

وهدم

٨

وهدم بنا الجسم المحكم بالرجم بالحجارة لاجل لذة ساعة وخسف ومسخ
واغرق **فصل** من تامل افعال الباري سبحانه راها على قانون العدل
وشاهد الجزا من اصل المجازى ولو بعد حين فلا ينبغي ان يغتر مسامح فالجزا
قد يتاخر ومن اقبح الذنوب التي قد اعد لها الجزا العظيم الاصرار على الذنب
ثم يصانع صاحبه باستغفار وصلوة وتعبد وعنده ان المصانعة تنفع
واعظم الخلق اغترارا من اتى ما يكرهه الله وطلب منه ما يحبه هو كما روي
في الحديث والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وتمامه ينبغي
للعاقل ان يترصد وقوع الجزا فان ابن سيرين قال عيرت رجلا فقلت
يا مفلس فافلست بعد اربعين سنة وقال ابن الجلا راني شيخ لي وانا
انظر الى امرد فقال ما هذا لكل من عمل خيرا او صح نيته فلينتظر جزاها الحسن
وان امتدت المدة قال الله عز وجل انه من يتق ويصبر فان الله لا
يضيع اجر المحسنين وقال عليه السلام من غض بصره عن محاسن امراة
اثابه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه فليعلم العاقل ان ميزان العدل لا
يحابي **فصل** تاملت احوال الصوفية والزهاد فوجدت اكثرها
منحرفا عن الشريعة بين جهل بالشرع وابتداع بالراي يستدلون بايات
لا يفهمون معناها وباحاديث لها اسباب وجمهورها لا يثبت فمن
ذلك انهم سمعوا في القران العزيز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ثم الحيوة

[illegible]

الدنيا لعب ولهو وزينة ثم سمعوا في الحديث الدنيا اهون على الله
من شاه ميته على اهلها فبالغوا في هجرها من غير بحث عن حقيقتها وذلك
انه ما لم يعرف حقيقة الشي فلا يجوز ان يمدح ولا ان يذم فاذا بحثنا
عن الدنيا رأينا هذه الارض البسيطة التي جعلت قرار المخلوق تخرج منها
اقواتهم ويدفن فيها امواتهم ومثل هذا لا يذم لموضع المصلحة فيه ورأينا
ما عليها من ما وزرع وحيوان كله لمصالح الادمي وفيه حفظ لسبب
بقايه ورأينا بقا الادمي سببا لمعرفته ربه وطاعته اياه وخدمته وما
كان سبب البقا العارف العابد يمدح ولا يذم فبان لنا ان الذم انما
هو لافعال الجاهل او العاصي في الدنيا فانه اذا اقتنى المال المباح وادى
زكوته لم يلم فقد علم ما خلف الزبير وابن عوف وغيرهما وبلغت صدقة
علي رضي الله عنه اربعين الفا وخلف ابن مسعود تسعين الفا وكان
الليث بن سعد يستغل كل سنة عشرين الفا وكان سفيان يتجر بمال
وكان ابن مهدي يستغل كل سنة الفي دينار وان اكثر من النكاح
والسراري كان ممدوحا لا ملوما فقد كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
زوجات وسراري وجمهور الصحابة كانوا على الاكثار من ذلك وكان
لعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه اربع حرائر وسبعة عشرة امة وتزوج ولده
الحسن نحوا من اربع مائة فان طلب التزوج للاولاد فهو الغاية في

التعبد

التعبد وان اراد التلذذ فمباح يندرج فيه من التعبد ما لا يحصى من
اعفاف نفسه والمراة الى غير ذلك وقد انفق موسى عليه السلام من عمره الشريف
عشر سنين في مهر بنت شعيب عليهما السلام فلولا ان النكاح من افضل الاشيا لما
ذهب كثير من زمان الانبيا فيه وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما خيار هذه الامة
اكثرها نسا وكان [illegible] جارية له وينزل في اخرى وقالت سرية الربيع بن خثيم
كان الربيع يع[illegible] المطعم فالمراد منه تقوية هذا البدن لخدمة الله عز وجل
وحق على ذي ا[illegible] بها التجمل وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ياكل ما وجد فان وجد اللحم اكله وياكل لحم الدجاج واحب الاشيا اليه الحلوى
والعسل وما نقل عنه انه امتنع من مباح وجي علي رضي الله عنه بفالوذج
فاكل منه وقال ما هذا قالوا يوم النيروز فقال نيرزونا كل يوم وانما يكره
الاكل فوق الشبع واللبس على وجه الاختيال والبطر وقد اقتنع اقوام بالدون
من ذلك لان الحلال الصافي لا يكاد يمكن فيه تحصيل المراد والا فقد لبس النبي
صلى الله عليه وآله وسلم حلة اشتريت بسبعة وعشرين بعيرا وكان لتميم
الداري حلة اشتريت بالف درهم يصلي فيها بالليل فجا اقوام فاظهروا
التزهد وابتكروا طريقة زينها لهم الهوى ثم تطلبوا لها الدليل وانما
ينبغي للانسان ان يتبع الدليل لا ان يتبع طريقا ويطلب دليلها ثم انقسموا
فمنهم متصنع في الظاهر ليث الشرى في الباطن يتناول في خلواته الشهوات



وينعكف على اللذات ويرى الناس بزيه اني متصوف متزهد وما زهد
الا القميص واذا نظر الى احواله فعنده كبر فرعون ومنهم سليم الباطن
الا انه بالشرع جاهل ومنهم من نقصه وصنف فاقتدى به الجاهلون
في هذه الطريقة فكانوا كعمي تبعوا اعمى ولو انهم تلمحوا الامر الاول الذي
كان عليه الرسول صلى الله عليه واله وسلم والصحابه لما زلوا ولقد كان
جماعه من المحققين لا يبالون بمعظم في النفوس اذا حاد عن الشريعه
بل يوسعونه لوما فنقل عن احمد انه قال له المروزي ما تقول في النكاح
فقال سنه النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال فقد قال ابراهيم بن ادهم قال
فصاح بي وقال جئتنا ببنيات الطريق وقيل لمعروف ان السقطي قال
لما خلق الله الحروف وقف الالف وسجدت الباقيه فقال نفروا الناس عنه
واعلم ان المحقق لا يهوله اسم معظم كما قال رجل لعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه اتظن انا
نظن ان طلحه والزبير كانا على الباطل فقال له ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق
تعرف اهله ولعمري انه قد وقر في النفوس تعظيم اقوام فاذا نقل عنهم
شي فسمعه جاهل بالشرع قبله لتعظيمهم في نفسه كما ينقل عن ابي يزيد رضي الله
عنه انه قال تراعنت علي نفسي فحلفت ان لا اشرب الما سنه وهذا اذا صح عنه كان
خطا قبيحا وزله فاحشه لان الما ينفذ الاغذيه الى البدن ولا يقوم مقامه
شي فاذا لم يشرب فقد سعى في اذى بدنه وقد كان يستعذب الما الرسول صلى

الله عليه وسلم

الى من أحدب منه فاراد ان يشغلني عن ذلك بما يزخرفه ليخلو هو
بمن اجتذبه من يدي ولقد حسن الى الانقطاع عن المجالس وقال لا يخلو من
تصنع للخلق فقلت له اما زخرفة الالفاظ وتزويقها واخراج المعنى من مستحسن
العباره ففضيله لا رذيله واما ان اقصد الناس بما لا يجوز في الشرع
فمعاذ الله ثم رايته يومي الى الزهد في قطع اسباب ظاهرها الاباحه من الكسب
فقلت له فان طاب الي الزهد ولكنت من العزله فنفذ ما بيدي او ضاع
بعض عايلتي الست اعود القهقرى فدعني اجمع ما يسد خلتي ويصونني
عن مسالة الناس فان عهد عمري كان نعم السبب والاكان للعايله
ولا اكون كراكب اراق ماه لرويه سراب فلما ندم وقت الفوات لم
ينتفع بالندم وانما الصواب توطيه المضجع قبل النوم وجمع المال الساتر
للخلة قبل الكبر اخذا بالحزم وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لان تترك
ورثتك اغنيا خير لك من ان تتركهم عالة يتكففون الناس وقال
نعم المال الصالح للرجل الصالح واما الانقطاع فينبغي ان يكون
العزله عن الشر لا عن الخير والعزله عن الشر واجبه على كل حال
واما تعليم الطالبين وهدايه المريدين فانه عباده العالم وان من
تغفيل بعض العلما ايثاره التنفل بالصلوه والصوم عن تصنيف
كتاب او تعليم علم ينفع لان ذلك بذر يكثر ريعه ويمتد زمانه

المريدين

نفعه وانما تميل النفس الى ما يرخص فيه الشيطان من ذلك لمعنيين احدهما
حب البطالة لان الانقطاع عندها اسهل والثاني لحب المدح فانها اذا
ترسمت بالزهد كان ميل العوام اليها اكثر فعليك بالنظر في الشرب الاول الكاين
مع الشرب المتقدم وهم الرسول صلى الله عليه واله وسلم واصحابه فهل نقل
عن احد منهم ما ابتدعه جهلة المتزهدين والمتصوفة من الانقطاع عن العلم
والانفراد عن الخلق وهل كان شغل الانبيا الا معاناة الخلق وحثهم
على الخير ونهيهم عن الشر الا ان ينقطع من ليس بعالم بقصد الكف
عن الشر فذاك في مرتبة المحتمي يخاف شر التخليط فاما الطبيب العالم
بما يتناول فانه ينتفع بما يناله فصل تاملت المراد من الخلق مكلفين
فاذا هو الذل واعتقاد التقصير والعجز ومثلت العلما والزهاد العا
صنفين فاقمت في صنف العلما مالكا وسفيان وابا حنيفة والشافعي
واحمد وفي صنف العباد مالك بن دينار ورابعة ومعروفا الكرخي وبشر
ابن الحارث فكلما جد العباد في العبادة وصاح بهم لسان الحال
عبادتكم لا يتعداكم نفعها وانما يتعدا نفع العلما وهم ورثة الانبيا
وخلفا الله في الارض وهم الذين عليهم المعول ولهم الفضل اذا
اطرقوا وانكسروا وعلموا صدق تلك الحال وجا مالك بن دينار الى
الحسن وتعلم منه ويقول الحسن استاذنا واذا راى العلما انهم اهل العلم

فصل

فصلا صاح لسان الحال بالعلما وهل المراد من العلم الا العمل وقال احمد بن
حنبل وهل يراد العلم الا لما وصل اليه معروف وصح سفيان الثوري وقال
وددت ان يدي قطعت ولم اكتب الحديث وقال لسان الدهر للرجل اعملت بما
علمت قال لا قال فلم تستكثر من حجة الله عليك وقال ابو الدرداء ويل لمن
يعلم ولم يعمل مرة وويل لمن علم ولم يعمل سبعين مرة وقال الفضيل يغفر
للجاهل سبعين ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد فلا بلغ من كل قوله
تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وجا سفيان الى رابعة
فجلس بين يديها يتنفع بكلامها فذل العلما العلم على ان المقصود منه العمل
به وانه الة فانكسروا واعترفوا بالتقصير فحصل الكل على الاعتراف والذل
فاستخرجت المعرفة منهم حقيقة العبودية باعترافهم فذلك هو المقصود من
التكليف فصل تاملت قوله تعالى يحبهم ويحبونه فاذا النفس تابى
اثبات محبة للخالق توجب قلقا وقالت محبته طاعته فتدبرت ذلك
فاذا بها قد جهلت ذلك لغلبة الحس وبيان هذا ان محبة الحس لا يتعدى الصور
الذاتية ومحبة العلم والعمل ترى الصور المعنوية فتحبها فانا نرى خلقا يحبون
ابا بكر رضي الله عنه وخلقا يحبون علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وقوما
يتعصبون لاحمد بن حنبل وقوما للاشعري فيقتتلون ويبذلون النفوس
في ذلك وليسوا ممن راى صور القوم ولا صور القوم توجب المحبة ولكن لما

تصورت لهم المعاني فدلتهم على كمال المقوم في العلوم وقع الحب لتلك الصور
التي شوهدت باعين البصائر وكيف بمن صنع تلك الصور المعنوية وابدلها وكيف
لا احب من وهب لي ملذوذات حسي وعرفني ملذوذات عقلي فان التلذذ
بالعلم وادراك العلوم اولى من جميع اللذات الحسية فهو الذي علمني وخلق لي
ادراكا وهداني الى ما ادركته ثم انه يتجلى لي في كل لحظة في مخلوق جديد اراه
فيه باتقان ذلك المصنوع وحسن ذلك المصنوع فكل محبوباتي فيه وعنه من
الحسية والمعنوية وتسهيل سبل الادراكات والمدركات منه والزم كل
لذة عرفاني له فلولا تعليمه ما عرفته وكيف لا احب من انا به وبقاي منه
وتدبيري بيده ورجوعي اليه وكل مستحسن محبوب هو صنعه وحسنه وزينه
وعطف النفوس اليه فذلك الكامل القدرة احسن من المقدور والعجيب الصنعة
اكمل من المصنوع ومعنى الادراك اجلى عرفانا من المدرك ولو اننا راينا
نقشا عجيبا لاستغرقنا تعظيم النقاش وتهويل شانه وطريق حكمته في
المنقوش وهذا احماته تترقى اليه الافكار الصافية اذا خرق نظرها ما
وتعدا الى ما وراها فحينئذ يقع محبة الخالق ومدحه وعلى قدر رويه الصانع
في المصنوع يقع الحب له فان قوي اوجب قلقا وشوقا وان مال العارف
الى مقام الهيبة اوجب خوفا وان انحرف به الى تلمح الكرم اوجب رجاء قويا
وقد علم كل اناس مشربهم **فصل** تاملت حالة عجيبة وهي ان الله سبحانه

وتعالى قد بنى هذه الاجسام متقنة على قانون الحكمة فدل بذلك المصنوع
على كمال قدرته ولطيف حكمته ثم عاد فنقضها فتحيرت العقول بعد اذعانها
له بالحكمة في سر ذلك الفعل فاعلمت انها ستعاد للمعاد وان هذه البنية لم تخلق
الا لتجوز في مجاز المعرفة وتتجر في موسم المعاملة فسكنت العقول لذلك
ثم رات اشيا من هذا الجنس اظرف منه مثل اخترام شاب ما بلغ بعض المقصود
ببنايه واعجب من ذلك اخذ طفل من الف ابويه يتململان لفقده ولا يظهر
سر فعله والله الغني عن اخذه وهما اشد الخلق فقرا الى بقايه واظرف
منه ابقا هرم لا يدري معنى البقا وليس له فيه الا مجرد اذا ومن هذا الجنس
تقتير الرزق على المومن الحكيم وتوسيعه على الكافر الاحمق في نظاير لهذه
المذكورات يتحير العقل في تعليلها فيبقى مبهوتا فلم ازل اتلمح اسرار هذه الاشيا
حتى بان لي ان التسليم ذلك والرضا به فرض العقل من جملة التكاليف فاذا عجزت
قوى العقل عن الاطلاع على حكمة ذلك وقد ثبت لها حكمة الفاعل علمت قصورها
عن درك جميع المطلوب فاذعنت معترفة بالعجز وبذلك تودي مفروض تكليفها
فلو قيل للعقل قد ثبت عندك حكمة الخالق بما بنى افيجوز ان يقدح في حكمته
انه نقض لقال لا لاني عرفت بالبرهان انه حكيم وانا اعجز عن ادراك علل افعاله
فاسلم على رغمي مقرا بعجزي **فصل** تاملت فوايد النكاح ومعانيه وموضوعه
فرايت ان الاصل الاكبر في وضعه وجود النسل لان هذا الحيوان لا يزال

يتحلل ثم يخلف المتحلل الغذاء ثم يتحلل من الاجزاء الاصلية ما لا يخلفه شي
فاذا لم يكن بد من فنائه وكان المراد امتداد زمان الدنيا جعل النسل خلفا
عن الاصل ولما كانت صورة النكاح تاباها النفوس لما يعرض من كشف
عورة وملاقاة ما لا يستحسن لنفسه جعلت الشهوة تحث لتحصيل المقصود
ثم رايت هذا المقصود الاصلي يتبعه شي اخر وهو استفراغ هذا الما الذي
يوذي دوام احتقانه فان المني ينفصل من الهضم الرابع فهو من اصفى جوهر
الغذا واجوده ثم يجتمع فهو احد الذخاير للنفس فانها تدخر لبقاها وقوتها
الدم ثم المني ثم تدخر الثفل الذي من اعمدة البدن كانه يخوف عدم غيره
فاذا زاد اجتماع المني اقلق على نحو اقلاق البول للحاقن الا ان اقلاقه
من حيث المعنى اكثر من اقلاق البول من حيث الصورة فتوجب كثرة اجتماعه
وطول احتباسه امراضا صعبة لانه يرتقي من بخاره الى الدماغ فيوذي وربما
احدث سمية ومتى كان المزاج سليما فالطبع يطلب بروز المني اذا اجتمع
كما يطلب بروز البول وقد ينحرف بعض الامزجة فيقل اجتماعه عنده فيندر
طلبه لاخراجه وانما يتكلم على المزاج الصحيح فاقول قد بينت انه اذا وقع
به الانسان وطال احتباسه اوجب امراضا وجدد افكارا ردية وجلب
العشق والوسوسة الى غير ذلك من الافات وقد يجد صحيح المزاج
يخرج ذلك اذا اجتمع وهو بعد متقلقل فكانه الاكل الذي لا يشبع فيبحث

عن ذلك فرامه

عن ذلك فرايته من وقوع الخلل في المنكوح اما لدمامته وقبح منظره
او لآفة فيه او لانه غير مطلوب النفس فحينئذ يخرج منه ويبقى بعضه فان
واذا اردت معرفة ما يدل على ذلك فقس مقدار خروج المني في المحل المشتهى
وفي المحل الذي هو دونه كالوطي بين الفخذين بالاضافة الى الوطي في محل [illegible]
وكوطي البكر بالاضافة الى وطي الثيب تعلم حينئذ ان تخير المنكوح يستقصي فضول
المني فيحصل للنفس كمال اللذة لموضع كمال بروز الفضول ثم قد يوثر هذا
في الولد ايضا فانه اذا كان ايضا من شابين قد حبسا انفسهما عن النكاح
مدة كان الولد اقوى منه من غيرهما ومن المعين على النكاح في الاغلب
ولهذا كره نكاح الاقارب لانه مما يقبض النفس عن انبساطها فيتخيل
الانسان انه ينكح بعضه ومدح نكاح الغرايب لهذا المعنى ومن هذا
الفن يحصل كثير من المقصود من دفع هذه الفضول الموذية منكوح مستجد
وان كان مستقبح الصورة ما لا يحصل به العادة ومثال هذا ان الطاعم
اذا امتلا خبزا ولحما حتى لم يبق فيه فضل لتناول لقمة قدمت اليه الحلوى
فيتناول لان الجدة لها معنى عجيب وذلك ان النفس ما الفت وتطلب غير
ما عرفت ويتخايل لها في الجديد نوع مراد فاذا لم تجد مرادها صدفت الى
جديد اخر فكانها قد علمت وجود غرض تام بلا كدر وهي تتخايله فيما تراه
وفي هذا المعنى دليل مدفون على البعث لان خلق همة متعلقة بلا

متعلق بنوع عبث فافهم هذا فاذا رات النفس عيوب ما خالطت في الدنيا
عادت فطلبت جديدا ولذلك قال الحكما العشق العمى عن عيوب المحبوب
فمن تامل عيوبه سلا ولذلك يستحب للمراة ان لا تبعد عن زوجها بعدا ينسيه
اياها ولا يقرب منه قربا يملها وكذلك يستحب له ليلا يملها او تظهر له مكنونات
عيوبها وينبغي له ان لا يطلع منها على عورة ويجتهد في ان لا يشم منها الا طيب
ريح الى غير ذلك من الخصال التي يستعملها النسا الحكيمات فانهن يعلمن ذلك
بفطرهن من غير احتياج فاما الجاهلات فانهن لا ينظرن في هذا فيتعجلن
التفات الازواج عنهن فمن اراد نجابة الولد وقضى الوطر فليتخير المنكوح
ان كان زوجة فلينظر اليها فاذا وقعت في نفسه فليتزوجها ولينظر في
كيفية وقوعها في نفسه فان علامة تعلق حبها بالقلب ان لا يكاد يصرف الطرف
عنه فاذا انصرف الطرف قلق القلب يتقاضى بالنظر فهذا الغاية ودونه مراتب
على مقاديرها يكون بلوغ الاغراض وان كان جارية تشترى فلينظر اليها
ابلغ من ذلك النظر ومن قدر على مناطقة المراة او مكالمتها بما يوجب
التنبيه ثم ليرى ذلك منها فان الحسن في الفم والعينين وقد نص
احمد على جواز ان يبصر الرجل من المراة التي يريد نكاحها ما هو عورة
يشير الى ما يزيد على الوجه ومن امكنه ان يؤخر العقد او يشتري الجارية
لينظر كيف توقان قلبه فانه لا يخفى على العاقل توقان النفس لاجل

المستحسن وتوقانها لاجل الحب فاذا راى قلق الحب قدم فانه قد اخبرنا محمد
بن عبد الباقي قال انا احمد بن احمد قال انا ابو نعيم قال نا سليمن بن احمد
قال نا عبد الجبار بن ابي عامر قال حدثني ابي قال حدثني خالد بن سلام
قال نا عطا الخراساني قال مكتوب في التورية كل نكاح ترويج على غير هوى
حسرة وندامة الى يوم القيمة ثم ينبغي للمتخير ان يتفقد الاخلاق فانها من
الخفي فان الصورة اذا خلت من المعنى كانت كخضرا الدمن فان نجابة
الولد مقصوده وفراغ النفس من الاهتمام بوده محبوب اصل عظيم يوجب
اقبال القلب على المهمات ومن فرغ من المهمات العارضة اقبل على المهمات
الاصلية ولهذا جا في الحديث لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان
واذا وضع العشا وحضرت العشا فابدوا بالعشا فمن قدر على امراة
صالحة في الصورة والمعنى فليغمض عن عوراتها ولتجتهد في مراضيه
من غير قرب يمل ولا بعد ينسي ولتقدم على التصنع له ليحصل له الغرض
منها الولد وقضا الوطر مع الاحتراز الذي اوصيت به تدوم الصحبة
ويحصل الغنا بها عن غيرها فان قدر على الاستكثار فاضاف اليها
سواها عالما انه يبلغ الغرض الذي يفرغ قلبه زيادة تفريغ كان افضل
لحاله فان خاف من وجود الغيرة ما يشغل القلب الذي قد اهتممنا بجمع
همه او خاف وجود مستحسن تشتغل قلبه عن ذكر الاخرة او تطلب منه

مايوجب خروجه عن الورع ويدخل بهما او صيت بر انه يبعد في حج
العفاف فليبالغ الواحد لهن في حفظهن وسترهن فان وجد ملا روجيه
تعجل الاستبدال فانه سبب السلو فان قدر على الاقتصار فالاقتصار
على الواحده اولى فان كانت على الغرض قنع وان لم تكن استبدل ونكاح
المراه المجنونه ينتفع الما المجتمع فيوجب نجابة الولد وتمام وقضا
الوطر بكماله ومن خاف وجود الغيره فعليه بالسراري فانهن اقل غيره
لهن امكن من استطراف الزوجات وقد كان جماعة عكسهم الجمع وكان
وكان النسا يصبرن فكان لداود عليه السلام ماية ولسليمان عليه السلام
الف امراه وقد علم حال نبينا صلى الله عليه واله وسلم واصحابه وقد كان
لامير المومنين علي رضي الله عنه اربع حراير وسبع عشر سريه وتزوج
ابنه الحسن رضي الله عنه بنحو من اربع مايه الى غير هذا مما يطول ذكره
فافهم ما اشرنا اليه تعز به ان شا الله تعالى فصل كل شي خلق الله
تعالى في الدنيا فهو انموذج في الاخرة وكل شي يجري فيها انموذج ما يجري
في الاخرة فاما المخلوق منها فقال بن عباس رضي الله عنه عنهما ليس في
الجنه شي يشبه ما في الدنيا الا الاسما وهذا لان الله تعالى شوق بنعيم
الى نعيم وخوف بعذاب من عذاب فاما ما يجري في الدنيا فكل ظالم معاقب
في العاجل على ظلمه قبل الاجل وكل مذنب مذنبا وهو معنى قوله تعالى من يعمل

سواجره

سواجره وربما راى العاصي سلامة بدنه وماله فظن ان لا عقوبه وغفلته
عما عوقب به عقوبه وقد قال الحكما المعصيه بعد المعصيه عقاب المعصيه والحسنه
بعد الحسنه ثواب الحسنه وربما كان العقاب العاجل معنويا كما قال بعض احبار
بني اسرائيل يا رب كم اعصيك ولا تعاقبني فقيل كم اعاقبك ولا تدري اليس
قد حرمتك حلاوة مناجاتي فمن تامل هذا الجنس من المعاقبه وجدها بالمرصاد
حتى قال وهب بن الورد وقد سيل ايجد لذة الطاعه من يعصي فقال ولا
من يهم فرب شخص اطلق بصره فحرم اعتبار بصيرته او لسانه فحرم صفا
قلبه او اثر شبهه في مطعمه فاظلم سره وحرم قيام الليل وحلاوة المناجاه
الى غير ذلك وهذا امر يعرفه اهل محاسبة النفوس وعلى ضده يجد من يتقي الله
تعالى من حسن الجزا على التقوى عاجلا كما في حديث ابي امامه عن النبي صلى الله
عليه واله وسلم يقول الله تعالى النظره الى المراه سهم مسموم من سهام الشيطان
من تركه ابتغا مرضاتي اثبته ايمانا يجد حلاوته في قلبه فهذه نبذه من هذا
الجنس تنبه على مغفلها فاما المقابله الصريحه في الظاهر فقل ان
تحتبس ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه واله وسلم الصبحه تمنع الرزق
وان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقد روى المفسرون ان
كل شخص من الاسباط جا باثني عشر ولدا وجا يوسف باحد عشر بالهمه
ومثل هذا اذا تامله ذو بصيره راى الجزا وفهم كما قال الفضيل اني لاعصي

الله فاعرف ذلك في خلق دابتي وجاريتي وعن ابن عثمن النيسابوري
انه انقطع شسع نعله في مضيه الى الجمعة فتعوق لاصلاحه ساعة قال انما انقطع
لاني ما اغتسلت للجمعة ومن عجايب الجزاء في الدنيا انه لما امتدت ايدي الظلم
من اخوة يوسف وشروه بثمن بخس امتدت اكفهم بين يديه بالطلب يقولون
وتصدق علينا ولما صبر هو يوم الهمة ملك المراة حلالا ولما بغت عليه بدعواها
ما جزاء من اراد باهلك سوا انطقها الحق بقولها انا راودته عن نفسه ولو ان
شخصا ترك معصية لاجل الله تعالى لراى ثمرة ذلك وكذلك اذا فعل طاعة
وفي الحديث اذا املقتم فتاجروا الله بالصدقة اي عاملوه لزيادة الارباح
العاجلة ولقد راينا من سامح بما منع منه الشرع طلبا للراحة العاجلة
فانقلبت الى التنغص العاجلة وعكست عليه المقاصد حكى بعض المشايخ
انه اشترى في زمن شبابه جارية قال فلما ملكتها تاقت نفسي اليها فما
زلت اسال الفقها لعل مخلوقا يرخص لي فكلهم قال لا يجوز النظر اليها
بشهوة ولا لمسها ولا جماعها الا بعد حيضها قال فسالتها فاخبرتني انها
اشتريت وهي حايض فقلت قرب الامر فسالت الفقها فقالوا لا يعتد بهذه
الحيضة حتى تحيض في ملكك قال فقلت لنفسي وهي شديدة التوقان لقوة
الشهوة وتمكن القدرة وقرب المصافية ما تقولين فقالت الايمان بالصبر
على الجمر شئت او ابيت فصبرت الى ان حل ذلك فاثابني الله تعالى على ذلك

الصبر

الصبر نيل ما هو اعلى منها وارفع

فصل

نظرت في الادلة على الحق سبحانه
فوجدتها اكثر من الرمل ورايت من اعجبها ان الانسان قد يخفي ما لا يرضاه الله
عز وجل فيظهره الله سبحانه عليه ولو بعد حين وتنطق الالسنة وان لم
يشاهده الناس وربما اوقع صاحبه في افة يفضحه بها بين الخلق فيكون
جوابا لكل ما اخفى من الذنوب وذلك ليعلم الناس ان هنالك من يجازي
على الزلل ولا ينفع من قدره وقدرته حجاب ولا استتار ولا يضاع لديه
عمل وكذلك يخفي الانسان الطاعات فتظهر عليه ويتحدث الناس بها
وباكثر منها حتى انهم لا يعرفون له ذنبا ولا يذكرونه الا بالمحاسن ليعلم
ان هنالك ربا لا يضيع عمل عامل وان قلوب الناس لتعرف حال الشخص
وتحبه او تاباه وتذمه او تمدحه وفق ما يتحقق ما بينه وبين الله تعالى
فانه يكفيه كل هم ويدفع عنه كل شر وما اصلح عبد ما بينه وبين الخلق
دون الحق الا انعكس مقصوده وعاد حامده ذاما

فصل

تاملت الارض ومن عليها بعين فكري فرايت خرابها اكثر من عمرانها
ثم نظرت في المعمور منها فوجدت الكفار مستولين على الكثرة ووجدت
اهل الاسلام في الارض قليلا بالاضافة الى الكفار ثم تاملت المسلمين
فرايت الاكتساب قد شغلت جمهورهم عن الرازق واعرضت بهم عن
العلم الدال عليه فالسلطان مشغول بالامر والنهي واللذات المعارضة

له ومياه اغراضه جارية لا ممسك لها ولا يلقاه احد بموعظة بل بالمزعجة
التي تقوى هوى النفس وانما ينبغي ان يقاوم الامراض باضدادها كما قال
عمر بن المهاجر قال لي عمر بن عبد العزيز اذا رايتني قد حدت عن الحق فخذ بثيابي
وهزني وقل مالك يا عمر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رحم الله من
اهدى الينا عيوبنا فاحوج الخلق الى المواعظ والنصائح السلاطين واما
جنود جمهورهم في سكر الهوى وزينة الدنيا وقد انضاف الى ذلك
الجهل وعدم العلم فلا يبالون بذنب ولا يتحرجون من لبس حرير او شرب
خمر حتى ربما قال بعضهم ايش يعمل الجندي لا يلبس القطن ثم اخذهم
الاشيا من غير وجهها فالظلم معهم كالطبع وارباب البوادي قد غمرهم
الجهل واهل القرى فكذلك فتقلبهم في الانجاس والتهوين وامر الصلوات
وربما صلت المراة منهن قاعدة ثم نظرت في التجار فرايتهم قد غلب
عليهم الحرص حتى لا يرون شيوا وجوه الكسب كيف كانت وصار الربا
في معاملاتهم فاشيا فلا يبالي احدهم من اين حصل له الدنيا وهم في باب
الزكاة مفرطون ولا يستوحشون من تركها الا من عصم الله ثم نظرت
في ارباب المعاش فوجدت الغش في معاملاتهم عاما والتطفيف والبخس
وهم مع هذا مغرورون بالجهل ورايت عامة من له ولد يشغله ببعض
هذه الاشغال طلبا للكسب قبل ان يعرف ما يجب عليه وما يتادب به

ثم نظرت

ثم نظرت في النسا فرايتهن قليلات الدين عظيمات الجهل ما عندهن من
الاخرة خبر الا من عصم الله قلت واعجبا من بقي لحرمة الله عز وجل وقع
فنظرت فاذا العلما والمتعلمون والعباد المتزهدون فتاملت العبادة
والمتزهدين فرايت جمهورهم يتعبد بغير علم ويانس الى تعظيمه وتقبيل
يده وكثرة اتباعه حتى ان احدهم لو اضطر الى ان يشتري حاجة من السوق
لم يفعل لئلا ينكسر جاهه ثم يترقى بهم رتبة الناموس الى ان لا يعودوا
مريضا ولا يشهدوا جنازة الا ان يكون عظيم القدر عندهم ولا يتزاورون
بل ربما ظن بعضهم على بعض فقد صارت النواميس كالاوثان يعبدونها
ولا يعلمون وفيهم من يتقدم على الفتوى بجهل لئلا يخل بناموس التصدر
ثم يعيبون العلما لحرصهم على الدنيا ولا يعلمون ان المذموم من الدنيا ما هم
فيه لا تناول المباحات ثم تاملت العلما والمتعلمين فرايت القليل
في المتعلمين من عليه امارة النجابة لان امارة النجابة طلب العلم للعمل
به وجمهورهم يطلب منه ما يصيره شبكة للكسب اما ليأخذ به قضا مكان او
ليصير قاضي بلد او قدر ما يتميز به عن ابنا جنسه ثم يكتفي ثم تاملت العلما
فرايت اكثرهم يتلاعب به الهوى ويستخدمه فهو يوثر ما نهاه العلم عنه
ويقبل على ما ينهاه ولا يكاد يجد عنده ذوق معاملة الله سبحانه وانما همته
ان يقول الا ان الله لا يخلي الارض من قايم له بالحجة جامع بين العلم والعمل

تامل

عارف بحقوق الله خايف منه فذلك قطب الدنيا ومتى مات اخلف الله
عوضه وربما لم يمت حتى يرى من يصلح للنيابه عنه في كل نايبه ومثل
هذا لا يخلو الارض منه فهو في مقام النبي في الامه وهذا الذي اصفه يكون
قايما بالاصول حافظا للحدود وربما قل علمه او قلت معاملته فاما
الكاملون في جميع الادوات فيندر وجودهم فيكون في الزمان البعيد
منهم واحد ولقد سبرت السلف كلهم فاردت ان استخرج منهم من جمع
بين العلم حتى صار من المجتهدين وبين العمل حتى صار قدوه للعابدين
فلم ار اكثر من ثلاثه اولهم الحسن البصري وثانيهم سفيان الثوري وثالثهم
احمد ابن حنبل وقد افردت لاخبار كل واحد منهم كتابا وما انكر على من
ربعهم بسعيد ابن المسيب وان كان في السلف سادات الا ان اكثرهم
غلب عليه فن فنقص من الاخر فمنهم من غلب عليه العلم ومنهم من غلب
عليه العمل وكل هولا كان لهم الحظ الوافر من العلم والنصيب الاوفى
من المعامله والمعرفه ولا نويس من وجود من يجمع الحسنين وان كان
الفضل للسابقين فقد اطلع الله عز وجل الخضر على ما خفي عن موسى عليه
السلام فخزاين الله مملوه وعطاوه لا يقف على شخص ولقد حكي لي
عن ابن عقيل انه كان يقول عن نفسه انا اعلم في قالب ثم انكر وهذا
غلط فمن اين له فكم معجب بنفسه كشف له من غيره ما عاد يحتقر نفسه

على ذلك

على ذلك وكم من متاخر سبق متقدما وقد قيل ان الليالي والايام حامله
وليس يعلم غير الله ما تلد

فصل

رايت ميل النفس الى الشهوات
زايدا في المقدار حتى انها اذا مالت مالت بالقلب والعقل والذهن فلا
يكاد ينتفع بشي من البدن فصحت بها يوما وقد مالت بكليتها الى شهوه
ويحك قفي معي لحظه اكلمك كلمات ثم افعلي ما بدا لك قالت قل اسمع قلت
قد تقرر قلة ميلك الى المباحات من الشهوات وامّا جل ميلك الى المحرمات
فانا اكشف لك عن الامرين فربما رايت الحلو مرا اما المباحات من
الشهوات فمطلقه لك ولكن طريقها صعب لان المال قد يعجز عنها والكسب
قد لا يحصل معظمها والوقت الشريف يذهب بذلك ثم شغل القلب
بها قبل التحصيل وفي حالة الحصول وبخوف الفوات ثم بنغصها من النقص
ما لا يخفى على مميز ان كانت مطعما فالشبع يحدث افات وان كان شخصا
فللملل او الفراق او سو خلق ثم الذ النكاح اكثره ايهانا للبدن الى غير
ذلك مما يطول شرحه واما المحرمات فتشتمل على ما اشرنا اليه من الملحات
وتزيد بانها العرض وضوء عقاب الدنيا وفضيحتها ووعيد الاخره
ثم الجزع كلما ذكرها التايب وفي قوة قهر الهوى لذه تزيد على كل لذه
الى ترى الى كل مغلوب بالهوى كيف يكون ذليلا لانه قهر بخلاف غالب الهوى
فانه يكون قوي القلب عزيزا لانه قهر فالحذر الحذر من رويه المشتهى بعين

الحسن كما يرى اللص لذة اخذ المال من الحرز ولا يرى بعين فكره القطع
وليفتح عين البصيرة لتامل العواقب واستحالة اللذة نغصه وانقلابها
عن كونها لذة اما الملل ولغيره من الافات او لانقطاعها بامتناع الحبيب
فيكون المعصية الاولى كلقمة تناولها جايع فما ردت كلب الجوع بل
شهت الطعام وليتذكر الانسان لذة قهر الهوى مع تامل فوايد الصبر
عند فمن وقف لذلك كانت سلامته قريبه **فصل** خطر لي والمجلس
قد طاب والقلوب قد حضرت والعيون جاريه والروس مطرقه
والنفوس قد ندمت على تفريطها والعزايم قد نهضت لاصلاح شانها
والسنة اللوم تعمل في الباطن على تضييع الحزم وترك الحذر فقلت
لنفسي ما بال هذه اليقظة لا تدوم فاني ارا النفس واليقظة في المجلس
متصادقان فيتصادقان فاذا قمنا عن هذه التربه وقعا الغربه فتاملت
ذلك فرايت ان النفس ما تزال متيقظة والقلب لا يزال عارفا غير ان
القواطع كثيره والفكر الذي ينبغي استعماله في معرفة الله سبحانه وتعالى
قد كل مما يستعمل في اجتلاب الدنيا وتحصيل حوايج النفوس والقلب
منغمس في ذلك والبدن اسير مستخدم بينا الفكر يجول في اجتلاب
الطعام والشراب والكسوه وينظر في مدد ذلك وما يدخره لغده
وسنته اهتم بخروج الحدث وتشاغل بالطهاره ثم اهتم بخروج الفضلا

الموذيه

الموذيه منها المني فاحتاج الي النكاح فعلم انه لا يصح الا باكتساب كسب
الدنيا فتفكر في ذلك وعمل بمقتضاه ثم جا الولد فاهتم به ولهذا الفكر عامل
في اصول الدنيا وفروعها فاذا حضر الانسان المجلس فانه لا يحضر حاضرا بعادة لا
حاقنا بل يحضر جامعا لهمه ناسيا ما كان من الدنيا على ذكره فيخلو الوعظ
بالقلب فيذكره ما الف ويجذبه بما عرف فينهض عمال القلب في فرز حاق عرفا
فيحضرون النفس الي جانب المطالبه بالتفريط ويواخذون الحس بما مضى من
التخليط فتجري عيون الندم وتنعقد عزايم الاستدراك ولو ان هذه النفس
خلت عن المعهودات التي وصفتها لتشاغلت بخدمة باريها ولو وقعت في
صورة حبسه ولاستوحشت عن الكل تشاغلا بعبرته ولهذا اعتمد الزهاد الخلوات
وتشاغلوا بقطع المعوقات وعلي قدر مجاهدتهم في ذلك نالوا من
مرادهم كما ان الحصاد على مقدار البذر غير اني تلمحت في هذه الحالة دقيقه
وهو ان النفس لو دامت لها اليقظة لوقعت فيما هو اشد من فوت ما فات
وهو العجب بحالها والاحتقار بجنسها وربما ترقت بقوة علمها وعرفانها
الي دعوى لي وعندي واستحق فتركها في حومة دونها تتخبط فاذا وقعت
على الشاطي قامت بحق ذل العبودية اولها هذا حكم الغالب من الخلق ولكن
شغلوا عن هذا المقام فمن بذر فصلح له فلا بد له من هفوة يراقبها على
الخوف من عقابها فتصح عبوديته ويسلم له عبادته والي هذا المعنى اشار

اثنا الحديث الصحيح لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجا بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم **فصل** تفكرت فرايت ان حفظ المال من المتعين وما تسميه جهلة المتزهدين توكلا من اخراج ما في اليد ليس بالمشروع فان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال لكعب بن مالك امسك عليك بعض مالك او كما قال وقال لسعد لان تترك ورثتك اغنيا خير من ان تتركهم عالة يتكففون الناس فان اعترض جاهل فقال فقد جا ابو بكر رضي الله عنه بكل ماله فالجواب ان ابا بكر صاحب معاش وتجاره فاذا اخرج الكل امكنه ان يستدين عليه فيتعيش فمن كان على هذه الصفة لا اذم اخراجه ماله وانما الذم متطرق الى من يخرج ماله وليس من ارباب المعاش او يكون من اولئك الا انه ينقطع عن المعاش فيبقى كلا على الناس يستعطيهم ويعتقد انه على الفتوح وقلبه متعلق بالخلق وطمعه ناشب فيهم ومتى تحرك بامره نقص قلبه وقال رزق قد جاء هذا امر قبيح لمن يقدر به على المعاش وان لم يقدر كان اخراج ما يملك اقبح له لانه يتعلق قلبه بما في ايدي الناس وربما ذل لبعضهم او يتزين له بالزهد واقل احواله انه يزاحم الفقرا والضعفا والزمنى في الزكوه فعليك بالشرب الاول فانظر هل فيهم من فعل ما يفعله جهلة المتزهدين وقد اشرت في اول هذا الا انهم كسبوا وخلفوا الاموال فرد الى المشرب الاول الذي لم يطرق قطانه الصافي واحذر من المشارع المطروقة بالارا الفاسدة الحادثة

في المعنى كالكمين على الشريعة مدعية بلسان حالها ان الشرع ناقص يحتاج الى ما تمت به واعلم وفقك الله ان البدن كالمطية ولا بد من علف المطية والاهتمام به فاذا اهملت ذلك كان سببا لوقوفك عن السير وقد روي سلمان رضي الله عنه حمل طعاما على عاتقه فقيل له اتفعل هذا وانت صاحب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال ان النفس اذا احرزت قوتها اطمانت وقال سفين الثوري اذا حصلت قوت شهر فتعبد وقد جا اقوام ليس عندهم سوى الدعاوى فقالوا هذا شك في الرزق والثقة به اولى فاياك واياهم وربما ورد مثل هذا عن بعض صدور الزهاد من السلف فلا نعول عليه ولا يهولنك خلافهم فقد قال ابو بكر المروزي سمعت احمد بن حنبل يرغب في النكاح فقلت له قال ابن ادهم فما تركني اتم حتى صاح علي وقال اذكر لك حال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واصحابه وتاتيني ببنيات الطريق واعلم وفقك الله انه لو رفض الاسباب شخص يدعي الزهد وقال لا اكل ولا اشرب ولا اقوم من الشمس في الحر ولا استدفي في البرد كان عاصيا بالاجماع وكذلك لو قال ولعائلته لا اكتسب ورزقهم على الله عز وجل فاصابهم اذا كان اثما كما قال عليه السلام كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت واعلم ان الاهتمام بالكسب يجمع الهم ويفرغ القلب ويقطع الطمع في الخلق

فان الطبع له حق يتقاضاه وقد بين الشرع ذلك فقال ان لنفسك عليك حقا وان لعينك عليك حقا مثال الطبع مع المريد السالك كمثل كلب لا يعرف الطارق فكل من راه يمشي ينبح عليه فان القي اليه كسره سكت عنه فالمراد من الاهتمام بذلك جميع الهم لا غير فافهم هذه الاصول فان فهمها مهم

فصل تاملت شهوات الدنيا فرايتها مصايد هلاك ومخوخ تلف فمن قوي عقله على طبعه وحكم عليه سلم ومن غلب طبعه فيا سرعة هلكته ولقد رايت بعض ابنا الدنيا كان يتنوق في شرا السراري ثم يستعمل الحرارات المهيجة للباه فما لبث ان اخلت حرارته الغريزية وتلف ولم ار في شهوات النفس اسرع هلاكا من هذه الشهوة فانه كلما مال الانسان الى شخص مستحسن اوجب ذلك حركة الباه زايدا على العادة واذا احس منه زادت الحركة وكثر خروج المني زايدا عن الاول فيفني جوهر الحيوة اسرع شي وبالضد من هذا ان يكون المراة مستقبحة فلا يوجب نكاحها خروج الفضلة المؤذية كما ينبغي فيقع التاذي بالاحتباس وقوة التوق الى منكوح وكذلك المفرط في الاكل فانه يجني على نفسه كثيرا من الجنايات والمقصر في مقدار القوت كذلك فعلمت ان افضل الامور اوساطها والدنيا مفازة فينبغي ان يكون السايق فيها العقل فمن سلم زمامه الى طبعه وهواه فيا عجلة تلفه هذا فيما يتعلق

ما البدن بالدنيا فقس عليها الاخرة وافهم د

فصل بلغني عن بعض الزهاد زماننا انه قدم اليه طعام فقال لا اكل فقيل له قال لان نفسي تشتهيه وانا منذ سنين ما بلغت نفسي ما تشتهي فقلت لقد خفيت طريق الصواب عن هذا من وجهين وسبب خفايها عدم العلم اما الوجه الاول فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن على هذا ولا اصحابه وقد كان عليه السلام ياكل لحم الدجاج ويحب الحلوى والعسل ودخل فرقد السبخي على الحسن وهو ياكل الفالوذج فقال يا فرقد ما تقول في هذا فقال لا اكله ولا احب من اكله فقال الحسن لعاب النحل بلباب البر مع سمن البقر هل يعيبه مسلم وجاء رجل الى الحسن فقال ان لي جارا لا ياكل الفالوذج فقال ولم قال يقول لا اودي شكره فقال ان جارك جاهل وهل يودي شكر الما البارد وكان سفيان الثوري يحمل في سفره الفالوذج واللحم المشوي ويقول ان الدابة اذا احسن اليها عملت وما حدث في الزهاد بعدهم امور من هذا الفن مسترقة من الرهبانية وانا خايف من قوله تعالى لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ولا يحفظ عن احد من السلف الاول من الصحابة من هذا الفن شي الا ان يكون ذلك لعارض وسبب ما يروى عن ابن عمر رضي الله عنهما انه اشتهى شيا فاثر به فقيرا واعتق جاريته

يُمَيِّتُه وقال انها احب الخلق الي فهذا وامثاله حسن لانه ايثار لها
هو اجود عند النفس من غيره واكثر لها من سواه فاذا وقع في بعض
الاوقات كسرت بذلك الفعل سوره هواها ان تطغى سبيل كلما تريد
فاما من دام على مخالفتها على الاطلاق فانه يعمي قلبها ويبلد خواطرها
ويشتت عزايمها فيوذيها اكثر مما ينفعها وقد قال ابراهيم بن ادهم
ان القلب اذا كره عمي وتحت ما قلته سر لطيف وهو ان الله عز وجل
قد وضع طبيعة الادمي على معنى عجيب وهو انها تختار من الشي ما
يصلحها فيعلم باختيارها له صلاحه لها وصلاحها به وقد قال حكما
الطب ينبغي ان يسمح للنفس فيما تشتهي من المطاعم وان كان فيه نوع
ضرر لانها انما تختار ما يلايمها فاذا قمعها الزاهد في مثل هذا عاد على
بدنه بالضرر ولولا جواذب في الباطن من الطبيعة ما بقي البدن
فان الشهوه للطعام تثور فاذا وقعت الغنية بما تناول كفت
الشهوة فالشهوه مريد ورايد ونعم الباعث على مصلحة البدن
غير انها اذا افرطت وقع الاذى ومتى منعت ما تريد على الاطلاق
مع الامن من فساد العاقبة عاد ذلك بفساد احوال النفس ووهن
الجسم واختلاف السقم الذي يتداعى به الجملة مثل ان يمنعها الما
عند اشتداد العطش والغذا عند الجوع والجماع عند قوة الشهوة والنوم

عند غلبته

عند غلبته حتى ان المعتم اذا لم يتزوج بالشكوى قتله الكمد فهذا اصل
اذا فهمه هذا الزاهد علم انه خالف طريق الرسول صلى الله عليه وسلم
واصحابه من حيث النقل وخالف الموضوع في الحكمة ولا يلزم على هذا قول القائل
فمن اين يصفو المطعم لانه اذا لم يصفو كان الترك ورعا وانما الكلام في
المطعم الذي ليس فيه ما يوذي في باب الورع وكان ما شرحته جوابا للقائل
ما بلغ نفسي شهوه على الاطلاق والوجه الثاني اني اخاف على الزاهد
ان يكون شهوته انقلبت الى الترك فصار يشتهي ان لا يتناول وللنفس في هذا
مكر خفي ورياء دقيق فان سلمت من الرياء للخلق كان لها فيه من جهة تعلقها
بمثل هذا الفعل وادلالها في الباطن به فهذه مخاطره وغلط وربما
قال بعض الجهال هذا صد عن الخير والزهد وليس كذلك فان الحديث
قد صح عن النبي صلى الله عليه واله انه قال كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد
ولا ينبغي ان يعتر بعباده جريج ولا بتقوى ذي الخويصرة ولقد دخل
المتزهدون في طرق لم يسلكها الرسول صلى الله عليه وسلم ولا
اصحابه من اظهار التخشع الزايد في الحد وترك السوق وتحسين الملبس
واشيا ضار العوام يستحسنونها وصارت لاقوام كالمعاش يجتنون
من اربابها تقبيل اليد وتوفير التوقير وحراسة الناموس واكثرهم
في خلوته على غير حالته في جلوته وقد كان ابن سيرين يضحك بين الناس

قهقهة واذا خلا بالليل فكانه قتيل اهل القريه نسال الله عز وجل علما
نافعا فهو الاصل فمتى حصل اوجب معرفة المعبود جل وعز وحرك الى خدمته
بمقتضى ما شرعه واحبه وسلك بصاحبه طريق الاخلاص واصل الاصول العلم
وانفع العلم النظر في سير الرسول صلى الله عليه واله وسلم واصحابه اوليك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده فصل تاملت جهاد النفس فرايته اعظم
الجهاد ورايت خلقا من العلما والزهاد لا يفهمون معناه لان فيهم
من منعها حظوظها على الاطلاق وذلك غلط من وجهين احدهما انه
رب مانع لها شهوة اعطاها بالمنع اوفى منها مثل ان يمنعها مباحا فيشتهر
بمنعه اياها ذلك فترضى النفس بالمنع لانها قد استبدلت به المدح واخفى
من ذلك ان يرى بمنعه اياها ما منع انه قد فضل من سواه ممن لم يمنعها
ذلك وهذه دقايق تحتاج الى مناقش فهم يخلصها والوجه الثاني
انا قد كلفنا حفظها ومن اسباب حفظها ميلها الى الاشيا التي تقيمها
فلا بد من اعطايها ما يقيمها واكثر ذلك او كله مما تشتهيه ونحن كالوكلا
في حفظها لانها ليست لنا بل هي وديعه عندنا فمنعها حقوقها على الاطلاق
خطر ثم رب شد اوجب استرخا ورب مضيق على نفسه فرت منه فصعب
عليه تلافيها وانما الجهاد لها كجهاد المريض العاقل يحملها على مكروهها
في تناول ما يرجو به العافيه ويذوب في المراره قليلا من الحلاوة ويتناول

تقيمها

آخر الجزء الثاني

من الاغذيه

من الاغذيه مقدار ما يصفه الطبيب ولا يحمله شهوته على موافقة غرضها من
مطعم ربما جر جوعا ومن لقمه ربما حرمت لقمات فكذلك المومن العاقل لا يترك
لجامها ولا يهمل مقودها بل يرخي لها وقتا والطول بيده فما دامت على الجادة
لم يضايقها في التضييق عليها فاذا راها قد مالت ردها باللطف
فان ونت وابت فالا فبالعنف ويحبسها في مقام المداراه كالزوجة التي
مبنى عقلها على الضعف والقله فهي تدارى عند نشوزها بالوعظ فان لم
تصلح فبالهجر فان لم تستقم فبالضرب وليس في سياط التاديب اجود من
سوط عزم هذه مجاهده من حيث العمل فاما من حيث وعظها وتانيبها
فينبغي لمن راها تسكن للخلق وتتعرض بالدناه من الاخلاق ان يعرفها تعظيم
خالقها فيقول الست التي قال فيك خلقتك بيدي واسجدت لك ملايكتي
وارتضاك للخلافه في ارضه وراسلك واقترض منك واشترى فان راها
تتكبر قال لها هل انت الا قطرة من ما مهين تقتلك شرقه وتولمك بقه
وان راى تقصيرها عرفها حق الموالي على العبيد وان ونت في العمل حدثها بجزيل
الاجر وان مالت الى الهوى خوفها عظيم الوزر ثم يحذرها عاجل العقوبه
الحسيه كقوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم والمعنويه
كقوله تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق فهذا
جهاد بالقول وذاك جهاد بالفعل فصل رايت من البلا العجاب

ان المومن يدعوا فلا يجاب فيكرر الدعا وتطول المده ولا يرى اثرا للاجابه
فينبغي له ان يعلم ان هذا من البلا الذي يحتاج الى صبر وما يعرض للنفس
من الوساوس في تاخير الجواب مرض يحتاج الى طب ولقد عرض لي من
هذا الجنس فانه نزلت بي نازله فدعوت وبالغت فلم ار الاجابه فاخذ ابليس
يجول في حلبات كيده فتارة يقول الكرم واسع والبخل معدوم فما فايده تاخير
الجواب فقلت له اخسا يا لعين فما احتاج الى متقاضي ولا ارضاك وكيلا
ثم عدت الى نفسي فقلت اياك ومساكنته وسوسته فانه لو لم يكن في تاخير
الاجابه الا ان يبلوك المقدر في محاربة العدو لكفى في الحكمة قالت فسلني
عن تاخير الاجابه في مثل هذه النازله فقلت قد ثبت بالبرهان ان الله
عز وجل مالك وللمالك التصرف بالمنع والعطا فلا وجه للاعتراض عليه
والثاني انه قد ثبت حكمته بالادله القاطعه فربما رايت الشي مصلحه والحكمه
لا تقتضيه وقد يخفى في الحكمه فيما يفعله الطبيب من اشيا تودي في الظاهر
يقصد بها المصلحه فلعل هذا من ذاك والثالث انه قد يكون التاخير
مصلحه والاستعجال مضره وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد
بخير ما لم يستعجل يقول دعوت فلم يستجب لي والرابع انه قد يكون امتناع
الاجابه لافه فيك فربما يكون في ماكولك شبهه او قلبك وقت الدعا
في غفله او تزاد عقوبتك في منع حاجتك لذنب ما صدقت في التوبه منه فابحث

عن بعض هذه

عن بعض هذه الاسباب لعلك تقع بالمقصود كما روي عن ابي يزيد رضي الله
عنه انه نزل بعض الاعاجم في داره فجا فراه فوقف بباب الدار وامر بعض
اصحابه فدخل فقلع طينا جديدا قد طينه فقام الاعجمي وخرج فسال ابو يزيد
عن ذلك فقال هذا الطين من وجه فيه شبهه فلما زالت الشبهه زال
صاحبها وعن ابرهيم الخواص رحمه الله انه خرج لانكار منكر فنبحه كلب
فمنعه ان يمضي فعاد ودخل المسجد وصلى ثم خرج فبصبص الكلب له فمضى
وانكر فزال المنكر فسيل عن تلك الحال فقال كان عندي منكر فمنعني الكلب
فلما عدت تبت من ذلك فكان ما رايتم والخامس انه ينبغي ان يقع البحث
عن مقصودك بهذا المطلوب فربما كان في حصوله زياده اثم او تاخير
عن مرتبه خير فكان المنع اصلح وقد روي عن بعض السلف انه كان يسال
الله الغزو فهتف به هاتف انك ان غزوت اسرت وان اسرت تنصرت
والسادس انه ربما فقد ما تفقده سببا للوقوف على الباب واللجا وحصوله
سببا للاشتغال به عن المسول وهذا الظاهر بدليل انه لولا هذه النازله
ما رايناك على باب اللجا فالحق عز وجل علم من الخلق اشتغالهم بالبر عنه
فلذعهم في خلال النعم بعوارض تدفعهم الى بابه يستغيثون به فهذا
من النعم في طي البلا وانما البلا المحض ما يشغلك عنه فاما ما يقيمك بين
يديه ففيه جمالك وقد حكي عن يحيى البكا انه راى ربه عز وجل في المنام فقال

فقد ما
في العابد

فقال يا رب كم ادعوك ولا تجيبني فقال يا يحيى اني احب ان اسمع صوتك
واذا تدبرت هذه الاشيا تشاغلت بما هو انفع لك من حصول ما فاتك
من رفع خلل او اعتذار من زلل او وقوف على الباب او تسليم الى مسبب الاسباب

فصل من نزلت به بليه فاراد تمحيقها فليتصورها اكثر مما هي تهن
وليتخايل ثوابها تضمحل وليتوهم نزول اعظم منها يرى الربح في الاقتصار
عليها وليتلمح سرعة زوالها فانه لولا كرب الشده ما رجيت ساعات
الراحه وليعلم ان مده مقامها عنده كمده مقام الضيف فليتفقد حوائجه
في كل لحظه فيا سرعه انقضا مقامه ويا لذه مدائحه ونشره في المحافل
ووصف المضيف بالكرم فكذلك الشده ينبغي ان تراعى الساعات ويتفقد فيها
احوال النفس ويتلمح الجوارح مخافة ان تبدو من اللسان كلمه او من
القلب تسخط فكان قد لاح فجر الاجر فانجاب ليل البلا ومدح السارى
بقطع الدجى فما طلعت شمس الجزا الا وقد وصل منزل السلامه

فصل لما رايت نفسي في العلم حسنا فهي تقدمه على كل شي وتعتقد
الدليل وتفضل ساعة التشاغل به على ساعة النوافل وتقول اقوى
دليل لي على فضله على النوافل اني رايت كثيرا ممن شغلهم نوافل الصلوه
والصوم عن نوافل العلم عاد ذلك عليهم بالقدح في الاصول فرايتها
في هذا على الجاده السليمه والراي الصحيح الا اني رايتها واقفه مع صورة

التشاغل

التشاغل بالعلم فصحت بها فما الذي افادك العلم اين الخوف اين القلق
اين الحذر او ما سمعت باخبار اخيار الاحبار في تعبدهم واجتهادهم
اما كان الرسول صلى الله عليه واله وسلم سيد الكل ثم انه قام حتى ورمت
قدماه
رجلاه اما كان ابو بكر رضي الله عنه شجي النشيج كثير البكا اما كان في
خد عمر رضي الله عنه خطان من اثار الدموع اما كان عثمن رضي الله
عنه يختم القران في ركعه اما كان علي رضي الله عنه يبكي في محرابه
حتى تخضل لحيته بالدموع ويقول يا دنيا غري غيري اما كان الحسن
البصري على قوة القلق اما كان سعيد بن المسيب ملازما للمسجد
فلم تفته صلوه في جماعه اربعين سنه اما صام الاسود بن يزيد حتى اخضر
اما قالت بنت الربيع بن خثيم له ما لي ارى الناس ينامون وانت لا تنام
فقال ان اباك يخاف البيات اما كان ابو مسلم الخولاني يعلق سوطا
في المسجد يؤدب به نفسه اذا فتر اما صام يزيد الرقاشي اربعين
سنه وكان يقول والهفاه سبقني العابدون وقطع بي اما صام
منصور ابن المعتمر اربعين سنه اما كان سفيان الثوري يبكي الدم
من الخوف اما كان ابراهيم بن ادهم يبول الدم من الخوف اما تعلمين
اخبار الائمه الاربعه في زهدهم وتعبدهم ابو حنيفه ومالك والشافعي
واحمد فاحذري من الاخلاد الى صورة العلم مع ترك العمل به فانها حالة

الكسالى وخافى من الوقوف مع صورة التعبد من غير ان لا ينال في العلم فانها حالة الزمنى



وخذ لك منك على مهلة • ومقبل عيشك لم يدبر
وخف هجمة لا تقيل العثار • وتطوي الورود على المصدر
ومثل لنفسك اي الرعيل • يضمك في حلبة المحشر

فصل يزيد العلم عندي فضلا ان قوما تشاغلوا بالتعبد عن العلم
فوقفوا على الوصول الى حقائق الطلب فروي عن بعض القدماء انه قال رجل
يا ابا الوليد يتورع ان يكنيه ولا ولد له ولو اوغل هذا في العلم لعلم ان النبي إن كنت أبا الوليد
صلى الله عليه واله وسلم كنى صهيبا ابا يحيى وكنى طفلا يا ابا عمير ما فعل
النغير وقال بعض المتزهدين قيل لي يوما كل من هذا اللبن فقلت هذا يضرني
ثم وقفت بعد مدة عند الكعبة فقلت اللهم انك تعلم اني ما اشركت بك طرفة
عين فهتف بي هاتف ولا يوم اللبن وهذا الوضع لجاز ان يكون تأديبا
له لئلا يقف مع الاسباب ناسيا للمسبب والا فالرسول صلى الله
عليه واله وسلم قد قال ما زالت اكلة خيبر تعاودني حتى الان قطعت
ابهري وقال ما نفعني مال كمال ابي بكر ومن المتزهدين اقوام يرون التوكل
قطع الاسباب كلها وهذا جهل بالعلم فان النبي صلى الله عليه واله وسلم
دخل الغار وشاور الطبيب ولبس الدرع وحفر الخندق ودخل مكة
في جوار المطعم بن عدي وكان قرا وقال لسعد لان تدع ورثتك اغنيا خير

لك من ان

لك من ان تدعهم عالة يتكففون الناس فالوقوف مع الاسباب مع نسيان
المسبب غلط والعمل على الاسباب مع تعلق القلب بالمسبب هو المشروع وكل
هذه الظلمات انما تنقطع بمصباح العلم ولقد ضل من مشى في ظلمة الجهل
او في زقاق الهوى فصل ما زال العجب ممن يرى تفضيل الملائكة على
الانبيا والاوليا فان كان التفضيل بالصور فصور الادمي اعجب من ذوي
اجنحة وان نزلت صورة الادمي لاجل اوساخها المنوطة بها فالصورة
ليست الادمي انما هي قالب ثم قد استحسن منها ما يستقبح في العادة مثل
خلوف فم الصايم ودم الشهيد والنوم في الصلوة فبقيت صورة معمورة
وصار الحكم للمعنى الهم من نبه بحبهم او فضيلة يباهي بهم وكيف دار الامر
فقد سجدوا لنا وهو صريح في تفضيلنا عليهم فان كانت الفضيلة بالعلم
فقد علمت الفضيلة يوم لا علم لنا يا ادم انبئهم وان فضلت الملائكة بجوهرية
ذواتهم فجوهرية ارواحنا من ذلك الجنس وعلينا اثقال اعبا الجسم
بالله لولا احتاج الراكب الى الناقة فهو يتوقف لطلب علفها ويرفق
في السير بها لطوى طرق مناقبل العشر وانما انفصل الملائكة بكثرة
التعبد فما ثم صاد او يعجب من الما اذا جرى او من منحدر يسرع انما العجب
من متصاعد بلى قد يصور منهم الخلاف ودعوى الالهية بقدرتهم على
دك الصخور وشق الارض ولذلك توعدوا ومن يقل منهم اني اله من دونه



كذلك بخزنة جهنم لكنهم لا يعلمون عقوبة الحق فيعلمونه فيجدرون فاما بعدنا عن المعرفة الحقيقية وضعف يقيننا بالناهي وغلبة شهواتنا مع الغفلة فمحتاج الى جهاد اعظم من جهادهم تالله لو ابتلي احد من المقربين بما ابتلينا به لم يقدر على التماسك بصبح احدنا وخطاب الشرع يقول له اكسب لعايلتك واحذر في كسبك وقد يكون منه ما ليس من فعله من حب الاهل وعلوق الدنيا بفنا الظا القلب واحتياج بدنه الى ما لا بد منه فتارة يقال للخليل عليه السلام اذبح ولدك بيدك واقطع ثمرة فوادك بكفك ثم قم الى المنجنيق لترمى في النار وتارة يقال لموسى عليه السلام صم شهرا ليلا ونهارا ثم يقال للغضبان اكظم وللبصير اغضض ولذي المقول اصمت ولمستلذ النوم تهجد ولمن مات حبيبه اصبر ولمن اصيب في بدنه اشكر وليواقف في الجهاد بين اثنين لا يحل ان تفر ثم اعلم ان الموت يأتي باصعب المرارات فينزع الروح عن البدن فاذا نزل فاثبت ولتعلم انك مزوق في القبر فلا تسخط الان بما جرى به القدر وان وقع بك مرض فلا تشك الى الخلق فهل للملائكة من هذه الاشياء شي وهل ثم الا عبادة تا دجر ليس فيها مقاواة طبع ولا رد هوى وهل هي الا عبادة صورية بين ركوع وسجود وتسبيح فاين عبادتهم المعنوية من عباداتنا ثم الذهم في خدمتنا ثم اكثرهم في خدمتنا بين كتبة علينا وحافظين عنا

ومسعوى

٧

ومسخرين لارسال الريح والمطر واكثر وصايفهم الاستغفار لنا فكيف يفضلون علينا بلا علة ظاهرة او ما حكت على محك الخبار منهم هاروت وماروت فجرحا اقبح من بهرج ولا تظنن اني اعتقد في تعبد الملائكة نوع تقصير لانهم شديد الاشفاق والخوف لعلمهم بعظم الخالق لكن طمانينة من لم يخطي تقوي نفسه وانزعاج الخايف في الزلل ترقيه وحر الى الترقي فاعرفوا اخواني شرف اقداركم وصونوا جواهركم عن تدنيسها بلوم الذنوب فانتم بعرض الفضل على الملائكة فاحذروا ان يحطكم الذنوب الى حضيض البهايم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **فصل** رايت كثيرا من الخلق وعامة العلما لا ينتهون عن البحث عن اصول الاشيا التي امروا بعلم جملها من غير بحث عن حقايقها كالروح مثلا فان الله تعالى سترها بقوله قل الروح من امر ربي فلم يقتنعوا واخذوا يبحثون عن ماهيتها ولا يقعون بشي ولا يثبت لاحد منهم برهان على ما يدعيه وكذلك العقل فانه موجود بلا شك كما ان الروح موجود بلا شك وكلاهما يعرف باثاره لا بتحقيقه ذاته فان قال قايل فما السر في كتم هذه الاشيا قلت لان النفس ما تزال تترقى من حالة الى حالة فلو اطلعت على هذه الاشيا لترقت الى خالقها فكان ستر ما دونه زيادة في تعظيمه لانه اذا كان بعض مخلوقاته يعلم جمله فهو اجل واعلى ولو قال قايل ما الصواعق ما البرق وما الزلازل قلنا شي مزعج

ويكفي في الستر في ستر هذ أنه لو كشفت حقايقه خف مقدار تعظيمه
ومن تلمح هذا الفصل علم انه فصل عزيز فاذا ثبت هذا في المخلوقات
فالخالق اجل واعلا فينبغي ان يوقف في اثباته على دليل وجوده ثم يستدل
على جواز بعثه رسله ثم تتلقى اوصافه من كتبه ورسله ولا يزاد على ذلك
ولقد بحث خلق كثير عن صفاته باراهم فعاد وبال ذلك عليهم واذا قلنا
انه موجود وعلمنا من كلامه انه سميع بصير حي قادر كفانا هذا في صفاته
ولا نخوض في شي اخر وكذلك نقول متكلم والقران كلامه ولا نتكلف ما
فوق ذلك ولم يقل السلف تلاوه ومتلو وقراه ومقرو ولا قالوا استوى
على العرش بذاته ولا قالوا ينزل بذاته بل اطلقوا ما ورد من غير زياده
ونفوا ما ثبت بالدليل مما لا يجوز عليه وهذه كلمات كالمثال فقس
عليها جميع الصفات تفز سليما من تعطيل متخلصا من تشبيه فصل
رايت اكثر الخلق في وجودهم كالمعدومين فمنهم من لا يعرف الخالق
ومنهم من يثبته على مقتضى حسه ومنهم من لا يفهم المقصود من التكليف
فترى المتوسمين بالزهد يدابون في القيام والقعود ويتركون الشهوات
وينسون ما قد نسوا به من شهوه الشهره وتقبيل الايادي ولو كلم احدهم
قال الي مثلي يقال هذا ومن فلان الفاسق فهولا لا يفهمون المقصود
وكذلك كثير من العلما في احتقارهم غيرهم والتكبر في نفوسهم تعجبت

كيف يصلح

كيف يصلح هولا لمجاورة الحق وسكنى الجنه فرايت ان المعايده في
وجودهم في الدنيا تجانس الغايه في دخولهم الجنه فانهم في الدنيا بهم
يعرف عارف الله سبحانه نعمه الله عليه بما كشف له مما غطي عن غيره ويتم النظام
بالاقتدا بصور اوليك فان العارف لا يتسع وقته لمخالطه من يقف
مع الصور فالزاهد كراع البهم والعالم كمودب الصبيان والعارف ملقن
الحكمه ولولا انقاط الملك وحارسه وقفا اقوته ما تم عيشه فمن تمام
عيش العارف استعمال اوليك بجنسهم فاذا وصلوا الجنه حرر ما معهم وفيهم
من لا يصل اليه فيكون وجود اوليك كزياده لا في الكلام هي حشو وهي
موكده فان قال قايل نعم هذا يصح في الدنيا فكيف في الجنه والجواب
ان الانس بالجيران مطلوب ورويه القاصر من تمام لذه الكامل ولكل
شرب ومن تامل ما اشرت اليه كفاه رمز لفظي عن تطويل الشرح فصل
لما تلمحت تدبير الصانع في سوق رزقي بتسخير السحاب وانزال المطر
برفق والبذر تحت الارض كالموتى قد عفن ينتظر نفخه من صور الجنوب
فاذا اصابه فاذا اهتز خضرا وانقطع عنه الما مد يد الطلب واما له راسه
خاضعا وليس حلل التغير فهو محتاج الى ما انا محتاج اليه من حراره الشمس
وبروده الما ولطف النسيم وتربيه الارض فسبحان من اراني فيه ما يربيني
به كيف تربيتي في الاصل فيا ايتها النفس التي قد اطلعت على بعض حكمه قف

لك والله الاقبال على غيره ثم العجب كيف تقبلين على فقير مثلك ينادي
لسان حاله • بي مثل ما بك يا حمام • فارجعي الى الاصل الاول واطلبي من المسبب
ويا طوبى لك ان عرفتيه فان عرفانه ملك الدنيا والاخرة **فصل** كنت في
بداية الصبوة قد الهمت طريق الزهاد بادامة الصوم والصلوة وحبب
الى الخلوة فكنت اجد قلبا طيبا وكانت عين بصيرتي قوية الحدة تتاسف
على لحظة تمضي في غير طاعة وتبادر الوقت في اغتنام الطاعات ولي نوع
انس وحلاوة مناجاة فانتهى الامر الى ان صار بعض ولاة الامور يستحسن
كلامي فامالني اليه فمال الطبع ففقدت تلك الحلاوة ثم استمالني اخر
فكنت اتقي مخالطته ومطاعمه لخوف الشبهات وكانت حالتي قريبة
ثم جا التاويل فانبسطت فيما يباح فعدم ما كنت اجد وصارت المخالطة
توجب ظلمة في القلب الى ان عدم النور كله فكان حنيني الى ما ضاع مني
يوجب انزعاج اهل المجلس فيتوبون ويصلحون واخرج مفلسا فيما
بيني وبين حالي وكثر ضجيجي من مرضي وعجزت عن طب نفسي فلجات
الى قبور الصالحين وتوسلت في صلاحي فاجتذبني لطف مولاي
بي الى الخلوة على كراهة مني ورد قلبي علي بعد نفوره عني واراني عيب
ما كنت اثره فافقت من مرض غفلتي وقلت في مناجاة خلوتي سيدي
كيف اقدر على شكرك وباي لسان انطق بمدحك اذ لم تاخذني على

غفلتي

غفلتي ونبهتني من رقدتي واصلحت حالي على كره من طبعي فما اربحني فيما
سلب مني اذ كانت ثمرته اللجا اليك وما اوفر جمعي اذ ثمرته اقبالك على
الخلوة بك وما اغناني اذ افقرتني اليك وما انسني اذا اوحشتني بالعتاب
لخلقك اه على زمان ضاع في غير خدمتك واسفا لوقت مضى في غير طاعتك
وقد كنت اذا انتبهت وقت الفجر لا يولمني نومي طول الليل واذا انسلخ
عني النهار لا يوجعني ضياع ذلك اليوم وما علمت عدم الاحساس لقوة
المرض فالان قد هبت نسايم العافية فاحسست بالالم فاستدللت
على الصحة فيا عظيم الانعام تمم لي العافية اه من سكر لم يعلم قدر عربدته
الا في وقت الافاقة لقد فتق ما يصعب رتقه فوا اسفا على بضاعة
ضاعت وعلى ملاح تعب في موج التمثال مصاعد امد ثم غلبه النوم فرد
الى مكانه الاول يا من يقرا سطور شكواي من حالي اسمع تحذيري من التخليط
فاني وان كنت خنت نفسي بالفعل نصيح لاخواني بالقول احذروا اخواني
من الترخص فيما لا يومن فساده فان الشيطان يزين المباح في اول مرتبة
ثم يجر الى الجناح فتلمحوا المال وافهموا الحال وربما اراكم الغاية الصالحة
وكان في الطريق اليها نوع مخالفة فيكفي الاعتبار في تلك الحال بابيكم
هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى انما تامل ادم الغاية وهي الخلد ولكنه
غلط في الطريق وهذا اعجب مصايد ابليس يصيد بها العلماء يتاولون

لعواقب المصالح فيستحلون ضرب المفسد مثلا لان يقول العالم ادخلوا
هذا الظالم فاشفع في مظلوم فيتعجل الداخل رؤية المنكرات ويتزلزل
دينه وربما وقع في شرك صار به اظلم من ذلك الظالم فمن لم يثق بدينه
فليحذر من المصائد فانها خفية واسلم ما للجبان العزلة خصوصا
في زمان قد مات فيه المعروف وعاش المنكر ولم يبق لاهل العلم وقع عند
الولاة فمن داخلهم دخل معهم فيما لا يجوز ولم يقدر على جذبهم مما هم فيه
ثم من تامل العلماء الذين يعملون لهم في الولايات يراهم منسلخين
من نفع العلم قد صاروا كالشرط فليس الا العزلة عن الخلق والاعراض
عن كل تاويل فاسد في المخالطة ولان انفع نفسي وحدي خير لي من ان
انفع غيري وانضر فالحذر الحذر من خوادع التاويلات وفواسد
الفتاوى والصبر الصبر على ما يوجبه العزلة فانه ان انفردت بمولاك
فتح لك باب معرفته فهان كل صعب وطاب كل مر وتيسر كل عسير و
حصلت كل مطلوب والله الموفق بفضله ولا حول ولا قوة الا بالله

فصل تاملت على نفسي تاويلا في مباح انال به شيئا من الدنيا الا
انه في باب الورع كدر قرايته اولا قد اختلج في الدين فذهبت حلاوة
المعاملة لله تعالى ثم عاد فتخلص صريح حلبي له فوقع الفقد للحالين
فقلت لنفسي ما مثلك الا كمثل والي ظالم جمع من غير حله فصودر فاخذ

منه الذي

منه الذي جمع واخذ ما لم يجمع فالحذر الحذر من فساد التاويل فان الله
تعالى لا يخادع ولا ينال ما عنده بمعصيته

فصل رايت نفسي كلما
صفى ذكرها او اتعظت بمزح او زارت قبور الصالحين تتحرك همتها في
طلب العزلة والاقبال على معاملة الله تعالى فقلت لها يوما وقد كلمتني في
ذلك حدثيني ما مقصودك وما نهاية مطلوبك اتراك تريدين مني ان
اسكن قفرا لا انيس به فتفوتني صلوة الجماعة ويضيع مني ما قد علمته
لفقد من اعلمه وان اكل الخشن الذي لم اتعوده فيقع لضوي طلحا في
يومين وان البس الخشن الذي لا اطيقه فلا ادري من كرب محمولي اين
انا وان اتشاغل عن طلب ذرية تتعبد بعدي مع تمنع القدرة على الطلب
تالله ما نفعني العلم الذي بذلت فيه عمري ان وافقتك وانا اعرفك غلط
ما وقع لك بالعلم اعلمي ان البدن مطية والمطية اذا لم يرفق بها لم
تصل براكبها الى المنزل وليس مرادي بالرفق الاكثار من الشهوات
وانما اعني اخذ البلغة الصالحة للبدن فحينئذ يصفو الفكر ويصح
العقل ويقوى الذهن الا ترى الى تاثير المعوقات عن صفاء الذهن
في قوله عليه السلام لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان وقاس
العلماء على ذلك الجوع وما يجري مجراه من كونه حاقنا او حاقبا وهل
الطبع الا كطفل يشغل بالاكل فاذا رمى له ما يتشاغل به طاب له الاكل

فاما الانفراد والعزلة فعن الشر لا عن الخير ولو كان ثبا وقع لكم خير
لنقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن اصحابه رضي الله عنهم هيهات
لقد عرفت ان اقواما دام بهم التقلل واليبس الى ان تغيرت فكرهم وقوي
الخلط السوداوي عليهم فاستوحشوا من الناس ومنهم من اجتمعت له
من الماكل الردية اخلاط بحيث يبقى اليوم واليومين والثلاثة لا ياكل وهو
يظن ذلك من امداد اللطف العطف واذا به من سوء الهضم ومنهم من ترقى
به الخلط الى رؤية الاشباح فيظنها فالله الله في العلم والله الله في
العقل فان نور العقل لا ينبغي ان يتعرض باطفائه والعلم لا يجوز الميل
الى نقيضه فاذا حفظا حفظا وطابق الزمان ودفعا ما يوذي وجلبا
ما يصلح وصارت القوانين مستقيمة في المطعم والمشرب والمخالطة
فقالت لي النفس من وظف لي وظيفة واحسبني مريضا قد كتب له شربة
فقلت لها قد دللتك على العلم وهو طبيب حاذق يصف كل لحظة لكل عارض
دواء ملائم وفي الجملة ينبغي لك لزوم تقوى الله عز وجل في المنطق والمنظر
وجميع الجوارح وتحقيق الحلال في المطعم وابتداع كل لحظة ما يصلح لها من
الخير ومناهبة الزمان في الافضل ومجانبة ما يوجب الى ما يوذي من ربح او
وقوع خسران ولا تعملي عملا الا بعد تقديم النية وتاهبي لمزعج الموت
فكان قد وما عندك من محنة في اي وقت يكون ولا تعرضي لمصالح

البدن بل وفرها عليه وداو له اياها على قانون الصواب لا على
مقتضى الهوى فان اصلاح البدن سبب لاصلاح الدين ودع الرعونة
التي يدل عليها الجهل لا العلم من قول النفس فلان ياكل الخل والبقل
وفلان لا ينام الليل واحملي ما تطيقين وما قد علمت قوة البدن عليه
فان البهيمة اذا اقبلت الى نهر او ساقية وضربت لتطفر لم تفعل حتى
ترى نفسها فان علمت فيها قوة الطفر طفرت وان علمت انها لا تطيق
لم تفعل ولو قتلت وليس كل الابدان تتساوى في الاطاقة ولقد حمل
اقوام من المجاهدات في بداياتهم اشيا اوجبت امراضا قطعتهم عن
خير وسخطت قلوبهم بوقوعها فعليك بالعلم فانه شفاء من كل داء والله
الموفق **فصل** عجبت من اقوام يدعون العلم ويميلون الى
التشبيه بحملهم الاحاديث على ظواهرها فلو انهم امروها كما جاءت
سلموا لان من امر ما جاء ومر من غير اعتراض ولا تعرض فما قال
شيئا له ولا عليه ولكن اقواما قصرت علومهم فراوا ان حمل الكلام على غير
ظاهره نوع تعطيل ولو فهموا سعة اللغة لم يظنوا هذا وما هم الا بمثابة
قول الحجاج لكاتبه وقد مدحته الخنساء فقالت

اذا هبط الحجاج ارضا مريضة ... تتبع اقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلام اذا هز القناة شفاها

فلما امتنت القصيدة قال الكاتبة اقطع لسانها فجاذاك الكاتب المغفل بالموسى فقالت له ويحك انما قال اجزل لها العطا ثم ذهبت الى الحجاج فقالت كاد والله يقطع مقولي فكذلك الظاهرية الذين لم يسلموا بالتسليم فانه من قرا الايات والاحاديث ولم يزد لم المه وهذه طريقة السلف فاما من قال الحديث يقتضي كذا ويحمل على كذا مثل ان يقول استوى على العرش بذاته وينزل الى السما الدنيا بذاته فهذه زيادة فهمها قائلها من الحس لا من النقل ولقد عجبت لرجل اندلسي يقال له ابن عبد البر صنف كتاب التمهيد فذكر فيه حديث النزول الى السما الدنيا فقال هذا يدل على ان الله على العرش لانه لولا ذلك لما كان لقوله ينزل معنى وهذا كلام جاهل بمعرفة الله عز وجل لان هذا استسلف من حسه ما يعرفه من نزول الاجسام فقاس صفة الحق عليه فاين هولا واتباع الاثر ولقد تكلموا باقبح ما يتكلم به المتاولون ثم عابوا المتكلمين واعلم ايها الطالب للرشاد انه قد سبق الينا من العقل والنقل اصلان راسخان عليهما تمر الاحاديث كلها اما النقل فقوله سبحانه وتعالى ليس كمثله شي ومن فهم هذا لم يحمل وصفا له على ما يوجبه الحس واما العقل فانه قد علم مباينة الصانع للمصنوعات واستدل على حدوثها بتغيرها ودخول الانفعال عليها فثبت له قدم الصانع واعجبا كل

العجب من

العجب من راو لم يفهم اليس في الحديث الصحيح ان الموت يذبح بين الجنة والنار اوليس العقل اذا استفتي في هذا صرف الامر عن حقيقته لما ثبت عنده من فهم ماهية الموت فقال الموت عرض يوجب بطلان الحيوة فكيف يمات الموت فاذا قيل له فما يصنع بالحديث قال هذا ضرب مثل باقامة صورة ليعلم بتلك الصورة الحسية فوات ذلك المعنى قلنا له فقد روي في الصحيح تاتي البقرة وال عمران كانهما غمامتان فقال الكلام لا يكون غمامة ولا يتشبه بها قلنا له افتعطل النقل قال لا ولكن ياتي ثوابهما قلنا فما الدليل الصارف لكم عن هذه الحقايق فقال علمي بان الكلام لا يتشبه بالاجسام والموت لا يذبح ذبح الانعام ولو علمتم سعة لغة العرب ما ضاقت اعطانكم من سماع مثل هذا فقال العلما صدقت هكذا نقول في تفسير مجي البقرة وفي ذبح الموت فقال واعجبا لكم صرفتم عن الموت والكلام ما لا يليق بهما حفظا لما علمتم من حقايقهما فكيف لم تصرفوا عن الاله القديم ما يوجب التشبيه له بخلقه مما قد دل الدليل على تنزيهه عنه فما زال يجادل الخصوم بهذه الادلة ويقول لا اقطع حتى اقطع فما قطع حتى قطع

فصل

تنكرت في اسرائيل اوجبه حرف اية الرجم من القران لفظا مع ثبوت حكمها اجماعا فوجدت لذلك معنيين احدهما لطف الله تعالى بعباده في انه لا يواجههم باعظم ما

بلغ كره الجلد وستر الرحم ومن هذا المعنى قال بعض العلماء ان الله تعالى
قال في المكروهات كتب عليكم الصيام على لفظ ما لم يسم فاعله وان كان
قد علم انه هو الكاتب فلما جاء الى ما يوجب الراحة قال كتب على نفسه الرحمة
والوجه الثاني ان يشير بذلك الى فضل الامر في بذلها النفوس تنوعا
ببعض الاله فان الاتفاق لما وقع على ذلك الحكم كان دليلا الا انه
ليس كالدليل المتفق لاجله ومن هذا الجنس شروع الخليل عليه
السلام في ذبح ولده بمنام وان كان الوحي في اليقظة اكد

فصل

عرضت لي حالة التجات فيها بقلبي الى الله تعالى وحده عالما بانه لا
يقدر على جلب نفع ودفع ضر سواه ثم قمت اتعرض بالاسباب فانكر علي
يقيني وقال هذا قدح في التوكل فقلت ليس كذلك فان الله تعالى
وضع من الحكم وكان معنى حالي انا وضعت لا يفيد وان وجوده كالعدم
وما زالت الاسباب في الشرع كقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة
فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا حذرهم وقال تعالى فذروه في سنبله
وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين درعين وشاور طبيبين ولما
خرج الى الطائف لم يقدر على دخول مكة حتى بعث الى المطعم بن عدي
فقال ادخل في جوارك وقد كان يمكنه ان يدخل متوكلا بلا سبب فاذا
جعل الشرع الامور منوطة بالاسباب كان اعراضي عن الاسباب دفعا

للحكمة

للحكمة ولهذا ارى ان التداوي مندوب اليه وقد ذهب صاحب مذهبي
الى ان ترك التداوي افضل ومنعني الدليل من اتباعه في هذا فان في الحديث
الصحيح ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما انزل الله داء الا وانزل له
دواء فتداووا وادنى مرتبة هذه اللفظة الامر والامر اما ان يكون واجبا او ندبا
ولم يسبقه حظر فيقال هو امر اباحة وكانت عائشة رضي الله عنها تقول
تعلمت الطب من كثرة امراض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما ينعت
له وقال عليه السلام لعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه كل من هذا فانه اوفق
لك من هذا ومن ذهب الى ان تركه افضل احتج بقوله عليه السلام
يدخل الجنة سبعون الفا بلا حساب ثم وصفهم فقال لا يكتوون
ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وهذا لا ينافي
التداوي لانه قد كان اقوام يكتوون ليلا يمرضون ويسترقون ليلا
تصيبهم نكبة وقد كوى عليه السلام اسعد بن زرارة ورخص في
الرقية في الحديث الصحيح فعلمنا ان المراد ما اشرنا اليه واذا عرفت
الحاجة الى اسهال الطبع رايت اكل البلوط مما يمنع منه علي وشرب ماء
التمر الهندي اوفق وهذا طب فاذا لم اشرب ما يوافقني ثم قلت اللهم
عافني قالت لي الحكمة اما سمعت اعقلها وتوكل اشرب وقل عافني
ولا تكن كمن بين زرعه وبين النهر كف من تراب تكاسل ان يرفعه بيده

ثم قام فصلى صلوة الاستسقا وما هذه الحالة الا حال من شافع على التجربة
وانما شافع على التجريد لانه جرب ربه عز وجل هل يفعل او لا وقد تقدم
الامر اليه وتزودوا فعال الا تزود فهذا هالك قبل ان يهلكه ولو وافق حاجته
صلوة وليس معه ما ليم على نفسه بطره وقيل له هلا استصحبت الماء قبل
المفازه فالحذر الحذر من افعال اقوام وقفوا فرقوا عن الاوضاع التي تنفعهم
وظنوا ان كمال الدين بالخروج عن الطباع والمخالفة للاوضاع
ولولا قوة العلم والرسوخ فيه لما قدرت على شرح هذا ولا عرفته فافهم
ما اشرت اليه فهو انفع اليك من كراريس تسمعها ولكن مع اهل المعاني
لا مع اهل الحشو فصل للحث على خلوق كثير من الناس اهمال بدانهم
فمنهم من لا ينظف فمه بالحلال بعد الاكل ومنهم من لا ينقي يديه
في غسلها من الزهم ومنهم من لا يكاد يستاك ومنهم من لا يكتحل ومنهم
من لا يراعي الابط الى غير ذلك فيعود هذا الاهمال بالخلل في الدين
والدنيا اما الدين فانه قد امر بالتنظف والاغتسال للجمعة لاجل اجتماعه
بالناس ونهى عن دخول المسجد اذا اكل الثوم وامر الشرع بتنقية
البراجم وقص الاظفار والسواك والاستحداد وغير ذلك من الاداب
فاذا اهمل ذلك ترك مسنون الشرع وربما تعدا بعض ذلك الى فساد
العباده مثل ان يهمل اظفاره فيجمع تحتها الوسخ المانع للماء في الوضوء

ان يصل

ان يصل واما الدنيا فاني رايت جماعة من المهملين انفسهم يتقدمون
الى الاسرار والغفلة التي وجبت لهم انفسهم اوجبت جهلهم بالاخبار
الحادثة عنهم فاذا اخذوا في مناجاة السر لم يمكن الا ان اصدف عنهم
لانهم يقصدون السر فالتي الشدائد من ريح افواههم ولعل اكثرهم من وقت
انتباهه ما امر اصبعه على اسنانه ثم يوجب مثل هذا نفور المرأة وقد لا يستحسن
ذكر ذلك للرجل فيثمر ذلك التفاتها عنه وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما
يقول اني لاحب ان اتزين للمرأة كما احب ان تتزين لي وفي الناس من
يقول هذا تصنع وليس بشيء فان الله تعالى زيننا لما خلقنا لان للعين
حظا في النظر ومن تامل اهداب العين والحاجبين وحسن ترتيب
الخلقة علم ان الله تعالى زين الادمي وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم
انظف الناس واطيب الناس وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم يرفع
يديه حتى يبين عفرة ابطيه وكان ساقه ربما انكشف فكانها جمارة وكان
لا يفارقه السواك وكان يكره ان يشم منه ريح ليست طيبة وفي الحديث
انه في الصحيح ما شاء الله سبحانه وقد قالت الحكماء من نظف ثوبه قل همه
ومن طاب ريحه زاد عقله وقال عليه السلام لاصحابه ما لكم تدخلون
علي قلحا استاكوا وقد فضلت الصلوة بالسواك على الصلوة بغير سواك
فالمتنظف ينعم نفسه ويرفع منها عندها وقد قال الحكماء من طال

خطره فقصرت يديه ثم انه يقرب من قلوب الخلق وتحبه النفوس لنظافته
وطيبه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الطيب ثم انه يانس الزوجه
بتلك الحال فان النسا شقايق الرجال كما انه يكره الشي منها فكذلك
هي تكرهه وربما صبر هو على ما يكرهه وهي لا تصبر وقد رايت جماعة يزعمون
انهم زهاد وهم من اقذر الناس وذلك لانه ما فقههم العلم واما ما يحكى
عن داود الطائي انه قيل له لو سرحت لحيتك فقال اني عنها مشغول
فهذا قول معتذر عن العمل بالسنه والاخبار عن غيبته عن نفسه
بشده خوفه من الاخره ولو كان مفيقا لذلك لم يتركه فلا يحتج بحال
المغلوبين ومن تامل خصال الرسول صلى الله عليه واله وسلم راى
كاملا في العلم والعمل فبه الاقتدا وهو الحجه على الخلق **فصل** انا لله
مما لحق ارباب الدنيا في اتقا الحر والبرد وقرابتها بعكس المقصود في باب
الحكمه وانما يحصل بجود لذه ولا خير في لذه تعقب الما فاما الحر فانهم
يشربون الما المثلوج وذلك على غايه في الضرر واهل الطب يقولون
انه يحدث امراضا صعبه يظهر اثرها في وقت الشيخوخه ويصنعون
الخيوش المضاعفه وفي البرد يصنعون اللبود المانعه للبرد وهذا
من حيث الحكمه يضاد ما وضعه الله تعالى فانه جعل الحر لحلل الاخلاط
والبرد لجمودها فيجعلون هم جميع السنه ربيعا فيعكس الحكمه التي

وضع الحر والبرد لها



وضع الحر والبرد لها ويرجع الاذى على الابدان ولا يظنن سامع هذا
اني امره بملاقاة الحر والبرد وانما اقول له لا تفرط في التوقي ويعرض في
الحر بما يحلل بعض الاخلاط الى حد لا ان تؤثر في القوه وفي البرد بان يصيبك
منه الامر القريب لا المؤذي فان الحر والبرد لمصالح البدن وقد كان بعض
الامرا يصون نفسه من الحر والبرد اصلا فرا جوفه ومات عاجلا وقد
ذكرت قصته في كتاب لقط المنافع في علم الطب **فصل** ليس في التكليف
شي اصعب من الصبر على القضا ولا فيه افضل من الرضا به فاما الصبر فهو
فرض واما الرضا فهو فضل وانما صعب الصبر لان القدر يجري في الاغلب
بمكروه النفس وليس مكروه النفوس يقف على المرض والاذى في البدن
بل يتنوع حتى يتحير العقل في جريان القدر فمن ذلك انك اذا رايت مغمورا
بالدنيا قد سالت له اوديتها حتى لا يدري ما يصنع بالمال فهو يصوغه
اواني يستعملها ومعلوم ان البلور والعقيق والشبه قد يكون احسن
منها صوره غير ان قلت مبالاته بالشريعه جعلت عنده وجود النهي
كعدمه ويلبس الحرير ويظلم الناس والدنيا منصبه عليه ثم ترى خلقا
من اهل الدين وطلاب العلم مغمورين بالفقر والبلا مقهورين تحت ولايه
ذلك الظالم فحينئذ يجد الشيطان طريقا للوسواس ويبتدي بالقدح
في حكمه القدر فيحتاج المومن الى الصبر على ما يلقى من الضر في الدنيا وعلى جدال

ابليس في ذلك وكذلك في تسليط الكفار على المسلمين والفساق على اهل
الدين وابلغ من هذا ايلام الحيوان وتعذيب الاطفال ففي مثل هذه المواطن
يتمحص الايمان ومما يقوى الصبر على الحالتين النقل والعقل اما النقل فالقران
والسنة اما القران فينقسم الى قسمين احدهما بيان سبب اعطا الكافر والعاصي
فمن ذلك قوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولولا ان يكون الناس امة واحدة
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة واذا اردنا ان نهلك
قرية امرنا مترفيها وفي القران من هذا كثير والقسم الثاني ابتلا المومن
بما يلقى كقوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين امنوا منكم
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم
الباسا والضرا وزلزلوا وفي القران من هذا كثير واما السنة فتنقسم
الى قول وحال اما الحال فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتقلب على رمال
حصير يوثر في جنبه فبكى عمر رضي الله عنه وقال كسرى وقيصر في الحرير
والديباج فقال له صلى الله عليه وآله وسلم افي شك انت الا ترضا ان يكون
لنا الاخرة ولهم الدنيا واما القول فكقوله عليه السلام لو ان الدنيا
تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ما واما العقل
فانه يقوى عساكر الصبر بجنود منها ان يقول قد ثبت عندي بالادلة
القاطعة حكمة المقدر فلا اترك الاصل الثابت لما تظنه الجاهل خللا

ومنها ان

ومنها ان يقول اما قرا ستر ولترابها الناظر من بسط يد العاصي قبض في
المعنى وما قد اثر عندك من قبض الطايع بسط في المعنى لان ذلك
البسط يوجب عقابا طويلا وهذا القبض يوثر انبساطا في الاجر جزيلا
فزمان الرجلين ينقضي عن قريب والمراحل تطوى والركبان في الحديث
ومنها ان تقول قد ثبت ان المومن بالله كالاجير وان زمن التكليف كبياض
نهار ولا ينبغي للمستعمل في الطين ان يلبس نظيف الثياب بل ينبغي ان
يصابر ساعات العمل فاذا فرغ تنظف ولبس اجود ثيابه فمن ترفه وقت
العمل ندم وقت تفريق الاجرة وعوقب على التواني فيما كلف فهذه النبذ
يقوى بها الصبر وازيدها بسطا فاقول اترى اذا اريد اتخاذ شهدا
فكيف لا يخلق اقوام تسطو ايديهم لقتل المومنين افيجوز ان يفتك بعمر
الامثل ابي لولوه وبعلي الامثل ابن ملجم افيصلح ان يقتل يحيى بن زكريا
الاجبار كافر ولو ان عين الفهم زال عنها غشا العشى لرات المسبب
لا الاسباب والمقدر لا الاقدار فصبرت على بلائه ايثارا لما يريد
ومن هاهنا ينشى الرضا كما قيل لبعض اهل البلا ادع الله تعالى فقال احب الي ما احبه
الله عز وجل ان كان رضاكم في سهري • فسلام الله على وسني • • •
فصل لما انتهت كتابة الفصل المتقدم هتف بي هاتف من باطني
دعني من شرح الصبر على الاقدار فاني قد اكتفيت بانموذج ما شرحت

وصف الحال الرضا فاني احد شيئا من ذكره فيه روح الروح
فقلت ايها الهاتف اسمع الجواب وافهم الصواب ان الرضا من جملة ثمرات
المعرفة فاذا عرفته رضيت بقضائه وقد يجري في ضمن القضا مرارات
تجد بعض طعمها الراضي واما العارف فتقل عنده المرارة لقوة
حلاوة المعرفة فاذا ترقى بالمعرفة الى المحبة صارت مرارة الاقدار كما قال
القايل • عذابه فيك عذب • وبعده فيك قرب • وانت عندي كروحي •
• بل انت منها احب • حسبي من الحب اني • لما تحب احب •
وقال بعض المحبين • ويقبح من سواك الفعل عندي • فتفعله فيحسن منك ذاكا •
فصاح بي الهاتف حدثني لماذا رضى قد راني ارضى في اقداره بالمرض
والفقر افارضى بالكسل عن خدمته والبعد عن اهل محبته وبين
لي ما الذي يدخل تحت الرضا مما لا يدخل فقلت له نعم ما سالت فاسمع
الفرق سماع من القى السمع وهو شهيد ارض بما منه فاما الكسل
والتخلف فذاك منسوب اليك فلا ترض به من فعلك وكن مستوفيا
حقه عليك مناقشا نفسك فيما يقربك منه غير راض منها بالتواني في
المجاهدة فاما ما يصدر من اقضيته المجردة التي لا كسب لك فيها فكن
راضيا بها كما قالت رابعة رحمة الله عليها وقد ذكر عندها رجل من العباد
يلتقط من مزبلة فياكل فقيل هلا سال الله تعالى ان يجعل رزقه من

غير هذا

غير هذا فقالت ان الراضي لا يتخير ومن ذاق طعم المعرفة وجد فيه طعم
المحبة فوقع الرضى عنده ضرورة فينبغي الاجتهاد في طلب المعرفة بالادلة
ثم العمل بمقتضى المعرفة بالجد في الخدمة لعل ذلك يورث المحبة فقد قال سبحانه
وتعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به فذلك الغنى الاكبر وافقراه فصل
رايت جمهور العلما يشغلهم طلبهم للعلم من زمن الصبي عن المعاش
فيحتاجون الى ما لا بد منه فلا يصلهم من بيت المال شي ولا من صلوة
الاخوان ما يكفي فيحتاجون الى التعرض بالاذلال فلم ار في ذلك من الحكمة
الا سببين احدهما قمع اعجابهم بهذا الاذلال والثاني نفع اولئك بثوابهم
ثم امعنت الفكر فلاحت نكتة لطيفة وهي ان النفس الابية اذا رات حال
الدنيا كذلك لم يساكنها القلب ونبت عنها بالعزم ورات اقرب اشيا
شبهها مزبلة عليها الكلاب او غايطا تؤتى لضرورة فاذا انزل الموت
بالرحل عن مثل هذه الدار لم يكن للقلب بها متعلق متمكن فيهون
حينئذ فصل ما زال جماعة من المتزهدين يزرون على كثير من
العلما اذا انبسطوا في مباحات والذي حملهم على هذا الجهل فلو كان
عندهم فضل علم ما عابوهم وهذا لا يكون الا بالطباع ولا تتساوى فرب شخص

يصلح على خشونة العيش وآخر لا يصلح على ذلك ولا يجوز لأحد أن يحمل
غيره ما يطيقه هو غير أن لنا ضابطا هو الشرع فيه الرخصة وفيه العزيمة
فلا ينبغي أن يلام من حصر نفسه في ذلك الضابط ورب رخصة كانت
أفضل من عزائم التأثير نفعها ولو علم المتزهدان أن العلم يوجب المعرفة بالله
تعالى فتثبت للقلوب من خوفه وبحل الاجسام للحذر منه فوجب
التلطف بالاجسام حفظا للقوة الراحلة ولأن آلة العلم والحفظ
القلب والفكر فإذا رفهت الآلة جاد العمل وهذا أمر لا يعلم إلا بالعلم
فلجهل المتزهدين بالعلم أنكروا ما لم يعلموا وظنوا أن المراد تعاطي الأبدان
وإنضاء الرواحل وما علموا أن الخوف المضني يحتاج إلى راحلة مقاومة
كما قال القائل روحوا القلوب تعي الذكر **فصل** ليس في الوجود شيء
أشرف من العلم كيف لا وهو الدليل فإذا عدم وقع الضلال وإن من
خفي مكايد الشيطان أن يزين في نفس الإنسان التعبد ليشغله عن
أفضل التعبد وهو العلم حتى إنه زين لجماعة من القدماء أنهم دفنوا
كتبهم ورموها في البحر وهذا قد ورد عن جماعة فأحسن ظني
بهم أن أقول كان فيها شيء من رأيهم وكلامهم فما أحبوا انتشاره وإلا
فمتى كان فيها علم مفيد صحيح لا يخاف عواقبه كان رميها إضاعة
للمال لا يحل وقد دبت حيلة إبليس إلى جماعة من المتصوفة حتى منعوا من

حمل المحابر

حمل المحابر تلامذتهم حتى قال جعفر الخلدي لو تركني الصوفية جئتكم بإسناد
الدنيا كتبت مجلسا عن ابن عباس الدوري فلقيني بعض الصوفية فقال
دع علم الورق عليك بعلم الخرق ورأيت محبرة مع بعض الصوفية فقال له صوفي
استر عورتك وقد أنشدوا للشبلي إذا طالبوني بعلم الورق • برزت عليهم بعلم الخرق •
وهذا من خفي حيل إبليس ولقد صدق عليهم إبليس ظنه وإنما فعل وزينه عندهم
لسببين أحدهما أنه أرادهم يمشون في الظلمة والثاني أن تصفح العلم كل يوم
يزيد في العالم ويكشف له ما كان خفي عنه ويقوي إيمانه ومعرفته ويريه
عيب كثير من مسالكه إذا تصفح منهاج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة
فأراد إبليس سد تلك الطرق بأخفى حيلة فأظهر أن المقصود العمل
لا العلم بنفسه وخفي على المخدوع أن العلم العمل وأي علم فاحذر من هذه الخديعة
الخفية فإن العلم هو الأصل الأعظم والنور الأكبر وربما كان تقليب الأوراق
أفضل من الصوم والصلاة والحج والغزو وكم من معرض عن العلم يخوض
في عذاب من الهوى في تعبده ويضيع كثيرا من الفرض بالنفل ويشتغل
بما يزعمه الأفضل عن الواجب ولو كانت عنده شعلة من نور العلم لاهتدى
فتأمل ما ذكرت لك ترشد إن شاء الله تعالى **فصل** مر بي جملان تحت
جذع ثقيل وهما يتجاوبان بإنشاد النغم وكلمات الاستراحة فأحدهما
يصغي إلى ما يقوله الآخر ثم يعيده أو يجيبه بمثله والآخر همته مثل ذلك فرأيت أنهما

لو لم يفعلا هذا ازدادت الملة عليهما وثقل الامر كلما فعلا هذا هان الامر
فتاملت السبب في ذلك فاذا به تعليق فكر كل واحد منهما بما يقول الاخر
وطربه به واحالة فكره في الجواب بمثل ذلك فتنقطع الطريق وينسى
ثقل المحمول فاحذر من هذا اشارة عجيبة ورايت الانسان قد حمل
من التكاليف امورا صعبة ومن اثقل ما حمل مداراة نفسه وتكليفها الصبر
عما تحب وعلى ما تكره فرايت الصواب قطع طريق الصبر بالتسلية والتلطف والتلطف
للنفس كما قال الشاعر فان تشكت فعللها المجرة من ضوء الصباح وعدها بالرواح ضحى
ومن هذا ما يحكى عن بشر الحافي رحمة الله عليه انه سار ومعه رجل في طريق
فعطش صاحبه فقال له انشرب من هذي البير فقال له بشر اصبر الى البير
الاخرى فلما وصل اليها قال له البير الاخرى فما زال يعلله ثم التفت اليه
فقال له هكذا تنقطع الدنيا من فهم هذا الاصل علل النفس وتلطف بها
ووعدها الجميل لتصبر على ما قد حملت كما كان بعض السلف يقول
لنفسه والله ما اريد بمنعك من هذا الذي تحبين الا الاشفاق عليك
وقال ابو يزيد رحمة الله عليه ما زلت اسوق نفسي الى الله وهي تبكي حتى
سقتها وهي تضحك واعلم ان مداراة النفس صعبة والتلطف
بها لازم وبذلك ينقطع الطريق فهذا رمز الى الاشارة وشرحه يطول
فصل تاملت اشياء تجري في مجالس الوعظ يعتقدها العوام وجهال

العلما قربة

العلما قربة وهي منكر وبعد وذاك ان المقرئ يطرب ويخرج الالحان
الى الغنا والواعظ ينشد بتطريب اشعار المجنون وليلى فيصعق هذا ويخرق
ثوبه هذا ويعتقدان ذلك قربة ومعلوم ان هذه الالحان كالموسيقى توجب
طربا للنفوس فالتعرض بما يوجب الفساد غلط عظيم وينبغي الاحتساب على
الوعاظ في هذا وكذلك القارئون منهم فانهم يهيجون الاحزان الاحزان
ليكثر بكا الناس فيعطون على ذلك وهذه اضداد للشرع قال ابن عقيل
حضرنا عزا رجل قد مات له ولد فقرى المقرئ يا اسفا على يوسف فقلت
هذه نياحة بالقران وفي الوعاظ من يتكلم على طريق المعرفة والمحبة
فترى الحايك والسوقي الذي لا يعرف فرايض الصلوة يمزق اثوابه بدعوى
المحبة لله تعالى والفنا في حاله اتمهم وهو اصلحهم يتخايل في توهمه شخصا هو
الخالق فيبكيه شوقا اليه لما يسمع من عظمته ورحمته وجماله وليس ما يتخايله بالمعبود
المعبود لان المعبود لا يقع في خيال وبعد هذا فالتحقيق مع العوام صعب
ولا يكادون ينتفعون بمر الحق الا ان الواعظ مامور بان لا يتعدى الصواب
ولا يتعرض لما يفسدهم بل يجذبهم الى ما يصلح بالطف وجه وهذا يحتاج الى
صناعة فان من العوام من يعجبه حسن اللفظ ومنهم من يعجبه الاشارة ومنهم
من ينقاد ببيت من الشعر واحوج الناس الى البلاغة الواعظ ليجمع مطالبهم
لكنه ينبغي ان ينظر في اللازم والواجب وان يعطيهم من المباح في اللفظ

قدر الملح في الطعام ثم يجتذبهم الى العزايم ويعرفهم الطريق الى الحق وقد
حضر احمد بن حنبل فسمع كلام الحارث المحاسبي فبكى ثم قال لا يعجبني
الحضور وانما بكى لان الحال اوجبت البكا وقد كان جماعة من السلف
يرون تخليط القصاص فينهون عن الحضور عندهم وهذا على الاطلاق
لا يحسن اليوم لانه كان الناس في ذلك الزمان متشاغلين بالعلم فراوا
حضور القصص صادًّا لهم واليوم كثر الاعراض عن العلم فانفع ما للعامي
مجلس الوعظ يرده عن ذنب ويحركه الى توبة وانما الخلل في القاص فليتق
الله عز وجل **فصل** من اضر الاشيا على العوام كلام المتاولين والنفاة
للصفات والاضافات فان الانبيا عليهم السلام بالغوا في الاثبات
ليتقرر في انفس العوام وجود الخالق فان النفوس تانس بالاثبات
فاذا سمع العامي ما يوجب النفي طرد عن قلبه الاثبات فكان اعظم ضرر
عليه وكان هذا المنزه من العلما على زعمه مقاومًا لاثبات الانبيا عليهم
السلام بالمحو وشارعًا في ابطال ما بعثوا به وبيان ذلك هذا ان الله
تعالى اخبرنا باستوائه على العرش فانست النفوس الى اثبات الاله
ووجوده وقال تعالى ويبقى وجه ربك وقال تعالى بل يداه مبسوطتان
وقال غضب الله عليهم • رضي الله عنهم واخبر انه ينزل الى السما الدنيا
وقال قلوب العباد بين اصبعين وقال كتب التوراة بيده وكتب كتابا

فهو عنده

فهو عنده فوق العرش الى غير ذلك مما يطول ذكره فاذا امتلا العامي والصبي
من الاثبات وكاد يانس من الاوصاف بما يفهمه الحس قيل له ليس كمثله
شي فمحى ما نقشه الخيال وبقي الفاظ الاثبات فتمكنه ولهذا اقر الشارع على
مثل هذا فسمع منشدا يقول • وفوق العرش رب العالمينا • **فصل**
فضحك وقال له الاخر او يضحك ربنا فقال نعم وقال انه على عرشه هكذا
كل هذا ليتقرر الاثبات في النفوس واكثر الخلق لا يعرفون الاثبات
الا على ما يعلمون من الشاهد فيقنع منهم بذلك الى ان يفهموا التنزيه فاما
ولهذا صح اسلام من اعتصم من القتل بالسجود فاما اذا ابتدا بالعامي الفارغ
من فهم الاثبات فقلنا ليس في السما ولا على العرش ولا يوصف بيد
وكلامه صفة قايمة بذاته وليس عندنا منه شي ولا يتصور نزوله انمحى من قلبه
تعظيم المصحف ولم يرسخ في سره اثبات اله وهذه جناية عظيمة
على الانبيا توجب نقض ما تعبوا في بنائه ولا يجوز للعالم ان ياتي الى عقيدة
عامي قد انس بالاثبات فيهوشها فانه يفسده ويصعب صلاحه فاما
العالم فانا قد امناه لانه لا يخفى عليه استحالة تجدد صفة لله وانه لا
يجوز ان يكون استوى كما يعلم ولا يجوز ان يكون محمولا وعلى ان يوصف
بملاصقة ومس ولا ينتقل ولا يخفى عليه ان المراد بتقليب القلوب بين
اصبعين الاعلام بالتحكم في القلوب فاما ما يديره الانسان بين

اصبعيه هو متحكم فيه الى الغايه ولا يحتاج الى تاويل من قال الاصبع الاثر
الحسن فالقلوب بين اثرين من اثار الربوبيه وهما الاقامه والازاغه
ولا الى تاويل من قال يداه نعمتاه لانه اذا فهم ان المقصود الاثبات وقد
حدثنا بما نعقل وضربت لنا الامثال بما نعلم وقدست عندنا بالاصل المقطوع
به انه لا يجوز عليه ما يعرفه الحس علمنا المقصود بذكر ذلك واصلح ما
نقول للعوام امروا هذه الاشيا كما جات ولا تتعرضوا لتاويلها وكل
ذلك نقصد به حفظ الاثبات وهذا الذي قصده السلف كان احمد يمنع من
ان يقال لفظي بالقران مخلوق او غير مخلوق كل ذلك ليحمل على الاتباع
وتبقى الفاظ الاثبات على حالها واجهل الناس من جا الى ما قصد النبي صلى
صلى الله عليه واله وسلم تعظيمه فاضعف في النفوس قوي التعظيم قال
النبي صلى الله عليه واله وسلم لا تسافروا بالقران الى ارض العدو يشير
الى المصحف ومنع الشافعي ان يحمله المحدث بعلاقته تعظيما له فاذا
جا من يحترق فقال الكلام صفه قايمه بذات المتكلم فمعنى قوله هذا
انه ما ها هنا شي يحترم فهذا قد ضاد بما اتى به مقصود الشرع وينبغي
ان يفهم اوضاع الشرع ومقاصد الانبيا عليهم السلام وقد منعوا من كشف
ما قد قنع الشرع بستره فنهى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن الكلام
في القدر ونهى عن الاختلاف لان هذه الاشيا تخرج الى ما يوذي فان

عن القدر اذا بلغ في فهمه الى ان يقول قضى وعاقب تزلزل ايمانه بالعدل
وان قال لم يقدر ولم يقض تزلزل ايمانه بالقدره والملك فكان الاولى
ترك الخوض في هذه الاشيا ولعل قايلا يقول هذا منع لنا عن الاطلاع
على الحقايق وامر بالوقوف مع التقليد فاقول انما اعلمك ان المراد منك
الايمان بالجمل وما امرت بالتفسير مع ان قوى فهمك تعجز عن ادراك
الحقايق فان الخليل عليه السلام قال ارني كيف تحيي فاراه ميتا حي
ولم يره كيف احياه لان قواه تعجز عن ادراك ذلك وقد كان النبي صلى
الله عليه واله وسلم الذي بعث ليبين للناس ما نزل اليهم يقنع من الناس
بنفس الاقرار واعتقاد الجمل وكذلك كانت الصحابه فما نقل عنهم
انهم تكلموا في تلاوه ومتلو وقراه ومقرو ولا انهم قالوا استوى بمعنى
استولى ونزل المعنى يرحم بل قنعوا باثبات الجمل التي تثبت التعظيم عند
النفوس وكواكف الخيال بقوله ليس كمثله شي ثم هذا منكر ونكير انما
يسالان عن الاصول المجمله فيقولان من ربك وما دينك ومن
نبيك ومن فهم هذا الفصل سلم من تشبيه المجسمه وتعطيل المعطله
ووقف على جادة السلف الاول والله الموفق **فصل** قرات هذه
الايه قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير
الله ياتيكم به فلاحت لي منها اشاره اطيش منها وذاك انه كان عني

بالآية نفس السمع والبصر فان السمع آلة لادراك المسموع والبصر آلة لادراك
المبصرات فهما يعرضان ذلك على القلب فيدبر ويعتبر فاذا عرضت
المخلوقات على السمع والبصر فاوصلا الى القلب اخبارها من انها تدل
على الخالق وتحمل على طاعة الصانع وتحذر من بطشه عند مخالفته
وان عمي معنى السمع والبصر فكذلك يكون بل هو لهما عن حقايق ما
ادركا شغلا بما لهوا فيعاقب الانسان بسلب معاني تلك الالات
فيرى وكانه ما راى ويسمع وكانه ما سمع والقلب ذاهل عما بين يدي
فيبقى الانسان خاطبا على نفسه لا يدري ما يراد به لا تؤثر عنده
اية تتلى ولا ينفعه موعظة تجلى ولا يدري اين هو ولا ما المراد منه
ولا الى اين يحمل وانما يلاحظ بالطبع مصالح عاجلته ولا يتفكر في
خسران اجلته لا يعتبر برفيقه ولا يتعظ بصديقه ولا يتزود لطريقه
كما قال الشاعر الناس في غفلة والموت يوقظهم * وما يفيقون حتى ينفذ العمر *
* * يشيعون اهاليهم بجمعهم * وينظرون الى ما فيه قد قبروا *
* * ويرجعون الى احلام غفلتهم * كانهم ما راوا شيا ولا نظروا *
وهذه حالة اكثر الناس فنعوذ بالله من سلب فوايد الالات فانها اقبح
الحالات فصل نظرت فيما تكلم به الحكماء في العشق واسبابه وادويته
وصنفت في ذلك كتابا سميته ذم الهوى وذكرت فيه عن الحكماء انهم قالوا

سبب العشق حركة نفس فارغة وانهم اختلفوا فقال قوم منهم من لا يعرض
العشق الا لظراف الناس وقال اخرون بل لاهل الغفلة منهم عن تامل الحقايق
الا انه خطر لي بعد ذلك معنى عجيب اشرحه ها هنا وهو انه لا يتمكن العشق
الا من واقف جامد فاما ارباب صعود الهمم فانها كلما تخايلت ما توجبه
المحبة فلاحت عيوبه لها اما بالفكر فيه او بالمخالطة تسلت وتعلقت بمطلوب
اخر فلا تقف على درجة العشق الموجب للتمسك بتلك الصورة الا العاجز
الجامد الواقف واما ارباب الانفة من النقايص فانهم ابدا في الترقي
لا يصدهم صاد فاذا علقت الطباع بمحبة شخص لم يبلغوا مرتبة العشق
المستاسر بل ربما مالوا ميلا شديدا اما في البداية لقلة التفكر او لقلة
المخالطة والاطلاع على العيوب واما لتشتت بعض الخلال المحمودة
بالنفوس من جهة مناسبة وقعت من الشخصين كالظريف مع الظريف
والفطن مع الفطن فيوجب ذلك المحبة فاما العشق فلا لانهم ابدا في
فلا توقف رايد الطبع تتبع حادي الفهم فان للطبع متعلقا الا
في الدنيا لانه يروم ما لا يقضى وجوده من الكمال في الاشخاص فاذا لاحت
عيوبها نفر واما متعلق القلوب من محبة الخالق الباري فهو مانع لها
من الوقوف مع سواه وان كانت محبته لا تجانس محبة المخلوقين عند
ارباب المعرفة ولهي قد شغلهم حبه عن حب غيره وصارت الطباع مستغرقة

اسمعا عرشيا وقلت انما يصلح مثل هذا الذي لب يتلقاه تلقي العطشان
الماء ثم اخذت من هذا اشاره فقلت لو كان هذا يفهم ما جرى ومدحني لحسن
ما صنعت لعظم قدره عندي ولاريته محاسن مجموعاتي وكلامي لاكنه لما لم اره
اهلا صرفتها عنه وصرفت نظري اليه وكانت الاشاره ان الله عز وجل قد
صنف هذه المخلوقات فاحسن التركيب واحكم الترتيب ثم عرضها على
الالباب فاي لب وغل في النظر مدح على قدر فهمه فاحب المصنف وكذلك
انزل القران يحوي على عجايب الحكم فمن فتشه بيد الفهم وحادثه بخلوة
الفكر استجلب رضا المتكلم به وحظي الزلفى لديه ومن كان للذهن مستغرق
الفهم بالحسيات صرف عن ذلك المقام قال عز وجل ساصرف عن اياتي الذين
يتكبرون في الارض بغير الحق **فصل** دعوت يوما فقلت اللهم بلغني
امالي من العلم والعمل واطل عمري لابلغ ما احب من ذلك فعارضني وسواسي
من ابليس فقال ثم ماذا اليس الموت فما الذي ينفع طول الحيوة فقلت له
يا ابله لو فهمت ما تحت سوالي علمت انه ليس بعبث اليس في كل يوم يزيد علمي ومعرفتي
فتكثر ثمار غرسي فاشكر نعمتي يوم حصادي افيسرني انني مت منذ عشرين
سنة لا والله لاني ما كنت اعرف الله تعالى عشر معرفتي به اليوم وكل ذلك
ثمرة الحيوة التي فيها اجتنيت ادلة الوحدانيه وارتقيت عن حضيض التقليد
الى يفاع البصيرة واطلعت على علوم زاد بها قدري وتجوهرت بها نفسي

ثم زاد غرسي لاخرتي وقويت تجارتي في انفاد المباضعين من المتعلمين
وقد قال لسيد المرسلين وقل رب زدني علما وفي صحيح مسلم من حديث
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال لا يزيد المومن عمره
الا خيرا وفي حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
ان من السعادة ان يطول عمر العبد ويرزقه الله عز وجل الانابة فيا ليتني
قدرت على عمر نوح فان العلم كثير وكلما حصل منه حاصل نفع ورفع **فصل** قلوب
قاصري المعارف العارفين يغار عليها من الاسباب وان كانت لا تساكنها
لانها لما انفردت بمعرفتها انفرد في بعض امورها فاذا اعترضت بالاسباب يحجب
اثر الاسباب ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيا وتامل في حال
يعقوب وحذره على يوسف حتى قال اخاف ان ياكله الذيب فقالوا اكله
الذيب فلما جاوا ان الفرج خرج يهوذا بالقميص فسبقه الريح اني لاجد
ريح يوسف وتامل للساقي اذكرني عند ربك فعوقب بان لبث في السجن بضع سنين
وان كان يوسف يعلم انه لا خلاص له الا باذن الله وان التعرض بالاسباب
مشروع غير ان الغيرة اثرت العقوبة ومن هنا قصة مريم وكفلها زكريا
فكان المسبب من ساكنها الاسباب كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد
عندها رزقا قال يا مريم انى لك ومن هذا القبيل ما يروى عن النبي صلى
الله عليه واله وسلم انه قال ابى الله ان يرزق عبده المومن الا من حيث لا يحتسب

وللاسباب طريق ولا بد من سلوكها والعارف لا يساكنها غير انه يحلى
له امرها ما لا يحلى لغيره من انها لا تساكن وربما عوقب ان مال اليها وان
كان ميله لا يعيله غير انه اقل الهفوات توجب الادب لا طوفن الليله
على مائة امراه تلد كل ولم تلد واحده منهن غلاما ولم يقل ان شا الله فما حملت
الا واحده جات بشق غلام ولقد طرقتني حاله اوجبت التشبث ببعض
الاسباب لانه كان من ضروره ذلك لقا بعض الظلمه ومداراته
بكلمه فبينا انا افكر في تلك الحال دخل على قاري فاستفتح فقالت بما
يقرا فقرا ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من
اوليا ثم لا تنصرون فبهت على احاسي على خاطري وقلت لنفسي اسمعي
فاني طلبت النصر في هذه المداراه فاعلمني القران انني اذ ركنت الى ظالم
فاتني ما ركنت لاجله من النصر فيا طوبى لمن عرف التسبب وتعلق به
فانها الغايه القصوى فنسال الله ان يرزقنا **فصل** المومن لا
يبالغ في الذنوب وانما يقوى الهوى وتتوقد نيران الشهوه فيتحد
وله مراد لا يعزم المومن على مواقعته ولا على العود بعد فراغه ولا
يستقصي في الانتقام ان غضب وينوي التوبه قبل الزلل وتامل اخوه
يوسف فانهم عزموا على التوبه قبل ابعاد يوسف فقالوا اقتلوا يوسف
ثم زاد ذلك تعظيما فقالوا اوطرحوه ارضا ثم عزموا على الانابه فقالوا وتكونوا

من بعده قوما صالحين فلما اخرجوا به الى الصحرا هموا بقتله بمقتضى ما في
القلوب من الحسد فقال كبيرهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب ولم
يرد ان يموت بل يلتقطه بعض السياره فاجابوا الى ذلك والسبب في هذه
الاحوال ان الايمان على حسب قوته فتاره يردها عند الهم وتاره يضعف
فيردها عند العزم وتاره عن بعض الفعل فاذا غلبت الغفله وواقع الذنب
فتر الطمع فنهض الايمان للعدل فتنغص بالندم اضعاف ما التذ **فصل**
افضل الاشيا التزيد من العلم فانه من اقتصر على ما يعلمه وظنه كافيا
استبد برايه وصار تعظيمه لنفسه مانعا له من الاستفاده والمذاكره تبين
لهم خطاوه وربما كان معظما في النفوس فلم يتجاسر على الرد عليه ولو انه
اظهر الاستفاده لاهديت اليه مساويه فعاد عنها ولقد حكى ابن عقيل
عن ابي المعالي الجويني انه قال ان الله تعالى يعلم جمل الاشيا ولا يعلم التفاصيل
ولا ادري اي شبهه وقعت في وجه هذا المسكين حتى قال هذا وكذلك ابن
ابو حامد حين قال النزول التنقل في الاستوا مماسه فكيف اصف هذا
بالفقه والزهد وهو لا يدري ما يجوز على الله مما لا يجوز ولو انه ترك تعظيم
نفسه لرد صبيان الكتاب رايه عليه فبان لهم صدقهم ومن هذا الفن
ابو بكر بن مقسم فانه عمل كتاب الاحتجاج للقرا فاتى فيه بعوايد الا انه
افسد علمه بالجاراته ان يقرا بما لم يقرا به ثم تفاقم ذلك منه حتى اجاز ما يفسد

المعنى مثل قوله تعالى فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فما الذي يصلح ان يقال
ها هنا نجيا اي خلصوا ذكرا ما بر السن المترقة وهذا يشرفهم للمعصية فان
الذين نسب الى الشرفة وظهرت معه ما خلص فما الذي دفع خلاصهم
وانما سبقت القضية لسبب انهم انفردوا وابتشاوروا فيما يصنعون
وكيف يرجعون الى ابيهم وقد احتبس اخوهم فاي وجه للنجابة ها هنا
ومن تامل كتابه راى فيه من هذا الجنس ما يزيد على الاحصا اكثر من
هذا الفن القبيح ولو انه اصغى الى علما وقته وترك تعظيم نفسه لبان
له الصواب غير ان اقتصار الرجل على علمه اذا ما ازعجه نوع رويه للنفس
حبس عن ادراك الصواب نعوذ بالله من ذلك **فصل** تاملت قوله عز
وجل يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان
هداكم للايمان فرايت فيه معنى عجيبا وهو انهم لما ذهبت بهم العقول
فتدبروا بها عيب الاصنام وعلموا انها لا تصلح للعباده فوجهوا العباده
الى من فطر الاشيا كانت هذه المعرفه ثمرة العقل المرهوب لهم الذي به
باينوا البهائم فاذا امنوا بعلمهم الذي ندب اليه العقل المرهوب فقد
جهلوا قدر المرهوب وغفلوا عن من وهب واي شي لهم في الثمره والشجره
ليست ملكا لهم فعلى هذا كل متعبد ومجتهد في علم وعمل انما راى بنور
اليقظه وقوة الفهم والعقل صواب ما سلك فوقع على المطلوب فينبغي

ان يوجه

ان يوجه الشكر الى من بعث له في ظلام الطبع القبس ومن هذا
الفن حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار فانحطت عليهم صخره فسدت باب
الغار فقالوا تعالوا نتوسل بصالح اعمالنا فقال كل منهم فعلت كذا وكذا وهو
ان كانوا لحظوا نعمة الواهب للعصمة عن الخطا فتوسلوا بانعامه عليهم الذي
اوجب تخصيصهم تلك النعم عن ابنا جنسهم فقد توسلوا فيه فتوسلوا اليه
وان كانوا لاحظوا افعالهم فلمحوا اجراها ظنا منهم انهم هم الذين فعلوا
فهم اهل غيبه لا حضور ويكون جواب مسالتهم لقطع منتهم الدايمه ومثل
هذا رويه المتقي تقواه حتى انه يرى انه افضل من كثير من الخلق وربما احتقر
اهل المعاصي وتشمخ عليهم وهذه غفله في طريق السلوك ربما اخرجت
لا اقول لك خالط الفساق احتقارا لنفسك بل اعضب عليهم واعرض عنهم
في الظاهر وتلمح جريان الاقدار عليهم في الباطن فاكثرهم لا يعرف لمن يعصي
وجمهورهم لا يقصد العصيان بل يريد موافقة هواه وعز عليه ان
يعصي وفيهم من غلب عليه تلمح الحلم والعفو فاحتقر ما ياتي لقوة يقينه
بالعفو وهذه كلها ليست باعذار لهم ولكن تلمحها انت يا صاحب التقوى
واعلم ان الحجة عليك اوفى من الحجة عليهم لانك تعرف من تعصي وتعلم ما ياتي
بل انظر الى تقلب القلوب بين اصبعين فربما دارت الدايره فصرت المنقطع
ووصل المقطوع فالعجب ممن يدل بخير عمله وينسى من المنعم والموفق

فصل اعلم ان شرعنا مضبوط الاصول محروس القواعد لا
خلل فيه ولا دخل وكذلك كل الشرايع انما الافة يدخل من المبتدعين
في الدين او الجهال مثل اثر عند النصارى حين راوا احيا الموتى على يد عيسى
فتاملوا الفعل الخارق للعادة الذي لا يصلح للبشر فنسبوا الفاعل
الى الالهية ولو تاملوا ذاته لعلموا انها مركب على النقايص والحاجات وهذا
القدر يكفي في عدم صلاح الالهية فيعلم حسدا انما جرى على يديه فعل غيره
وقد يوثر ذلك في الفروع مثل ما روى انه فرض على النصارى صوم شهر
فزادوا عشرين يوما ثم جعلوه في فصل من السنة بارايهم ومن هذا
الجنس تخبط اليهود في الاصول والفروع وقد قارب الضلال في امتنا
هذه المسالك وان كان عمومهم قد حفظ من الشرك والشك والخلاف
الطاهر القبيح لانهم اعقل الامم وافهمها غير ان الشيطان قاربهم
ولم يطمع في افرادهم وان كان قد اغرق بعضهم في بحار الضلال فمن ذلك
ان الرسول صلى الله عليه واله وسلم جا بكتاب عزيز من الله عز وجل فذكر
في صفته ما فرطنا في الكتاب من شي ربنا ما عسله يشكل مما يحتاج الى
بيانه لشبهة كما قيل له لتبين للناس ما نزل اليهم فقال العلم ليان
تركتكم عليها بيضة نقية في اقوام فلم يقنعوا بتبيينه ولم يرضوا بطريقه
بطريقة اصحابه فبحثوا ثم انقسموا فمنهم من يعرض لما نعت الشرع في اثباته

في القلوب فمحاه منها فان القران والحديث ثبتان الاله عز وجل بالوصاف
تقرر وجوده في النفوس كقوله ثم استوى على العرش وقوله بل يداه مبسوطتان
وقوله ولتصنع على عيني وقول النبي صلى الله عليه واله وسلم ينزل الله الى السما الدنيا
ويبسط يده لمسي الليل والنهار ويضحك ويغضب وكل هذه الاشيا وان كان
ظاهرها يوجب تخايل التشبيه فالمراد منها اثبات موجود فلما علم الشرع ما
يطرق القلوب من التوهمات عند سماعها قطع ذلك بقوله ليس كمثله شي
ثم ان هولا القوم عادوا الى القران الذي هو المعجز الاكبر وقد قصد الشرع تقرير
وجوده فقال انا انزلناه نزل به الروح الامين فذرني ومن يكذب بهذا
الحديث وهذا كتاب انزلناه واثبته في القلوب بقوله في صدور الذين
اوتوا العلم وفي المصاحف بقوله في لوح محفوظ وقول الرسول عليه السلام
لا تسافروا بالقران الى ارض العدو وقال قوم من هولا هو مخلوق
فاسقطوا حرمته من النفوس وقالوا لم ينزل ولا مقصور تزوله فكيف
يتخيل ينفصل الصفة عن الموصوف وليس في الصحف الاحبر وورق فعادوا
على ما نعت الشارع في اثباته بالمحو كما قالوا ان الله عز وجل ليس في السما ولا
يقال استوى على العرش ولا يقال ينزل الى السما الدنيا بل فوك رحمته
فمحوا من القلوب ما اريد اثباته فيها وليس هذا مراد الشارع وجا اخرون
فلم يقنعوا على ما حده الشرع بل عملوا فيه بارايهم فقالوا الله على العرش ولم

دفعوا بقوله على ثم استوى على العرش ودفن لهم اقوام من سلفهم دفاين
وضعت لهم الملاحدة احاديث فلم يعلموا ما يجوز عليه مما لا يجوز فاثبتوا
بها صفاته وجمهور الصحيح منها ات على توسع العرب فاخذوه هم على
الظاهر فكانوا في ضرب المثل كجحي فان امه قالت له احفظ الباب فقلعه
ومشى به فاخذ ما في الدار فلامته فقال انما قلت احفظ الباب وما قلت
احفظ الدار ولما تخايلوا صورة عظيمة على العرش اخذوا ابينا ولون
ما بينا في وجودها على العرش مثل قوله ومن اتاني يمشي اتيته هرولة
فقالوا ليس المراد به دنو الباب وانما المراد قرب المنزل والحظ وقالوا
في قوله ان يأتيهم الله في ظلل هو محمول على ظاهرها في مجي الذات
فهم يحملونه عاما ويحرمونه عاما ويسمون الاضافات الى الله صفات
فانه قد اضاف اليه النفخ والروح واثبتوا خلقه باليد فلو قالوا خلق
لم يكن انكار هذا بل قالوا هي صفة تولى بها خلق ادم دون غيره والا
فاي مزية كانت تكون لادم فشغلهم النظر في فضيلة ادم عن النظر
الى ما هو يليق بالحق مما لا يليق به فانه لا يجوز عليه تعالى اتم الصورة
لقوله خلق ادم على صورته وفهموا هذا الحديث وهو قوله عليه السلام اذا
ضرب احدكم فليجتنب الوجه ولا تقل قبح الله وجهك ولا وجها اشبه
وجهك فان الله خلق ادم على صورته فلو كان المراد به الله عز وجل لكان وجه

الله سبحانه

الله سبحانه يشبه وجه هذا المخاصم لان الحديث كذا جا ولا وجها
اشبه وجهك وروا حديث خولة بنت حكيم وان اخر وطاه وطيها
الله بوج وما علموا النقل ولا السير وقول الرسول صلى الله عليه وسلم اللهم
اشدد وطاتك على مضر وان المراد به اخر وقعة قاتل فيها المسلمون بوج وهي
غزاة حنين فقالوا نحمل الخبر على ظاهره وان الله وطي ذلك المكان ولا شك
ان عندهم ان الله تعالى كان في الارض ثم صعد الى السما وكذلك قالوا في قوله
ان الله لا يمل حتى تملوا قالوا يجوز ان يوصف بالملل فجهلوا اللغة وما علموا
انه لو كان حتى ها هنا للغاية لم يكن تمدح لانه اذا مل حين تمل فاي مدح
وانما هو كقول الشاعر • صليت مني هذيل بخرق • لا تمل الشر حتى تملوا •
والمعنى لا تمل وان ملوا قالوا في قوله عليه السلام الرحم شجنة من الرحمن تتعلق
بحقو الرحمن فقالوا الحقو صفة ذات وذكروا احاديث لو ذكرت في نقض
الوضو ما قبلت وعمومها وضعتها الملاحدة كما يروى عن عبد الله بن عمر
وقال خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر فقالوا اس هذا
على ظاهره ثم ارضوا العوام بقولهم ولا نشبه جوارح وكانهم يقولون فلان
قائم وها هو غير قائم واختلف قولهم هل يطلق على الله عز وجل انه جالس
او قائم كقوله قائما بالقسط وهو لا احسن فهما من جحي لان قوله قائما
بالقسط لا يراد به القيام وانما هو كما يقال للامير قائم بالعدل وانما ذكرت

بعض اقوالهم لئلا يسكن الى شيء منها فالحذر من هولاء عباده وانما قال
الطريق طريق السلف على اني اقول لك قد قال احمد بن حنبل رحمة الله عليه
من ضيق علم الرجل ان يقلد في دينه الرجال فلا ينبغي ان يسمع عن معظم في
النفوس شيء في الاصول فيقلده فيه ولو سمعت عن احمد ما لا يوافق الاصول
الصحيح فقل هذا من الراوي لانه قد ثبت عن ذلك الامام انه لا يقول في
شيء برايه فلو قدرنا صحته عنه فانه لا يقلد في الاصول ولا ابو بكر وعمر
فهذا اصل يجب البناء عليه فلا يهولنك ذكر معظم في النفوس وكان
المقصود شرح هذا ان ديننا سليم وانما ادخل اقوام فيه ما تاذينا
به ولقد ادخل المتزهدون في الدين ما ينفر الناس حتى انهم يرون
افعالهم جنونا فيستبعدون الطريق واكثر ادلة هذه الطريق القصاص
فان العامي اذا دخل الى مجلسهم وهو لا يحسن الوضوء كلموه بدقائق
الجنيد واشارات الشبلي فراى ذلك العامي ان الطريق الواضح لزوم الزاويه
وترك الكسب للعائله ومناجاة الحق في خلوه على زعمه مع كونه
لا يعرف اركان الصلاة ولا ادبه العلم ولا قوم اخلاقه مخالطة العلماء
ولا يستفيد من خلوته الا كما يستفيد الحمار من الاصطبل وان امتد
عليه الزمان في تقلله زاويته فربما خايلت له المالنخوليا اشباحا
يظنهم الملائكة ثم يطاطي راسه ويمد يده للتقبيل فكم قد راينا من اكار

ترك الزرع

ترك الزرع وقعد في زاويه فصار الى هذه الحاله فاستراح من تعبه
فلو قيل له عد مريضا قال ما لي عاده فلعن الله عاده تخالف الشرع
فترى العامي بما يورده القصاص طريق الشرع هذه لا التي عليها الفقهاء
فيتبعون في الضلال وفي المتزهدين من لا يبالي عمل بالشرع ام لا ثم لا
يتفاوت جهالهم فمنهم من سلك مذهب الاباحه ويقول الشيخ لا يعارض
وينهمك في المعاصي ومنهم من يحفظ ناموسه فيفتي بغير علم لئلا يقال
الشيخ لا يدري ولقد حدثني الشيخ ابو حكيم رحمة الله عليه ان الشريف
الدجالي وكان يقصد ويزار ويتبرك به حضر عنده يوما فسئل ابو حكيم
هل يحل المطلقه ثلاثا اذا ولدت ذكرا قال فقلت لا والله فقال الحيب
الشريف اسكت فوالله لقد افتيت انا الناس بانها تحل من هاهنا الى
البصره وحكى لي الشيخ ابو حكيم ان خداداد الجراد وكان يتوسم بالعلم
جاءت اليه امراه فزوجها من رجل ولم يسال عن انقضاء العده فاحضرهما
الحاكم وفرق بينها وبين الزوج وانكر على المزوج قال فلقيته المراه
فقالت يا سيدي انا امراه لا اعلم فكيف زوجتني فقال دعي حديثهم
فما انت الا طاهره مطهره وحدثني بعض الفقهاء عن رجل من العباد انه
كان يسجد للسهو سنين ويقول والله ما سهوت ولكن افعله احترازا
فقال له الفقيه قد بطلت صلاتك كلها لانك زدت سجودا غير مشروع

ثم من الدخل الذي دخل في ديننا طريق المتصوفة فانهم سلكوا طرقا
اكثرها ينافي الشريعة واهل الدين منهم يقللون ويحمقون وهذا
ليس بشرع حتى ان رجلا كان تربها من زماني يقال له كثير دخل الى
جامع المنصور وقال اني عاهدت الله عهدا ونقضته فعلى الزمت نفسي
ان ما كل اربعين يوما فحدثني من راه انه بقي عشرة ايام ثم في العشر
الرابع اشفى على الموت قال فما انقضت حتى تموع فصب في حلقه
ما قمعنا لم نشيئا كنشيش المقلى ثم مات بعد ايام فانظروا
الى هذا المسكين وما فعله به جهله ومنهم من فسح لنفسه في كل
ما حب من التنعم واللذات متمتع من التصوف بالقميص المرقوط والعمامة
اللطيفة ولم ينظر من اين ياكل ولا من اين يشرب وخالط الامرا
من ارباب الدنيا ولباس الحرير وشراب الخمور حفظا لماله وجاهه
ومنهم اقوام علموا سنتا لهم تلقفوها من كلمات اكثرها لا يثبت
ومنهم من اكب على سماع الغنا والرقص واللعب ثم انقسموا هوى الا
فمنهم من يدعي العشق فيه ومنهم من يقول بالحلول ومنهم يسمع على
وجه اللهو واللعب وكلا الطريقين يفسد العوام الفساد العام وهذا
الشرح يطول وقد صنفت كتابا سمي فيه البسط الحسن ان شا الله تعالى
منها تلبيس ابليس والمقصود ان تعلم ان الشرع تام كامل فان رزقت

فهلم

فهلم الرفاق نتبع الرسول واصحابه ونترك سبانا الطريق ولا نقلد
دينك الرجال فان فعلت فانك لا تحتاج الى وصي اخرى واحذر جمود المقلد
وانبساط المتكلمين وجوع المتزهدين وشرة اهل الهوى ووقوف
العلما على صورة العلم من غير عمل وعمل المتعبدين بغير علم ومن اراد
الله تعالى بلطفه رزقه الفهم واخرجه عن ربقة التقليد وجعله امة
وحده في زمانه لا يبالي من عتب ولا يلتفت الى من لام فقد تمم زمامه الى
دليل في واضح السبيل عصمنا الله واياكم من تقليد المعظمين والهمنا
اتباع الرسول صلى الله عليه واله وسلم فلنه درة الوجود ومقصود
الكون صلى الله عليه واله وسلم وعلى اصحابه واشياعه ورزقنا اتباعهم
مع اتباعه **فصل اعلم ان الزمان لا يثبت على حال كما عز وجل
وتلك الايام نداولها بين الناس فتارة فقر وتارة غنى وتارة عز وتارة
ذل وتارة يفرح الموالي وتارة تشمت الاعادي فالسعيد من لازم اصلا
واحدا على كل حال وهو تقوى الله عز وجل فانه ان استغنى زانته وان
افتقر فتحت له باب الصبر وان عوفي تمت النعمة عليه وان ابتلي حملته ولا
لن نزل به الزمان او صعد او اعراه او كساه او اشبعه او اجاعه لان
جميع تلك الاشيا تزول وتتغير والتقوى اصل السلامة حارس لا ينام
ياخذ باليد عن العثرة ويوقف على الحدود والمنكر من عزمه لذة حصلت

مع عدم التقوى فانها تتحول وعليه حاسرا ولا دم التقوى في كل
حال فانك لا ترى في الضيق الا السعة وفي المرض الا العافية هذا
نقدها العاجل والآجل معلوم **فصل** تاملت امرا عجيبا واصلا
وهو امهال الله ابتلا على المومن وعرض صورة اللذات عليه مع
قدرته على نيلها وخصوصا ما كان في غير كلفة من تحصيله لمحبوب
موافق في خلوة حصينة فقلت سبحان الله ههنا يتبين اثر
الايمان لا في صلوة ركعتين والله ما صعد يوسف ولا سعد
الا في مثل ذلك المقام فبالله عليكم يا اخواني تاملوا حاله لو كان وافق
هواه ما كان يكون وقيسوا بين تلك الحالة وحالة آدم ثم زنوا
الميزان العقل عقبى تلك الخطيئة وثمرة هذا الصبر القصير واجعلوا فهم
الحال عدة لكم عند كل مشتهى وان اللذات تعرض على المومن
فمتى لقيها في صف حربه وقد تاخر عنه عسكر التدبر للعواقب
هزم وكاني اري الواقع في بعض اشراكها ولسان الحال يقول له قف
مكانك انت وما اخترت لنفسك فغاية امره الندم والبكا فان
اثر اخراجه من تلك الهوة لم يخرج الا موهونا بالخدوش وكم من شخص
زلت قدمه فما ارتفعت بعدها ومن تامل ذل اخوة يوسف يوم
وتصدق علينا عرف شوم الزلل ومن تدبر احوالهم فاتى ما بينهم
وبين اخيهم من الفروق وان كانت توبتهم قبلت لانه ليس

من رفع وحاط لمن توبته صحيح ورب عظم هيض لم يتخير فان جبر
فعلا وهي فتيقظوا اخواني لعرض المشتهيات على النفوس واستوثقوا
من لجم الخيل وانتبهوا اللغيم اذا اثر اكم الى بلغه فربما مر الوادي فراح
بالراكب **فصل** تاملت حالة عجيبة وهو ان المومن تنزل به النازلة
فيدعوا ويبالغ فلا يرى اثرا للاجابة فاذا قرب الياس نظر حينئذ الى قلبه
كان راضيا بالاقدار غير قنوط من فضل الله عز وجل فالغالب تعجيل
الاجابة حينئذ لان هنالك يصلح الايمان ويطرد الشيطان وهناك
تبين مقادير الرجال وقد اشير الى هذا في قوله تعالى حتى يقول الرسول
والذين امنوا معه متى نصر الله وكذلك جرى ليعقوب فانه لما فقد
ولدا وطال الامر عليه لم ييئس من الفرج فاخذ ولده الاخر ولم ينقطع
امله من فضل ربه فقال عسى الله ان ياتيني بهم جميعا وكذلك
قال زكريا ولم اكن بدعائك رب شقيا فاياك ان تستطيل مدة الاجابة
وكن ناظرا الى انه المالك والى انه الحكيم في التدبير والعالم بالمصالح والى انه
يريد اختبارك ليبلوا اسرارك والى انه يريد ان يرى تضرعك والى انه
يريد ان ياجرك بصبرك الى غير ذلك والى انه يبتليك بالتاخير لتحارب
وسوسة ابليس وكل واحد من هذه الاشيا تقوى الظن في فضله وتوجب
الشكر له اذا اهلك بالبلا للالتفات الى سواله والفقر المضطر الى الحجابه

فصل لما كان بدن الادمي لا يقوم الا باجتلاب المصالح عن كله
ودفع المؤذي ركب فيه الهوى ليكون سببا لجلب النافع والغضب ليكون
سببا لدفع المؤذي ولولا الهوى في المطعم ما تناول الطعام فلم يقم بدنه فجعل
له اليه ميل وتوق فاذا حصل له قدر ما يقيم بدنه زال التوق وكذلك في المشرب
والملبس والمنكح وفائدة المنكح من وجهين احدهما ابقا الجنس وهو معظم
المقصودين والثاني دفع الفضلة المحتقنة المؤذي احتقانها ولولا كمين
الهوى المائل بصاحبه الى النكاح ما طلبه احد ففات النسل واذى المحتقن
فاما العارفون فانهم فهموا المقصود واما الجاهلون فانهم مالوا مع
الشهوة والهوى ولم يفهموا مقصود وضعها فضاع زمانهم فيما لا طائل
فيه وفاتهم ما خلقوا لاجله واخرجهم هواهم الى فساد المال وذهاب
العرض والدين ثم اداهم الى التلف وكم راينا من متنعم بالغ في شرى الجواري
ليحرك طبعه بالمستجد فما كان باسرع من ان بهتت قوته الاصليه
فتعجل تلفه وكذلك راينا من زاد غضبه فخرج عن الحد فقتل نفسه ومن يحبه
فمن علم ان هذه الاشيا انما خلقت اعانة للبدن على قطع مراحل الدنيا ولم
تخلق لنفس الالتذاذ وانما جعلت اللذه فيها كالحيله في ايصال النفع بها
اذ لو كان المقصود التنعم بها لما جعلت للحيوانات البهيميه اوفى حظ
من الادمي منها فطوبى لمن فهم حقايق الوضع ولم يمل به الهوى عن فهم حكم

المخلوقات

المخلوقات فصل من تامل عواقب المعاصي راها قبيحه ولقد تفكرت
في اقوام اعرفهم يفردون بالزنا وغيره فارى من تغيرهم في الدنيا
مع جلادتهم ما لا يقف عنده حد وكانهم قد البسوا ظلمه فالقلوب تنفر عنهم
فان اتسع لهم شي فاكثره من مال الغير وان ضاق بهم امر اخذوا استحلوا ن
على القدر هذا وقد شغلوا بهذه الاوساخ عن ذكر الاخره ثم عكست
فتفكرت في اقوام صابروا الهوى وتركوا ما لا يحل فمنهم من قد اينعت له
ثمرات الدنيا من قوت مستلذ ومهاد مستطاب وعيش لذيذ وجاه
عريض فان ضاق بهم امر وسعه الصبر وطيبه الرضا ففهمت الحال
معنى قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين
فصل ينبغي للعاقل ان يلازم باب مولاه على كل حال وان يتعلق
بذيل فضله ان عصى وان اطاع وليكن له انس في خلوته فان وقعت
وحشه فليجتهد في رفع الموحش كما قال امستوحش انت مما جنيت
فاحسن اذا شيت واستانس فان راى نفسه مايلة الى الدنيا طلبها
منه والى الاخره ساله التوفيق للعمل لها فان خاف ضرر ما يروم من
الدنيا سال الله اصلاح قلبه وطب مرضه فانه اذا اصلح لم يطلب ما يوذيه
ومن كان هكذا كان في العيش غير ان من ضروره هذه الحال ملا
زمة التقوى فانه لا يصلح الانس الا بها وقد كان ارباب التقوى يتعللوا

عن كل شي الا عن البخل والسوال وفي الحديث ان قتيبة ابن مسلم لما صاف
الترك هاله امرهم فقال اين محمد بن واسع فقيل هو في اقصى الميمنة جانح على
سية قوسه يومي باصبعه نحو السما فقال قتيبة تلك الاصبع الفاردة احب الي
من مائة الف سيف شهير وسنان طرير فلما فتح عليهم قال له ما كنت
تصنع قال آخذ لك بمجامع الطرق **فصل** ينبغي لمن تظاهرت نعم الله عز
وجل عليه ان يظهر منها ما يبين اثرها ولا يكشف جملتها وهذا من اعظم
لذات الدنيا التي امر الحزم بتركها فان العين حق واني تفقدت
النعم فرايت اظهارها حلوا عند النفس الا انها ان اظهرت لودود
لم يومن تشعث باطنه بالغبطة وان اظهرت لعدو فالظاهر حاسه
بالعين لموضع الحسد الا انني رايت بعد الحسود كاللازم فانه في حال
البلا يتشفى وفي حال النعم يصيب بالعين ولعمري ان المنعم عليه يشتهي
غيظ حسوده ولكنه لا يومن ان يخاطر بنعمته فان الغالب اصابة
الحاسد لها بالعين فلا مساوي الا لتداد باطنها وما غبط به ما افسدت
عينه باصابتها وكتمان الامور في كل حال فانه ان كشف مقدار سنه استهرموه
ان كان كبيرا واحتقروه ان كان صغيرا وان كشف ما يعتقده ناصبه الاضداد بالعداوة وان كشف
قدر ماله استحقروه ان كان قليلا وحسدوه ان كان كثيرا وفي هذه الثلاثة يقول الشاعر

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة ... سن ومال ما استطعت ومذهب

فعلى

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة ... بمموه ومخرق ومكذب

وقس على ما ذكرت ما لم اذكره ولا تكن من المذاييع البذر الذين لا يحملون
اسرارهم حتى تفشو بها الى من لا يصلح ورب كلمة جرت بها اللسان هلك
بها الانسان **فصل** رايت كل من يعثر بشي او يزلق في مطر يلتفت الى
من عثر به فينظر اليه طبعا موضوعا في الخلق اما ليحذر منه ان جاز عليه مرة
اخرى من مثله او لينظر مع احترازه وفهمه كيف فاته التحرز من مثل
هذا فاخذت من ذلك اشاره وقلت يا من عثر مرارا هلا ابصرت
ما الذي عثرك فاحترزت من مثله او قبحت لنفسك مع حزمها تلك الواقعة
فان الغالب ممن يلتفت ان معنى التفاته كيف عثر مثلي مع احترازه مثل
ما ارى فالعجب لك كيف عثرت مثل الذنب الفلاني والذنب الفلاني
كيف غرك زخرف تعلم بعقلك باطنه وترى بعينك فكر كما اله كيف
اثرت فانيا على باق كيف بعت بوكس كيف احترقت رقده على انتباه معامله
آه لك لقد اشتريت بما بعت احمال ندم لا تقلها ظهر وتنكيس راس اسى
بعد الرفع ودموع حزن على قبح فعل ما لمددها انقطاع واقبح الكل
ان يقال لك بماذا ومن اجل ماذا وهذا على ماذا يا من غلب الغرور عليه الصحيح
ووزن له الميزان **فصل** تاملت قوله تعالى فمن اتبع هداي فلا
يضل ولا يشقى قال المفسرون هداي رسول الله وكتابي فوجدته

على الجملة ان كل من تبع القران والسنة عمل بما فيهما فقد سلم من الضلال
بلا شك وارتفع في حقه شقا الاخرة بلا شك اذا مات على ذلك وكذلك شقى
الدنيا فلا يشقى اصلا ويبين هذا قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا فان
رايته في شدة فله من اليقين بالجزا ما يصير الصاب عنده عسلا والاغلب
طيب العيش في كل حال والغالب انه لا ينزل به شدة الا اذا انحرف عن
جادة التقوى فاما الملازم لطريق التقوى فلا افة تطرقه ولا بلية
تنزل به هذا هو الاغلب فان ندر من تطرقه البلايا مع التقوى فذاك في
الاغلب لتقدم ذنب يجازى عليه فان قدرنا عدم الذنب فذاك لادخال
ذهب صبره كير البلا حتى يخرج تبرا احمر فهو يرى عذوبة العذاب لانه
شاهد المبتلي في البلا وهو الله قال الشبلي احبك الناس لنعمائك وانا احبك
لبلائك **فصل** لا ينال لذة المعاصي الا سكران الغفلة فاما المؤمن
فانه لا يلتذ لانه عند التذاذه يقف بازائه علم التحريم وحذر العقوبة فان
قويت معرفته راى بعين علمه قرب الناهي فيتنغص عيشه في حال التذاذه
وان غلب سكر الهوى كان القلب متنغصا بهذه المراقبات وان كان
الطبع في شهوته وما هي الا لحظة ثم خذ من غريم ندم ملازم
وبكاء متواصل واسف على ما كان مع طول الزمان حتى انه لو تيقن العفو
وقف بازائه حذر العقاب فاف للذنوب ما اقبح اثارها وما اسوا اخبا

خبارها

خبارها وما كانت شهوة الا مثال الا بمقدار الغفلة **فصل** بكرت
يوما اطلب الخلوة الى جامع الرصافة فجعلت اجول وحدي واتفكر في
ذلك المكان وما كان به من العلما والصالحين ورايت اقواما قد جاوروا
فيه فسالت احدهم منذ كم انت هاهنا فاومى الى قريب من عشرين سنة
فرايته في ثوب كثير الدرن والوسخ وجعلت اتفكر في حبسه نفسه عن
النكاح هذه المدة فاحدث للنفس بحث ذلك وتذم الدنيا والاغترار
بها فاقبل العلم يكر على النفس وينهض الفهم بحقائق الامور وموضوع الشرع
يقوى ما قال العلم فتحصل من ذلك ان قلت للنفس اعلمي انما هو لا على ضر بين
منهم من يجاهد نفسه في الصبر على هذه الاحوال فتفوته فضايل المخالطة
لاهل العلم والعمل وطلب الولد ونفع الخلق واستماع نفسه بمجالسة
اهل الفهم فيحدث له من نفسه حالة يشابه فيها الوحش فيؤثر الانفراد
لنفس الانفراد وربما حسن الطبع وشا الخلق وربما حدثت من حبس
ماية المحقن تحتبه افسدت بدنه وعقله وربما اورثت الخلوة وسوسة
وربما ظن انه من الاوليا واستغنى بما يعرفه وربما خيل له الشيطان اشيا
من الخيالات وهو يعدها كرامات وربما ظن ان الذي هو فيه
الغاية ولا يدري انه الى الكراهة اقرب فان رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم نهى ان يبيت الرجل وحده وهو كل منهما يبيت وحده

وبهى عن التبتل وهذا تبتيل ونهى عن الرهبه وهذه رهبه وهذا من خفى
بدع ابليس التى يوقع بها فى ورطات الضلال بالطف وجه واخفاه ۞
والضرب الثانى مشايخ قد فنوا فانقطعوا ضروره اذا اليس احدهم ماوى

فهم فى مقام الزمنى وان كان الضرب الاول قد قطعوا حبل نفوسهم فى العلم
والعمل والكسب وتعلقت هممهم بفتوح يطرق عليهم الباب فرضوا بالعمى
بعد البصر وبالزمن بعد الاطلاق فقالت لى النفس لا ارضى لك هذا
الذى تقول فانك انما تميل الى ايثار نكاح المستحسنات والمطاعم المشتهيات
فاذا لم تكن من اهل التعبد فلا تطعن فيهم فقلت لها ان فهمت حدثتك
وان كنت تقلدين صور الاحوال خلافهم لك اما المستحسنات فان المقصود
من النكاح اشيا منها طلب الولد ومنها شفا النفس باخراج الفضله الموذيه
وكمال خروجها لا يكون الا بوجود المستحسن فاعتبر هذا بالوطى دون
الفرج فانه لا يخرج تلك الفضلات ما يخرج بالوطى فى الفرج وبتمام خروج
تلك الفضله تفرغ النفس عن شواغلها فتدرى اين هى كما نامر القاضى بالاكل
قبل الحكم ونهاه عن الحكم وهو غضبان او حاقن وبكمال بلوغ هذا
الغرض يكون كمال الولد بتمام النطفه التى يخلق منها ثم للنفس حظ فهى
تستو فيه استيفا الناقه حظها من العلف فى السفر وذلك يعين على سيرها
واما المطاعم فالجاهل من يطلبها لذاتها او للنفس لذاتها وانما المراد اصلاح

عزم الناقه

عزم الناقه لجمع همها وبلوغ مرادها من غرضها الصارف لها عن الفكر فى
هواها واذا تاملت حال الشرب الاول رايت من هذا عجبا فان النبى صلى الله
عليه وآله وسلم اختار لنفسه عايشه رضى الله عنها وكانت تستحسن وراى
زينب فاستحسنها فتزوجها وكذلك اختار صفيه وكان اذا وصف له امراه
بعث يخطبها وكان لعلى عليه السلام اربع حراير وسبعه عشر سريه مات
عنهن وقبل هذه الامه فقد كان لداود ماية ولسليمن الف امراه فمن ادعى
خللا فى هذه الطرق او ان هولا اثروا اهواهم وانفقوا بضايع العمر
فى هذه الاغراض وغيرها افضل فقد ادعى على الكاملين النقصان
وانما هو الناقص فهمه لا هم وقد كان سفيان الثورى اذا سافر فى
سفره حمل مشوى فالوذج وكان حسن المطعم وكان يقول ان الدابه اذا
لم يحسن اليها لم تعمل وهذه الفصول التى اشرت اليها ان قصدت للحاجه
اليها او لقضى وطر النفس منها او لبلوغ الاغراض الدينيه والدنياويه
منها فكله قصد صحيح لا يعكر عليه حاله ومن يقوم ويقعد فى ركعات
لا يفهم معناها او فى تسبيحات كثر الفاظها رديه كلا ليس الا العلم
الذى هو افضل الصفات واشرف العبادات وهو الامر بالمصالح والناطق
بالنصايح ثم منفعة العلم معروفه وزهد الزاهد لا يتعدا عتبة بابه وقد
قال صلى الله عليه وآله وسلم لان يهدى الله بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس

لعل قوله [illegible]

ثم اعتبر فضل الرسل على الانبيا والجوارح على التي لا يصيد والطين الذي
يعمل منه ما يصنع به على الطين الذي في المقلع وغاية العلما تصرفهم بالعلم
في المباح واكثر المتزهدين جهال لا يستعبدهم تقبيل اليد لاجل تركهم
ما ابيح فكم فوتت العزلة علما يصلح به اصل الدين وكم اوقعت في بليه
هلك بها الدين وانما عزلة العالم عن الشر فحسب والله الموفق

فصل

ينبغي لكل ذي لب وفطنة ان يحذر عواقب المعاصي فانه ليس بين
الادمي وبين الله تعالى قرابه ولا رحم الا انه عز وجل قيم وانما هو قايم
بالقسط حاكم بالعدل وان كان حلمه يسع الذنوب الا انه اذا شا عفى
فعفى الكل كثيف من الذنوب فاذا شا واخذ باليسير فالحذر الحذر
ولقد رايت اقواما من المترفين كانوا يتقلبون في الظلم والمعاصي باطنه
وظاهره فبغتوا من حيث لم يحتسبوا فقلعت اصولهم ونقض ما بنوا
من قواعد احكموها لذراريهم وما كان ذلك الا انهم اهملوا جانب الحق
عز وجل وظنوا ان ما يفعلونه من خير يقاوم ما يجري من شر فمالت سفينة
ظنونهم فدخلها من ما الكيد ما اغرقهم ورايت اقواما من المنتسبين
الى العلم اهملوا نظر الحق عز وجل فان ميزان عدله تبين فيه الذرة وجزاه
مرصد للمخطي ولو بعد حين وربما ظن العفو وهو امهال وللذنوب
عواقب سيئه فالله الله الخلوات الخلوات البواطن البواطن النيات

النيات

النيات فان عليكم من الله عينا ناظرة واياكم والاغترار بحلمه وكرمه
فكم استدرج وكونوا على مراقبة الخطايا فلعله وهذا افضل اذا تامله العاقل
لله تعالى نفع ولقد قال بعض المراقبين لله تعالى قدرت على لذة هي عايدة ليست
كبيره فنازعتني نفسي اليها اعتمادا على صغرها وعظم فضل الله وكرمه
فقلت لنفسي ان غلبت هذه فانت انت واذا اتيت هذه فمن انت وذكرتها
حال اقوام كانوا يفسحون لانفسهم في مسامحة كيف انطوت اذكارهم
وتمكنت عقوبة الاعراض عنهم فيهم فارعوت ورجعت عما همت به والله
الموفق

فصل

كثير من الناس يتسامحون في امور يظنونها قريبه
وهي تقدح في الاصول كاستعارة طلاب العلم جزء ولا يردونه وقصد
الدخول على من ياكل ليوكل معه وتناول الطعام لم يدع الانسان اليه
والتسامح بعرض العدو والتذاذا بذلك واستصغار المثل هذا
واطلاق البصر في المحرم اهونا بتلك الخطيه وفتوى من لا يعلم البلا
لئلا يقال هو جاهل ونحو ذلك مما يظن صغيرا وهو عظيم واهون ما يصنع ذلك
بصاحبه ان يحطه من مرتبة المتميزين بين الناس ومن مقام رفعة القدر
عند الحق وربما قيل له بلسان الحال يا من اوثر على امر يسير محا ان ما لديه
حظك فانوا به قال بعض السلف تناسيت لقمة فتناولتها فانا اليوم من اربعين
سنة الى خلف فالله الله اسمعوا ممن قد جرب كونوا على مراقبة وانظروا

في العواقب واعرفوا عظمة الناهي واحذروا من يحصه تحتقرو وشررة تستصغرو فربما احترقت بلدا وهذا الذي اشرت اليه يسير يدل على كثير والنوح يعرف باقي المختصرات من الذنوب والعلم والمعرفة نعم فانك ما اخللت بذكره ويعلم انك ان تلمحت بعين البصيرة اثر شوم فعله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فصل رايت من نفسي عجبا تسال الله عز وجل حاجاتها وتنسى جناياتها فقلت يا نفس السوء ومثلك من نطق وان نطق فينبغي ان يكون السؤال العفو فحسب فقالت ممن اطلب مراداتي قلت ما امنعك من طلب المراد انما اقول حققي التوبة وانطقي كما يقول في العاصي بعزه اذا اضطر الى الميتة لا يجوز له ان ياكل فان قيل لنا افيموت قلنا لا يتوب ويأكل فالله الله من جراه على الطلب الاعراض مع نسيان ما تقدم من الذنوب التي توجب نكس الرؤس ولئن تشاغلت باصلاح ما مضى والندم عليه جاءتك مرادانك كما روي من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وقد كان بشر الحافي يبسط يديه للسؤال ثم يسبلها ويقول مثلي لا يسال ما ابقت الذنوب لي وجها وهذا يختص ببشر لقوة معرفته كان وقت السؤال كالمخاطب كفاحا فاستحيى للزلل فاما اهل الغفلة فسؤالهم على بعد فافهم ما ذكرته وتشاغل بالتوبة من الزلل ثم العجب من سؤالك فانك تكاد تسال مهما من الدنيا فضول العيش ولا تسال صلاح القلب والدين

مثل ما تسال

مثل ما تسال صلاح الدنيا فاعقل امرك فانك من الانبساط والغفلة على شفا جرف ولتكن حزانتك على زلاتك شاغلة لك عن مرادانك فقد كان الحسن البصري شديد الخوف فلما قيل له في ذلك قال وما يؤمنني ان يكون اطلع على في بعض ذنوبي فقال اذهب لا غفرت لك فصل اعجب العجب دعوى المعرفة مع البعد عن العرفان بالله ما عرفه الا من خاف منه فاما المطمئن فملتبس من اهل المعرفة وفي المتزهدين اهل تغفيل يكاد احدهم يوطي على انه ولي ومحبوب ومقبول وربما توالت عليه الطاف وربما احتقر غيره وظن ان محليه محفوظة بغره ركيعات يتنصب فيها او عبادة ينصب بها وربما ظن انه قطب الارض وانه لا ينال مقامه بعده احد وكانه ما علم ان نبينا موسى في كالهم بني يوشع وبينا زكريا مجاب الدعوة نشر بالمنشار وبينا يحيى يوصف بانه سيد سلط عليه كافر احتز راسه وبينا بلعام مع الاسم الاعظم صار مثله كمثل الكلب وبينا الشريعة تعمل بها نسخت وبطل حكمها وبينا البدن معمورا خرب وتسلط البلا عليه وبينا العالم بداب حتى ينال المرتبة يعتقدها نشا طفل في زمانه فترقى الى سن عمو به وغلط وكم من متكلم يقول ما مثلي لو عاش فسمع ما حدثت بعدم من الفصاحة عن نفسه احرس هذا وعظا ابن السماك وابن عمار وابن شمعون عندنا لا يصلح لبعض تلامذتنا

ولا نرضاه فكيف نعجب بنفوسنا وبها انى بعدنا من لا يعدنا فالله
الله من مشاكلة مثلكن ومحاللة مقام ولكن المستيقظ على ازعاج وتحتم
الكثير من طاعته خايفا على نفسه من تقلباته وتقوى الاقدار فيه
واعلم ان تلمح هذه الاشيا التي اشرت اليها يضرب عنق العجب ويذهب
كبر الكبر فصل من عاش مع الله عز وجل حينا نسي نقص وسنا
يعطي سلب فطيب العيش والرضا هناك بين فاما من تواصلت
لديه النعم فانه يكون طيب القلب ليواصلها فاذا مسته نفحة من البلا
فبعيد ثبوته قال الحسن البصري كانوا يتساوون في وقت النعم
فاذا نزل البلا تباينوا فالعاقل من عد ذخرا وحصل زادا وازداد
من العدد لمحاربة البلا ولا بد من لقا البلا ولو لم يكن الا عند
صرعة الموت فانها ان نزلت والعياذ بالله فلم تجد معرفة توجب
الرضا او الصبر اخرجت الى الكفر ولقد سمعت بعض من كنت اظن
فيه كثرة الخير وهو يقول في ليالي موته ربي هو ذا يظلمني فلم ازل
منزعجا مهتما بتحصيل عدة القى بها ذلك الكرب فكيف وقد روي
ان الشيطان يقول لاعوانه في تلك الساعة عليكم بهذا فان فاتكم
لم تقدروا عليه واي قلب يثبت عند امساك النفس والاخذ بالكظم
ونزع النفس والعلم بمفارقة المحبوبات الى ما لا يدري ما هو ليس

في ظاهره

في ظاهره الا الخير والبلا فنسال الله عز وجل يقينا يقينا ذلك اليوم
لعلنا نصبر للقضا او نرضا به ونرغب الى مالك الامور في ان يهب لنا من
فواضل نعمه على احبابه حتى يكون لقاؤه احب الينا من بقائنا وتفويضنا
الى تقديره اشهى عندنا من اختيارنا ونعوذ بالله من اعتقاد الكمال حتى
انعكس علينا امرنا على القدر بالتسخط فهذا هو الجهل المحض والخذلان
الصريح اعاذنا الله منه فصل ليس في الدنيا ولا في الاخرة اطيب
عيشا من العارفين بالله عز وجل فان العارف به مستانس به في خلوته
بالمبتلى وان نال فمعروف فان عمت نعمة علم من اهداها وان مر مر حلا
مذاقه في فيه لمعرفته بالمبتلي وان نال فمعروف مقصوده صار مراده
ما جرى به القدر علما منه بالمصلحة بعد يقينه بالحكمة وثقته بحسن التدبير
وصفة العارف ان قلبه مراقب لمعرفه قايم بين يديه ناظر بعين
اليقين فقد سرى من بركة معرفته الى الجوارح ما هذبها •
فان نطقت فلم انطق بغيركم • وان سكت فانتم عقد اضماري •
اذا تسلط على العارف اذى اعرض بنظره عن السبب ولم ير سوى المسبب
فهو في اطيب عيش معه ان سكت تفكر في اقامة حقه وان نطق تكلم
بما يرضيه لا يسكن قلبه الى زوجة ولا الى ولد ولا يتشبث بذيل محبة

احد وانما تعاشر الخلق ببدنه وروحه عند مالكه وحده فهذا
الذي لا هم عليه في الدنيا ولا غم عنده وقت الرحيل عنها ولا وحشة
له في القبر ولا خوف عليه يوم الحشر فاما من عدم المعرفة فانه معتز
لا يزال يصيح من البلاء لانه لا يعرف المبتلي ويستوحش لفقد عرضه
لانه لا يعرف المصلحة ويستانس بجنسه لانه لا معرفة بينه وبين ربه
ويخاف من الرحيل لانه لا زاد له ولا يعرفه بالطريق وكم من عالم وزاهد
لم يرزقا من المعرفة الا ما رزقه العامي البطال وربما زاد عليهما وكم
من عاصي رزق منها ما لم يرزقاه مع اجتهادهما وانما هو مواهب
واقسام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء **فصل** بالله عليك يا مرفوع
القدر بالتقوى لا تبع عزها بذل المعاصي وصابر عطش الهوى
في هجير المشتهى وان امضك وارمضك فاذا بلغت النهاية من الصبر
فاحتكم وقل هو مقام من لو اقسم على الله لابره تالله لولا قوة صبر
عمر ما انبسطت يده بضرب الارض بالدرة ولولا جد انس بن النضر في
ترك هواه وقد سمعت من اثار عزمته لئن اشهدني الله مشهدا ليرين الله
ما اصنع فاقبل يوم احد يقاتل حتى قتل فلم يعرف الا ببنانه فلولا هذا
العزم ما كان لانبساطه يوم واسه لا تكسر سن الربيع بالله عليك تذوق

واقمض

حلاوة



حلاوة كفك الكف عن المنهي فانها شجرة تثمر عز الدنيا وشرفا
في الاخرة ومتى اشتد عطشك الى ما تهوى فابسط انامل الرجاء الى من عنده
الري الكامل وقل قد عيل صبر الطبع في سنيه العجاف فعجل العام الذي
فيه يغاث الناس وفيه يعصرون واعصر بالله عليك تفكر في من قطع اكثر العمر في التقوى والطاعة ثم عرضت
له فتنة في الاخير كيف نطح مركبه الجرف فغرق وقت الصعود اف والله
للدنيا لا بل الجنة ان اوجب نيلها اعراض الحبيب انما نسب العاصي باسمه دون اسم
ابيه فاما ذوو الاقدار فلا القاب قبل الاسباب قل لمن نبت ووصا
علك والى اي مقام ارتفع قدرك يا من لا يصبر لحظة عما يشتهي بالله عليك
اتدري من الرحل الرجل والله من اذا خلي بما يحب من المحرم وقدر عليه
وتقلقل عطشا اليه نظر الى نظر الحق اليه فاستحيى من اجالة همه
فيما يكره فذهب العطش كانما يترك لنا الاما لا يشتهي او ما لا مصدق
السهوة فيه او ما لا تقدر عليه كذا والله عادتك اذا تصدقت اعطيت
كسرة لا تصلح لك او في جاعة لا تحويك هيهات والله لا تنالت ولاينا
حتى تكون معاملتك لنا خالصة بذل اطايبك وترك مشتهياتك
وتصبر على مكروها لك علما منك ان كنت معاملا بانك الجبر وما
عزبت الشمس فان كنت محبا رايت ذلك قليلا في جنب رضى حبيبك عنك
وما كلامنا مع الثالث **فصل** رايت في العقل نوع منازعة للتطلع



الى جميع حكم الحق عز وجل في حكمه فربما لم يتبين له بعضها مثل النقض بعد
البنا فيقف متحيرا وربما انتهز الشيطان تلك الفرصة فوسوس اليه اي الحكمة
من هذا فقلت له احذر ان تخدع يا مسكين فان ثبت الدليل القاطع لما
رايت من اتقان الصنايع عندك حكمة الصانع فان خفي عليك بعض الحكم
فلضعف ادراكك ثم ما زالت للملوك اسرار فمن انت حتى يطلع بضعفك
على جميع حكمه يكفيك الجمل واياك ان تتعرض لما يخفى عليك فانك بعض مو
ضوعاته وذرة من مصنوعاته فكيف تتحكم على من صدرت عنه ثم قد
ثبت عندك حكمته وحكمه وملكه فاعمل الشك على قدر قوتك
في مطالعة ما يمكن من الحكم فانه سيهون عليك الدهش وغمض عما خفي عليك
تحقيق بذي البصر الضعيف لا يقاري نور الشمس فصل اعجب الاشيا
مجاهدة النفس لانها تحتاج الى صناعة عجيبة فان اقواما اطلقوها
فيما تحب فاوقعتهم فيما كرهوا وان اقواما بالغوا في خلافها حتى منعوها
حظها وظلموها حقها واثر ظلمهم لها في تعبداتهم فمنهم من اساء غذاها
فاثر ذلك ضعف بدنها عن اقامة واجبها ومنهم من افردها في خلوة
اثمرت الوحشة من الناس والت الى ترك فرض او فضل من عيادة مريض
او بر والده وانما الحازم من تعلم نفسه عنه الحد وحفظ الاصول فاذا
فسح لها في مباح لم يحاشر ان تعداه فيكون معها كالملك اذا مازح

بعض جنده

بعض جنده فانه لا يبسط اليه الغلام فان انبسط ذكر هيبة المملكة
فكذلك المحقق يعطيها حظها ويستوفي منها ما عليها فصل
رايت عموم الخلايق يدفعون الزمان دفعا عجيبا ان طال الليل
فبحديث لا ينفع او بقراة كتاب فيه غزاة وسمر وان طال النهار فالنوم
وهم في اطراف النهار على دجلة او في الاسواق فشبهتهم بالمتحدثين في
اطراف النهار على دجلة سفينة وهي تجري بهم وما عندهم خبر ورايت
النادرين قد فهموا معنى الوجود فهم في تعبية الزاد والتاهب
للرحيل الا انهم يتفاوتون وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرته بما
ينفق في بلد الاقامة فالمتيقظون منهم يتطلعون على الاخبار
ما لنا فوق هناك فيستكثرون منه فيزيد ربحهم والغافلون منهم يحملون
ما اتفق وربما خرجوا لا مع خفير فكم ممن قطعت عليه الطريق فبقي
مفلسا فالله الله في مواسم العمر والبدار والبدار قبل الفوات واستشهدوا
العلم واستدلوا الحكمة ونافسوا الزمان وناقشوا النفوس واستظهروا
بالزاد فكان قد حدا الحادي فلم يفهم صوته من وقع دمع الندم فصل
اضر ما على المريض التخليط وما من احد الا وهو مريض بالهوى والحمية
عنه راس الدوى والتخليط يديم المرض وتخليط ارباب الاخرة على
ضربين احدهما تخليط العمل وهو ما المخالطة الاضداد كالسلاطين

فانهم يضعفون قوى نفسه كلما همت المخالطة ويقدحون في دينهم
عند المريدين فاني اذا رايت طبيبا يخلط وبحميني سكت او وقفت
والثاني تخليط الزهاد وقد يكون لمخالطة ارباب الدنيا وقد يكون لحفظ
الناموس واظهار التخشع لاجتلاب محبة العوام فالله الله فان فيا
قد الحرايض والاخلاص في الباطن والصدق في القلب ونعم طريق السلامة
ستر الحال **فصل** لقيت مشايخ احوالهم مختلفة يتفاوتون في مقاديرهم
في العلم فكان انفعهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه وان كان غيره اعلم
منه ولقيت جماعة من علما الحديث يحفظون ويعرفون ولكنهم كانوا
يتسامحون بغيبة يخرجونها في مخرج جرح وتعديل وياخذون على
قراة الحديث اجره ويسرعون الجواب لئلا ينكسر الجاه وان وقع خطا
ولقيت عبد الوهاب الانماطي فكان على قانون السلف لم يسمع في مجلسه
غيبة ولا كان يطلب اجرا على سماع الحديث وكنت اذا قرات عليه
احاديث الرقايق بكا واتصل بكاوه فكنت وانا صغير السن حينئذ
يعمل بكاوه في قلبي ويبني قواعد وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا اوصافهم
في النقل ولقيت الشيخ ابا منصور الجواليقي فكان كثير الصمت شديد
التحري فيما يقول متقنا محققا وربما سال المسئلة الظاهرة التي يبادر
بجوابها بعض غلمانه فيتوقف فيها حتى يتيقن وكان كثير الصوم والصمت

فاسو

فانتفعت برويه هذين الرجلين اكثر من انتفاعي بغيرهما ففهمت من هذه
الحالة ان الدليل بالفعل ارشد من الدليل بالقول فرايت مشايخ كانت
لهم خلوات في انبساط ومزاح فراحوا عن القلوب وبدد تبديدهم ما
جمعوا من العلم فقل الانتفاع بهم في حياتهم ونسوا بعد مماتهم ولم يكد
احد يلتفت الى مصنفاتهم فالله الله بالعلم بالعمل فانه الاصل الاكبر
والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به ففاتته لذات
الدنيا وخيرات الاخرة فقدم مفلسا على قوة الحجة عليه **فصل**
سبحان الملك العظيم الذي من عرفه خافه وما امن
مكره قط من عرفه لقد تاملت امرا عظيما انه عز وجل يمهل حتى كانه
يهمل فترى ايدي العصاه مطلقة كانه لا مانع واذا زاد الانبساط
ولم يرعوا **العقوب** اخذ اخذ جبار وانما كان ذلك الامهال ليبلو صبر
الصابر وليملي في الامهال للظالم فيثيب هذا على صبره ويجازي هذا
بقبيح فعله مع ان هنالك من الحكم في طي ذلك ما لا نعلمه فاذا اخذ اخذ
عقوبه رايت على ذلك غلطه بعقد وربما جاءت فضربت القاصي بالحجر الدامغ
وربما خفي على الناس سبب عقوبته فقيل فلان من اهل الخير فاي وجه ما جرى
له فيقول القدر حدود ذلك بذنوب خفية صار استيفاؤها ظاهرا فسبحان
من ظهر حتى لا خفاء به واستتر حتى كانه لا يعرف وامهل حتى طمع في مسامحته وناقش حتى تحيرت

بيان العقول

العقول من مواخرته فلا حول ولا قوة الا بالله فصل اذا ملت الى العلم والميل
اليه والتشاغل به فاذا هو يقوي القلب قوة يميله الى نوع قساوة ولولا قوة
القلب وطول الامل ما يقع التشاغل به فاني اكتب الحديث ارجو ان ارويه
وابتدي بالتصنيف الكبير ارجو ان اتمه فاذا تاملت الى باب المعاملات
قل الامل ورق القلب وجرت الدموع وطابت المناجاة وغشيت السكينة
وصرت كاني في مقام المراقبة الا ان العلم افضل واقوى حجة واعلى رتبة
وان حدث منه ما شكوت منه والمعاملة وان كثرت الفوايد التي
اشرت اليها منها فانها قريبة الى احوال الجبان الكسلان الذي قد
اقنع بصلاح نفسه عن هداية غيره وانفرد بعزلته عن اجتذاب الخلق
الى ربهم فالصواب العكوف على العلم مع تلذيع النفس باسباب
المرققات تلذيعا لا يقدح في كمال التشاغل بالعلم فاني لا اكره لنفسي
من جمعه ضعف قلبي ورقته ان اكثر زيارة القبور وان احضر المحتضرين
لان ذلك يوثر في ذكري ويخرجني عن حيز المتشاغلين بالعلم الى مقام
الفكر في الموت ولا انفع بنفسي مدة وفصل الخطاب في هذا انه ينبغي ان
يقاوم المرض بضده فمن كان قلبه قاسيا شديد القسوة وليس عنده
من المراقبة ما يكفه عن الخطا قاوم ذلك بذكر الموت ومحاضرة المحتضرين
فاما من قلبه شديد الرقة فيكفيه ما به بل ينبغي له ان يتشاغل بما ينسيه

ذلك

ذلك لينفع بعيشه وليفهم ما يعني به وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم
يمزح ويسابق عايشة ويتلطف بنفسه فمن تدبر سيرته عليه السلام
فهم من مضمونها ما قلته من التلطف بالنفس فصل أطرف الاشيا
افاقة المحتضر عند موته فانه ينتبه انتباها لا يوصف ويقلق قلقا لا يحد
ويتلهف على زمانه الماضي ويود لو ترك ليتدارك ويتصدق لو تبته
على مقدار يقينه بالموت ويكاد يقتل نفسه قبل موتها بالاسف فلو وجدت
ذرة من تلك الاحوال في اوان العافية حصل كل مقصود من العمل بالتقوى
فالعاقل من مثل تلك الساعة وعمل بمقتضى ذلك فان لم يتهيا تصور
ذلك على حقيقته تخايله على قدر يقظته فانه يكف كف الهوى ويبعث
على الجد فاما من كانت تلك الساعة نصب عينيه كان كالاسير لها كما
روي عن حبيب العجمي انه كان اذا اصبح يقول لامراته ان مت اليوم فلان
يغسلني وفلان يحملني وقال معروف لرجل صل بنا الظهر فقال ان صليت
بكم الظهر لم اصل بكم العصر فقال وكانك تومل ان تعيش الى
العصر نعوذ بالله من طول الامل وذكر رجل رجلا بين يديه فجعل معروف
يقول لنا اذكر القطن اذا وضعوه على عينيك فصل ربما اخذ المستيقظ
ببيت شعر فاخذ منه اشارة فاسمع بها قال الجنيد ناولني سري رقعة فيها
مكتوب سمعت حاديا في طريق مكة شرفها الله تعالى يقول

ابكي وما يدريك ما يبكيني ۞ ابكي حذارًا ان تفارقيني ۞ وتقطعي حبلي وتهجريني

فانظر رحمك الله ووفقك الى تاثير هذه الابيات عند سري حتى احب ان يطلع منها الجنيد فان اقوامًا فهم كثيف طبع وحشونه فهم قال بعضهم لما سمع مثل هذه الى من يشار بهذه ان كان الى الحق فالحق عز وجل لا يشار اليه بلفظ تانيث وان كان الى امراه فاين الزهد ولعمري ان هذا احد اهل الغفله اذا سمعوا مثل هذا وكذلك نهي عن سماع القصايد واقوال اهل الغنا لان الغالب حمل تلك الابيات على مقاصد النفس وعلبات ومن اين لنا مثل الجنيد وسري فاذا وجدنا مثلهما فهما خبيران بما يسمعان فاما اعتراض هذا الكثيف الطبع فالجواب ان سريا لم ياخذ الاشاره من اللفظ ولم يقف على مطلوبه فيصيره مانيثا او تذكيرا وانما اخذ الاشاره من المعنى فكانه يخاطب حبيبه لمعنى الابيات فيقول ابكي حذارًا من اعراضك وابعادك فهذا الحاصل له تذكيرا وما التفت قط الى تذكير ولا الى لفظ تانيث فافهم هذا وما زال المستنبطون ياخذون الاشاره من مثل هذا حتى كانوا ياخذونها من هذا الذي يقوله العامه وللقنوبه كان وكان وقرات بخط ابن عقيل عن بعض مشايخ الكبار انه سمع امراة تنشد ۞ غسلت له طول الليل ۞ ۞

فركت له طول النهار ۞ خرج يعاتبني ۞ زلق وقع في الطين ۞ ۞

فاخذ

فاخذ من ذلك اشاره معناها يا عبدي اني حسنت خلقك واصلحت شانك وقومت حسك فاقبلت على غيري فانظر عواقب خلافك لي وقال ابن عقيل وسمعت امراة تقول من هذا المكان وكان كلما نعست في قلبها مدة كم كنت بالله احل لك لذا التواني عاملة وللقبيح حره بين بعد قليل قال ابن عقيل فما اوقع من يحيل على اهمالنا الامور عد اسس حمارها من الله عز وجل

فصل امكنني تحصيل شي من الدنيا بنوع من انواع الرخص فكنت كلما حصلت شي منه فاتني من قلبي شي فكلما استنارت الى طريق التحصيل تجدد في قلبي ظلمة فقلت في قلبي يا نفس السوء الاثم جوان القلوب وقد قالت استفت نفسك فلا خير في الدنيا كلها اذا كان في القلب من تحصيلها شي اوجب ذلك نوع كدر وان الجنة لو حصلت بسبب يقدح في الدين او في المعامله ما لذت والنوم في المزابل مع سلامة القلب من الكدر الزم من تكاة الملوك وما زالت اغلب نفسي تارة ويغلبني اخرى ثم تدعي الحاجه الى تحصيل ما لا بد لها منه وتقول فما التعدي في الكسب المباح في الظاهر فقلت لها اليس الورع يمنع من هذا قالت بلى قلت اليس القنوع في القلب يحصل قالت بلى قلت فلا خير لك في شي هذا ثمرته فخلوت يومًا بنفسي فقلت لها ويحك امعي احد ان جمعت شيا من الدنيا من وجه فيه شبهة افانت على ثقة من

الفاقة قالت لا قلت فالمحنة ان تحطي بالعيش ولا تنالي الا الكدر العاجل
والوزر الذي لا يؤمن ويحك اتركي هذه الذي يمنع منه الورع لاجل الله
فعامليه بتركه فكانك لا تريدين ان تتركي الا ما هو محرم فقط او ما لا يصح
وجهه اما سمعت ان من ترك شيا لله عز وجل عوضه الله خيرا منه امثاله
اما لك عبرة في اقوام جمعوا فجاوا اتواهم واملوا فما بلغوا مناهم كم من عالم
جمع كتبا كثيرة ما انتفع بها وكم من منتفع ما صفت عشرة احرا كم من
طيب العيش ما عنده دينارين وكم من ذي قناطير منغص اما لك فطنة
تلمح احوال من يترخص من وجه فيسلب منه من اوجه ربما ترك
الحوض بصاحب الدار وسعض من فيها فانفق في سنته اضعاف
ما ترخص في كسبه والمنفي معا فافتضحت النفس من لومي وقالت
اذا لم انتفع واجب الشرع فما الذي تريد مني فقلت لها الحنانيك
عن الغبن وانا عارف بباطن امرك قالت فقل لي ما اصنع قلت عليك
بالمراقبة لمن يراك وعلي نفسك بحضرة معظم من الخلق فانك بين يدي
الملك الاعظم يرى من باطنك ما لا يراه المعظمون من ظاهرك فخذي
بالاحوط واحذري من الترخص في مع النفس والنفوس بعاجل
الهوى فان وقع الطبع ما يلين فقولي له مهلا فما انقضت مدة
الاشارة والله مرشدك الى التحقيق ومعينك على التوفيق

فصل

فصل ما زلت اسمع عن جماعة من الاكابر وارباب المناصب انهم
يشربون الخمر ويفسقون ويظلمون ويفعلون اشيا توجب الحدود
فبقيت اتفكر في تعطيل واقول متى يثبت على مثلها اولي ما توجب حدا فلو نقمه
واستبعد هذا في العادة لانهم في مقام احترام لاجل مناصبهم فبقيت
اتفكر في تعطيل الحد الواجب عليهم حتى رايناهم قد نكبوا واخذوا مرات
ومرت عليهم العجايب فقوبل ظلمهم باخذ اموالهم واخذت منهم الحدود
مضاعفة بعد الحبس الطويل والقيد الثقيل والذل العظيم وفيهم من قتل
بعد ملاقاة كل شدة فعلمت انه ما يهمل شي فالحذر الحذر فان العقوبة
بالمرصاد فصل اجتهاد العاقل فيما يصلحه لازم له بمقتضى العقل
والشرع فمن ذلك حفظ ماله وطلب تنميته والرغبة في ابقائه لان سبب
بقا الانسان ماله فقد نهى عن التبذير قبله فقيل له ولا تؤتوا السفهاء
اموالكم فاعلم انه سبب لبقائه التي جعل الله لكم قياما اي قواما لمعايشكم
وقال عز وجل ولا تبسطها كل البسط وقال ولا تبذر تبذيرا وقال لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ومن فضيلة المال ان الله تعالى
قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال وانفقوا في سبيل الله وقال
ينفقون اموالهم وقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وجعل
المال نعمة وزكاته تطهيرا فقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم

بها وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال
ما نفعني مال كمال ابي بكر وكان ابو بكر يخرج الى التجارة ويترك رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم فلا ينهاه عن ذلك وقال عمر ابن الخطاب رضوان الله
عليه لان اموت بين شعبتي رحل اطلب كفاف وجهي احب الي من اموت
غازيا في سبيل الله فكان جماعة من الصحابة يتجرون ومن سادات التابعين
سعيد بن المسيب فمات وخلف مالا وكان يحتكر الزيت وما زال السلف
على هذا ثم قد تعرض نوايب المرض يحتاج فيها الى شي من المال فلا يجد
الانسان بدا من الاحتيال في طلبه فيبذل عرضه او دينه ثم للنفس
قوه بلغه عند وجود المال وهو معدود عند الاطبا من الادويه
حكم وضعها الواضع وانما نبع اقوام طلبوا طريق الراحه فادعوا
انهم متوكلون وقالوا نحن لا نمسك شيا ولا نتزود لسفر ورزقنا لا
بد ان ياتي وهذا على مضادة الشرع فان رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم نهى عن اضاعة المال وموسى لما سافر في طلب الخضر تزود
ونبينا صلى الله عليه واله وسلم لما هاجر تزود وابلغ من هذا قوله
تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى ثم يدعي هولا المتصوفه بغض
الدنيا فلا يفهمون ما الذي ينبغي ان يبغض ويرون زياده الطلب
للمال حرصا وشرها وفي الجمله انما اخترعوا باراهم طريقا فيها شي من

الرهبانيه

الرهبانيه اذا صدقوا وشي من البهرجه اذا نصبوا شباك الصيد بالتزهد
وتمنوا ما يصل اليهم من الاوقاف فتوحا قال ابن قتيبه في غريب الحديث
في قوله عليه السلام واليد العليا قال هي المعطيه قال والعجب عندي من
قوم يقولون هي الاخذه ولا ارى هولا القوم الا قوما استطابوا السوال
فهم يحتجون للدناه فاما الشرايع فانها زينه من حالهم وفي الحديث
ضاق البلد بمواشي ابرهيم ولوط فافترقا وكان شعيب كثير
المال ثم قد مد طمعه في زياده الاجر من موسى فقال فان اتممت عشرا
فمن عندك وكان ابن عقيل رحمة الله عليه يقول من قال لا احب الدنيا فهو كذاب فان
يعقوب عليه السلام لما طلب منه بنيامين قال هل امنكم عليه الا كما فقالوا
ونزداد كيل بعير فقال خذوه وقال بعض السلف من ادعى بغض الدنيا
فهو عندي كذاب الى ان يثبت صدقه فهو مجنون وقد نفر جماعه من المتصوفه
خلقا من الخلق عن الكسب واوحشوا بينهم وبينه وهو داب الانبيا
والصالحين وانما طلبوا طريق الراحه وجلسوا على الفتوح فاذا شبعوا
رقصوا فاذا انهضم الطعام اكلوا فان لاح لهم حيله على غني اوجبوا
عليه دعوه ما بسبب شكر او بسبب استغفار واطم الطامات ادعاوهم
ان هذا قربه وقد انعقد اجماع العلما ان من ادعى الرقص قربه الى الله
كفر ولو انه مباح كان اقبح حالا وهذا لان القرب لا تعرف الا بالشرع

وليس في الشرع امر بالرقص ولا ندب اليه ولقد بلغني عن جماعة منهم
انهم كانوا يوقدون الشمع في وجوه المردان وينظرون اليهم فاذا سئلوا
عن ذلك تخرصوا بالباطل فقالوا نعتبر بخلق الله افتراهم اقوى من النبي
صلى الله عليه واله وسلم حين اجلس الشاب الذي وفد عليه من وراء ظهره
وقال وهل كانت فتنة داود الا من النظر هيهات لقد تملك الشيطان
تلك الازمة فقادها الى ما ارادوا والعجب فيمن يذم الدنيا وهو ياكل
فيشبع ولا ينظر من اين المطعم وما زال صالحوا السلف يفتشون
على المطعم حتى كان ابراهيم بن ادهم يسهر هو واصحابه ويقولون
مع من نعمل غدا وكان سري السقطي يعرف بطيب المطعم وله في الورع
مقامات فجاء قوم يتسمون بالصوفية يدعون اتباع اوليك السادة
وياكلون من مال فلان وهم يعرفون اصول تلك الاموال ويقولون
رزقنا فواعجبا اذا كان الاكل من اين كان ولا امتناع من شبهة ولا
تعلل ولا يخلو الرباط من المطبخ ولا ينقطع ليلة واحدة من مال
قد عرف من اين هو والحمام دائر والمغني يدق دفا فيه جلاجل
ودفيقه والشبابة وسعدى وليلى في الانشاد والمردان في الشمع
ثم تذم الدنيا بعدها فيقولوا لنا من تلهى بالناس ويكون من مرتبة عليه
درجتهم فانه اخس منهم فصل عرض لنا في طريق الحج خوف من العرب

فسرنا على طريق خيبر فرايت من الجبال الهائلة والطرق العجيبة ما اذهلني
وزادت عظمة الخالق عز وجل في صدري فصار يعرض لي عند ذكر تلك الطرق
نوع تعظيم لا اجده عند ذكر غيرها فصحت بالنفس ويحك اعبري الى
البحر وانظري اليه والى عجائبه بالفكر تشاهدي اهوالا هي اعظم
من هذه ثم اخرجي عن الكون والتفتي اليه فانك تريه بالاضافة الى
السموات والافلاك كذرة في فلاة ثم جولي في الافلاك وطوفي حول العرش
وتلمحي الجنان والنيران ثم اخرجي عن الكل والتفتي اليه فانك تشاهدينه
في قبضة القادر الذي لا تقف قدرته عند حد ثم التفتي اليك فتلمحي بدايتك
ونهايتك وتفكري فيما قبل البداية وليس الا العدم وفيما بعد البلا
وليس الا التراب فكيف يانس بهذا الوجود من نظر بعين فكره المبدا
والمنتهى فكيف تغفل قلوب عن ذكر هذا الاله العظيم تالله
لو صحت النفوس من سكر هواها لذابت من خوفه او لغابت من حبه
غير ان الحس غلب فعظمت قدرة الخالق عند رويه جبل ولو انتبهت الفطنة
تلمحت المعاني لدلالة الذرة عليه اوفى من دليل الجبل سبحان من
شغل اكثر الخلق بما هم فيه عما خلقوا له سبحانه فصل للبلايا نهايات
معلومة الوقت عند الله عز وجل فلا بد للمبتلى من الصبر الى ان ينقضي
اوان البلا فان تقلقل قبل الوقت لم ينفع التقلقل كان المادة

اذا تحدث الى عضو فانها لن ترجع فلا بد من الصبر الى حين البطاله
فاستعجال زوال البلا مع تقدير مدته لا ينفع فالواجب الصبر وان
كان الدعا مشروعا ولا ينفع الا به الا انه لا ينبغي للداعي ان يستعجل
بل يتعبد بالصبر والدعا والتسليم الى الحليم ويقطع المواد التي كانت
سببا للبلا فان غالب البلا ان يكون عقوبة فاما المستعجل فمزاحم
للمدبر وليس هذا مقام العبودية وانما المقام الاعلى هو الرضا والصبر
هو اللازم والبلاء بكثرة الدعا نعم المعتمد والاعتراض حرام والاستعجال
مزاحم للتدبير فافهم هذه الاشيا فانها تهون البلا **فصل**
ليس في الوجود شي اصعب من الصبر اما عن المحبوب او على المكروهات
وخصوصا اذا امتد الزمان او وقع الياس من الفرج وتلك المدة
تحتاج الى زاد يقطع به سفرها والزاد يتنوع من اجناس فمنه
تلمح مقدار البلا وقد يمكن ان يكون اكثر ومنه انه في حال فوقها
اعظم منها مثل ان يبتلى بفقد ولد وعنده اعز منه ومن ذلك رجا
العوض في الدنيا ومنه تلمح الاجر في الاخرة ومنه التلذذ بتصور
المدح والثنا من الخلق فيما يمدحون عليه والاجر من الحق عز وجل
ومن ذلك العلم بان الجزع لا يفيد بل يفضح صاحبه الى غير ذلك
من الاشيا التي يقدمها العقل والفكر فليس في طريق الصبر

نعم

نعم سواها فينبغي للصابر ان يشغل بها نفسه ويقطع بها ساعات
ابتلائه وقد صح المنزل **فصل** ٩ ينبغي لمن وقع في شدة ودعا ان لا يختلج
قلبه امر من تاخير الاجابة او عدمها لان الذي اليه ان يدعو والمدعو مالك
حكيم ان لم يجب فعل ما يشا في ملكه وان اخر فعل بمقتضى حكمته فالمعترض
عليه في سره خارج عن صفة عبد مزاحم لمرتبة مستحق ثم ليعلم ان اختيار
الله عز وجل له خير من اختياره لنفسه فربما سال البلا سائل ربه وفي
الحديث ان رجلا كان سال الله عز وجل ان يرزقه الغزو فهتف به هاتف انك ان
غزوت اسرت وان اسرت تنصرت فاذا سلم العبد تحكيما للحكمة وحكم وايقن
ان الكل ملكه طاب قلبه قضيت حاجته او لم تقض وفي الحديث ما من
مسلم دعا الله تعالى الا واجابه فاما ان يعجلها واما ان يدخرها له في الاخرة
فاذا راى يوم القيامة ان ما اجيب فيه قد ذهب وما لم يجب فيه قد بقي ثوابه
قال ليتك لم تجب لي دعوة قط فافهم هذه الاشيا وقد سلم قلبك ان يختلج
فيه ريب واستعجال **فصل** ١٠ من اراد ان يعرف رتبة العلما على الزهاد
فلينظر في رتبة جبريل وميكائيل ومن خص من الملائكة بولاية تتعلق
بالخلق وباقي الملائكة قيام على اقدام التعبد في مرتبة الرهبان في الصوامع
وقد حصى اوليك بالتقريب على مقادير علمهم بالله تعالى فاذا امر احدهم بالوحي
انزعج اهل السماء حتى يخبرهم بالخبر فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا

قال ربكم قالوا الحق وكذا اذا انزعج الزاهد من حديث يسمعه فسال العلما
عن صحته ومعناه فسبحان امن خص الخصوص بخصايص شرفوا بها على
جنسهم ولاخصيصة اشرف من العلم بزيادته صار ادم مسجودا له وبنقصها
صارت الملائكة ساجدة فاقرب الخلق من الله تعالى العلما وليس العلم
بمجرد صورته هو النافع بل معناه وانما ينال معناه من تعلمه للعمل به
فكلما دله على فضل اجتهد في نيله وكلما زاد نهاه عن نقص بالغ في
مباعدته فحينئذ يكشف العلم له سره ويسهل عليه طريقه فيصير كمجذوب
تحت الجاذب فاذا حركه عجل في سيره والذي لا يعمل بالعلم لا يطلعه
العلم على عوره ولا يكشف له عن ستر سره فيكون كمجرور بحاذب حاذبه
فافهم هذا المثل وحسن قصدك والا فلا تسعى • فصل اعلم ان
اصل الامور الاعتدال في كل شي فاذا راينا ارباب الدنيا قد غلبت
امالهم وفسدت في الخير اعمالهم امرناهم بذكر الموت والقبور والاخرة
فاما اذا كان العالم لا يغيب عن ذكر الموت واحاديث الاخرة يقرا
عليه ويجري على لسانه فتذكاره الموت زيادة على ذلك القدر لا يفيد
الا انقطاعه بمرة بل ينبغي لهذا العالم الشديد الخوف من الله تعالى الكثير
الذكر للاخرة ان يشاغل نفسه عن ذكر الموت ليمتد نفس امله قليلا
فيصنف ويعمل اعمال خير ويقدر على طلب ولد فاما اذا لهج بذكر

الموت كانت

الموت كانت مفسدة عليه اكثر مصلحته الم يسمع ان النبي صلى الله عليه وسلم
سابق عايشة رضي الله عنها فسبقته وسابقها فسبقها وكان يمزح ويتاول
تنفسه فان مطالعة الحقايق على التحقيق تفسد البدن وتزعج النفس وقد روي
عن احمد بن حنبل رحمه الله انه سال الله عز وجل ان يفتح عليه باب الخوف
ففتح عليه فخاف على عقله فسال الله ان يرد ذلك عنه فتامل هذا الاصل
فانه لا بد من مخالطة النفس وفي ذلك صلاحها والسلام • فصل
من اعمل فكره الصافي دله على اشرف المقامات ونهاه عن الرضا بالنقص
في كل حال وقد قال ابو الطيب المتنبي شعره • • • •
ولم ار في عيوب الناس شيا • كنقص القادرين على التمام •
فينبغي للعاقل ان يتناهى الى غاية ما يمكنه فلو كان يتصور للادمي صعود
السموات لرايت من اقبح النقايص رضاه بالارض ولو كانت النبوة
تحصل بالاجتهاد لرايت المقصر في تحصيلها في حضيض غير انه اذا
لم يكن ذلك فينبغي ان يطلب الممكن والسيرة الجميلة عند الحكما خروج
النفس الى غايتها كمالها الممكن لها في العلم والعمل وانا اشرح من
ذلك ما يدل مذكوره على مغفله اما في البدن فليست الصورة داخلة
تحت كسب الادمي بل يدخل تحت كسبه تحسينها وتزيينها فقبيح بالعاقل اهمال
نفسه وقد نبه الشرع على الكل بالبعض فامر بقص الاظفار ونتف

الابط وحلق العانة ونهى عن اكل الثوم والبصل النيّ لاجل الرايحة
وينبغي له ان يقيس على ذلك ويطلب غاية النظافة ونهاية النزهة وقد
كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعرف مجيه بريح الطيب فكان الغاية في النظافة
والنزاهة ولست امر بزيادة التقشف الذي يستعمله الموسوس او
المترفون ولكن التوسط هو المحمود ثم ينبغي ان يرفق ببدنه الذي هو
راحلته ولا ينقص من قوتها فينقص قوتها ولست امر بالشبع الذي
يوجب الحشا انما امر بالتوسط فان قوي الادمي كعين جارية
كم فيها من منفعة لصاحبها او لغيره ونعين صانعا ولا تلتفت الى
قول الموسوسين من المتزهدين الذين حدوا التقلل فضعفوا عن
الفرايض وليس ذلك من الشرع ولا نقل عن الرسول ولا اصحابه انما
كان الرسول واصحابه اذا لم يجدوا جاعوا وربما اثروا وصبروا
ضرورة ولكن ينبغي ان ينظر والمصنف الراحلة في علفها فرب لقمة
منعت لقمات فلا تعطيها ما يوذيها بل ينظر لها ما يصلح لها ولا
يلتفت الى متزهد يقول لا ابلغها الشهوات فان النظر ينبغي
ان يكون في حل المطعم واخذ ما يصلح بمقدار ولم ينقل عن الرسول صلى
الله عليه وآله وسلم ولا اصحابه ما احدثه الموسوسون من ترك
المشتهيات على الاطلاق وانما نقل عنهم تركها لسبب اما النظر

في حلها

في حلها او الخوف من مطالبة النفس بها في كل وقت ونحو ذلك ينبغي لمن يجتهد في التجارة
والكسب ليفضل على غيره ولا يفضل غيره عليه فليبلغ من ذلك غاية
لا تمنعه عن العلم ثم ينبغي له ان يطلب الغاية في العلم وقد افتح النقص لمقلد فان
قوية همته وقفته الى ان يختار لنفسه مذهبا ولا يتمذهب لاحد فان المقلد
اعمى يقوده مقلده ثم ينبغي ان يطلب الغاية في معرفة الله تعالى ومعاملته
في الجملة لا يترك فضيلة يمكن تحصيلها الى ان يحصلها فان القنوع بارذل
المنازل حالة الارذال فكن رجلا رجله في الثرى وهامة همته في الثريا
فلو املك عبود كل احد من العلماء والزهاد فافعل فانهم كانوا
رجالا وانت رجل وما قعد من قعد الا لدناءة همته وخساستها
واعلم انك في ميدان سباق والاوقات تنتهب ولا تخلد الى كسل
فما فات ما فات من فات الا بالكسل ولا نال الا من نال الا بالجد
والعزم وان الهمم لتغلي في القلوب غليان ما في القدور وقد
قال البعض من سلف شعر

لا البس لي مال سوى كرمي ... فبه لي امن من العدم

قنعت نفسي بما رزقت ... وتمطت في العلا همتي

فصل ليس في الدنيا انفع للعلماء من جمع المال للاستغناء عن الناس
فانه اذا انضم الى العلم حيز الكمال وان جمهور العلماء اشغلهم العلم

عن الكسب فاحتاجوا الى ما لا بد منه وقل الصبر فدخلوا مداخل
شانتهم وان تاولوا فيها الا ان غيرها كان احسن لهم فالزهري مع
عبد الملك وابو عبيد مع طاهر ابن الحسين وابن ابي الدنيا مؤدب
المعتضد وابن قتيبة صدر كتابه بمدح الوزير وما زال خلق
العلما والزهاد يعيشون في ظل جماعة من المعروفين بالظلم فهولا
وان كانوا سلكوا طريقا من التاويل فانه فقد من قلوبهم وكمال
دينهم اكثر مما نالوا من الدنيا وقد راينا جماعة من المتصوفة يغشون
الولاة لاجل نيل ما في ايديهم فمنهم من يداهن ويرائي ومنهم من يمدح
بما لا يجوز ومنهم من يسكت عن منكر الى غير ذلك من المداهنات
وسببها الفقر فعلمنا ان كمال العز وبعد الريا انما يكون في البعد
من العمال الظلمة ولم نر من صح له هذا الا في احد رجلين اما من كان
له مال كسعيد بن المسيب كان يتجر في الزيت وغيره وسفيان
الثوري كانت بضايع وابن المبارك واما من كان شديد الصبر
قنوعا بما رزق ولم يكفه كبشر الحافي واحمد بن حنبل ومتى لم يجد الانسان
كصبر هذين ولا كمال ولبك فالظاهر تقلبه في المحن والافات
وربما تلف دينه فعليك يا طالب العلم بالاجتهاد في جمع المال للغنى
ولا آفة طرات على عالم الا بحب الدنيا وغالب ذلك الفقر فاما من له من يكفيه

ثم يطلب

ثم يطلب بتلك المخالطة الزيادة فذاك معدود في اهل الشر خارج عن حيز
العلما نعوذ بالله من تلك الاحوال فصل اعظمنا على فضيلة التفقه
الحثرثه ومن تامل ثمرة الفقه علم انه افضل العلوم فان ارباب المذاهب
فاقوا بالفقه على الخلايق ابدا وان كان في زمن احدهم من هو اعلم منه بالقران
او بالحديث وباللغة واعتبر هذا باهل زماننا فانك ترى الشاب يعرف
مسايل الخلاف الظاهرة فيستفتى ويعرف حكم الله تعالى في الحوادث
ما لا يعرفه الشيخ المتبحر من باقي العلما وكم قد راينا مبرزا في علم القران
او في الحديث او في التفسير او في اللغة لا يعرف مع الشيخوخة معظم
احكام الشرع وربما جهل علم ما ينوبه في صلوته على انه لا ينبغي للفقيه
ان يكون اجنبيا من باقي العلوم فانه لا يكون فقيها بل ياخذ من كل
بحظ ثم يتوفر على الفقه فانه عز الدنيا والاخرة فصل رايت كثيرا
من الناس يتحرزون من رشاش نجاسة ولا يتحاشون من غيبة
ويكثرون من الصدقة ولا يبالون بمعاملات الربا ويتهجدون بالليل
ويؤخرون الفريضة عن الوقت في اشيا يطول عددها من حفظ فروع
وتضييع اصول فبحثت عن سبب ذلك فوجدته من شيين احدهما
العادة والثاني غلبة الهوى في تحصيل المطلوب فانه قد يغلب فلا يترك

سمعا ولا بصرا ومن هذا القبيل ان اخوة يوسف قالوا حين سمعوا صوت
المنادي انكم لسارقون لقد علمتم ما جينا لنفسد في الارض وما كنا
سارقين فجاي التفسير انهم لما دخلوا مصر كعموا افواه ابلهم لئلا ياما
لبس طهم فكانهم قالوا قد رايتم ما صنعنا ما املنا فكيف نسرق وسوهم
تفاوت ما بين الورع في اختطاف كلمة لا يملكونها وبين القاء يوسف
في الجب وسعيهم بثمن بخس وفي الناس من يطيع في صغار الامور دون كبا
رها وفيما كلفته عليه حقيقته او معتاده وفيما لا ينقض شيا من عادته
في مطعم وملبس فترى اقواما يا حذرون بالربا ويقول احدهم كيف ارى
عدوي بعيني اني بعمد اري او بغير ملبوسي ومركوبي وترى اقواما
يوسوسون في الطهارة ويستعملون الكثير ولا يتحاشون من غيبة
واقواما يستعملون التاويلات الفاسدة في تحصيل اغراضهم مع علمهم
انها لا تجوز حتى اني رايت رجلا من اهل الخير والتعبد اعطاه رجل
مالا ليبني به مسجدا فاخذه لنفسه وانفق عوض الصحيح قراضه
فلما احتضر قال لذلك الرجل اجعلني في حل فاني فعلت كذا وكذا وترى
اقواما يتركون الذنوب لبعدهم عنها فقد الفوا الترك واذا قربوا
منها لم يتمالكوا وفي الناس من هذه الفنون عجايب يطول ذكرها
وقد علمنا ان خلقا من علما اليهود كانوا يحملون ثقل التعبد في دينهم

فلما جا الاسلام

فلما جا الاسلام وعرفوا صحته لم يطيقوا مفارقة اهواهم في محو رياستهم
وكذلك قيصر فانه عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالدليل ثم لم
يقدر على مقاومة هواه وترك ملكه فالله الله في تضييع الاصول ومن
اهمال شرح الهوى فانه ان اهملت ما نشبه نشبت في زروع التقى وما
مثل الهوى الا كسبع في عنقه سلسلة فان استوثق منه ضابطه كفه
وبها الاحنث لشهواته الغالبة عليه فلم يبقا ومعها المسلسل فافلت
على ان من من الناس من يكف هواه سلسلة ومنهم من يكفه خيط
فينبغي للعاقل ان يحذر شياطين الهوى وان يكون بصيرا بما يقوى
عليه من اعدائه ومن يقوى عليه **فصل** اعلم ان الغلط الثقة بالناس
والاسترسال الى الاصدقاء فان اشد الاعدا واكثرهم اذى الصديق
المنقلب عدوا لانه قد اطلع على خفي السر قال الشاعر

احذر عدوك مرة • واحذر صديقك الف مرة
فلربما انقلب الصديق • فكان اعرف بالمضرة

واعلم ان من الامر الموضوع في النفوس الحسد على النعم والغبطة
وحب الرفعة فاذا رايت من تعتقد مثلا له وقد ارتقيت عليه فلا بد
ان يتاثر وربما حسد فان اخوة يوسف عليه السلام من هذا الجنس
حركهم فان قلت كيف يسلم الانسان من الاصدقاء قلت ذكر اموالهما

يعلم ان المجانس بحسد وان اكثر العوام يعتقدون في العالم انه لا
ينبسط ولا يتناول من شهوات الدنيا شيا فاذا راو بعض انبساطه
في المباح هبط من اعينهم فاذا كانت هذه حالة العوام وتلك حالة
الخواص فمن يكون المعاشرة لا بل والله ما ينفع المعاشرة مع النفس
لانها متلونة وليس الا المداراة للخلق والاحتراز منهم واتخاذ
المعارف من غير طمع في صديق صادق فان ندر فليكن غير مماثل
لان الحسد اليه اسبق وليكن مرتفعا عن رتبة العوام غير طامع في
نيل مقامك وان كانت معاشرة هذا لا تتفق لان المعاشرة ينبغي
ان يكون بين العلما للمجانس لزمهم من الاشارات في المخالطة ما
يطيب به المجالسة ولكن لا سبيل الى الوصال ومثل هذه الحال
انك ان استخدمت الاذكيا الحول[redacted] بحك الخارج والبله لحوائجك
في منزلك لئلا يعلموا اسرارك واقنع في الاصدقا بمن وصفته لك
ثم لا تلقه الا متدرعا درع الحذر ولا تطلعه على باطن يمكن ان استتر عنه
وكن كما يقال عن الذيب • ينام باحدى مقلتيه ويتقي • باخرى الاعادي فهو يقظان هاجع •

فصل رايت جماعة ممن افنى اوائل عمره وريعان شبابه في طلب العلم
يصبر على انواع الاذى وهجر فنون الراحات انتقاما من الجهل ورذيلته
وطلبا للعلم وفضيلته فلما نال منه طرفا رفعه على مراتب ارباب الدنيا

ومن لا علم له الا بالراحل ضاق به معاشه فسافر البلاد يطلب من الاراذل
ويتواضع للسفلة واهل الدناءة والمكاس وغيرهم فخاطبت بعضهم وقلت
ويحك اين تلك الانفة من الجهل التي سهرت لاجلها واظمات نهارك بسببها
فلما ارتفعت وانتفعت عدت الى اسفل سافلين فما بقا عندك ذرة من
الانفة تنبو بها عن مقامات الاراذل الا معك يسير من العلم يسير بك
عن مناح الهوى ولا حطت العلم قوم يحدبها زمام عن مرعى السو غير
انه يبين لي ان شهرك وتعبك كانه كان لنيل الدنيا ثم اني اراك تزعم انك تريد
شيا من الدنيا تستعين به على طلب العلم فاعلم ان التفاتك الى نوع كسب
تستغني به عن الاراذل افضل من التزيد في علمك فلو عرفت ما تنقص به لم
تر ما قد عزمت عليه زيادة وما يحتوي عليه هذا العزم للسفر الذي
كله مخاطرة بالنفس وبذل الوجه الذي طال ما صين لمن لا يصلح السفات
مثلك الى شله وبعيد ان يقنع بعد شروعك في هذا الامر بقدر الكفاف وقد
علمت ما في السوال بعد الكفاف من الاثم والبعد منه ان تقدر على الورع
في الماخوذ ومن لك بالسلامة والرجوع الى الوطن وكم ممن مضى ومن في
بوادبه من هالك ثم ما تحصله يفنى ويبقى منه ما اعطى وعيب المتقين
اياك واقتدا الجاهلين بك ويكفيك انك عدت الى ما علمت من جمع الدنيا
شينه اذ فعلت ما ينافي قضيه خصوصا وقد مر اكثر العمر •

ومن احسن فيما مضى • يجزى بما بقي • فصل رأيت
الشره في تحصيل الاشيا يفوت المقصود منها وقد رأينا من كان
شرها في جمع المال يحصل له الكثير منه وهو حريص على الازديا دولو
فهم علم ان المراد من المال الانفاق في العمر فاذا انفق العمر في تحصيله
فات المقصودان جميعا وكم رأينا ممن جمع المال ولم يتمتع فابقاه
لغيره وافنى نفسه كما قال الشاعر • كدودة القز ما تبنيه يهدمها • وغيرها بالذي تبنيه ينتفع •
وكذلك رأينا خلقا كثيرا يحرصون على جميع الكتب فيفنون اعمارهم
في كتابتها وكذلك ارباب الحديث يفنون الاعمار في النسخ والسماع الى
اخر العمر ثم ينقسمون فمنهم من تشاغل بالحديث وعلمه وتصحيحه
واهله لا يفهم جواب حادثة ولعل عنده لحديث اسلم سالمها الله مائة
طريق وقد حكي لي عن بعض اصحاب الحديث انه سمع جزء ابن عرفة
عن مائة نفس وكان عنده سبعين نسخة ومنهم من يجمع الكتب
ويسمعها ولا يدري ما فيها لا من حيث صحتها ولا من فهم معناها
فتراه يقول الكتاب الفلاني سماعي وعندي به نسخة والكتاب الفلاني
والفلاني فلا يعرف علم ما عنده من حيث فهم صحيحه من سقيمه وقد
صده اشتغاله بذلك عن المهم من العلم فهم كما قال الخطيب
• زوامل للاخبار لا علم عندها • بمتقنها الا كعلم الاباعر •

• لعمرك ما يدري البعير اذا غدا • باوساقه او راح ما في الغرائر •
ثم ترى منهم من يتصدر ويفتقر الزمان الى التصدر فيهدي الى ما ليس
من شغله فان افتى اخطا وان تكلم في الاصول خلط ولولا اني لا احب
ذكر الناس لذكرت من اخبار كبار علمائهم وما خلطوا ما يعتبر به ولكنه
لا يخفى على المحقق حالهم فان قال قائل النهي في الحديث منهومان
لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا قلت اما العالم فلا اقول له اشبع
من العلم ولا اقتصر على بعضه بل اقول له قدم المهم فان العاقل
من قدر عمره وعمل بمقتضاه وان كان لا سبيل الى العلم بمقدار العمر
غير انه يبني على الاغلب فان وصل فقد اعد لكل مرحلة زادا وان
مات قبل الوصول فنيته تسلك فاذا علم العاقل ان العمر قصير وان
العلم كثير فقبيح بالعاقل الطالب لكمال الفضائل ان يتشاغل مثلا
بسماع الحديث ونسخه ليحصل كل طريق وكل رواية وكل غريب وهذا
لا يفرغ من مقصوده منه في خمسين سنة خصوصا ان تشاغل بالنسخ
ثم لا يحفظ القران او يتشاغل بعلوم القران ولا يعرف الحديث
او بالخلاف في الفقه ولا يعرف النقل الذي عليه مدار المسألة فان
قال قائل فقدر لي ما اختار لنفسك فاقول والهمة لا يخفى من زمان
الصبي كما قال سفيان ابن عيينة قال لي ابي وقد بلغت خمس عشرة سنة

انه قد انقضت عنك شرايع الصبي فاتبع الخير تكن من اهله فجعلت وصيه
قبلة ميل اليها ولا اميل عنها ثم قبل شروعي في الجواب اقول ينبغي لمن
له انفه ان يانف من التقصير الممكن دفعه عن النفس فلو كانت النبوه مثلا
تاتي بكسب لم يجز له ان يقنع بالولايه ولو تصور ان يكون مثلا خليفه
لم يحسن به ان يقنع بالاماره بامارة ولو صح له ان يكون ملكا لم يرض
ان يكون اميرا والمقصود ان يسعى بالنفس الى كمالها الممكن لها في العلم
والعمل وقد علم قصر العمر وكثرة العلم فيبتدي بالقران وحفظه وينظر
في تفسيره نظرا متوسطا لا يخفى عليه بذلك منه شي وان صح له قراة
القرا السبعه وشيا من النحو وكتب اللغه وابتدا باصول الحديث
من حيث النقل كالصحاح والمسانيد والسنن ومن حيث علم الحديث
كمعرفة الضعفا والاسما فلينظر الى اصول ذلك وقد رتبت العلما
من ذلك ما يستغني به الطالب عن التعب ولينظر في التواريخ ليعرف
ما لا يستغني عنه كنسب الرسول صلى الله عليه واله وسلم واقاربه وازواجه
وما جرى له ثم ليقبل على الفقه فلينظر في المذهب والخلاف وليكن
اعتماده على مسايل الخلاف فلينظر في المسئله وما يحتوي عليه فيطلبه
من مظانه كتفسير ايه وحديث وكلمة لغه ويتشاغل باصول الفقه
وبالفرايض وليعلم ان الفقه عليه مدار العلوم ويكفيه من النظر في الاصول

ما يستدل

ما يستدل على وجود الصانع فاذا اثبته بالدليل وعرف ما يجوز عليه
مما لا يجوز واثبت ارسال الرسل وعلم وجوب القبول منهم فقد احتوى
على المقصود من علم الاصول فان اتسع الزمان للتزيد من العلم فليكن
من الفقه فانه الانفع ومهما فسح له في المهل فامكنه تصنيف في علم فانه
يخلف بذلك خلفا صالحا مع اجتهاده في التسبب الى اتخاذ الولد
ثم يعلم ان الدنيا معبره فليلتفت الى معاملة الله عز وجل فان مجموع
ما حصله من العلم يدل عليه فاذا تعرض لتحقيق معرفته وقف على
باب معاملته فقل ان يقف صادقا الا ويحظى في مقام الولايه ومن
اريد وفق وان الله عز وجل اقواما يتولى تربيتهم ويبعث اليهم من
زمن الطفولة مودبا يسمى العقل ومقوما يقال له الفهم ويتولى تاديبهم
وتثقيفهم ويهيي لهم اسباب القرب منه فان لاح قاطع قطعهم عنه وان
تعرضت بهم فتنة دفعها عنهم نسال الله عز وجل ان يجعلنا منهم
ونعوذ به من خذلان لا ينفع معه اجتهاد فصل ان للخلوه
تاثيرات تبين في الجلوه كم من مومن بالله عز وجل يحترمه عند الخلوات
فيترك ما يشتهي حذرا من عقابه او رجا لثوابه او اجلالا له فيكون
بذلك الفعل كانه طرح عودا هنديا على مجمر فيفوح طيبه فيستنشقه
الخلايق ولا يدرون اين هو وعلى قدر المجاهده في ترك ما يهوى تقوى محبته

او على مقدار زيادة وقع ذلك المحبوب المبتز وكثير يزيد الطيب ويتفاوت
تفاوت العود فترى عيون الخلق تعظم هذا الشخص والسنتهم
تمدحه ولا يعرفون لم ولا يقدرون على وصفه لبعدهم عن حقيقة
معرفته وقد تمتد هذه الارايح بعد الموت على قدرها فمنهم من يذكر
بالخير مدة ثم ينسى ومنهم من يذكر مائة سنة ثم يخفى ذكره وقبره ومنهم
اعلام يبقى ذكرهم ابدا وعلى عكس هذا من هاب الخلق ولم يحترم خلوته
بالحق فانه على قدر مبارزته بالذنوب وعلى مقادير تلك الذنوب
تفوح منه رايح الكراهة فتمقته القلوب فان قل مقدار ما جنى قل
ذكر الالسن له بالخير وبقي مجرد تعظيمه وان قصر كان قصارى الامر
سكوت الناس عنه لا يمدحونه ولا يذمونه ورب خال بذنب كان سببه
وقوعه في هوة شقوة في عيش الدنيا والاخرة فكانه قيل له ابق بما
انت فيبقى ابدا في التخليط واحوانى الى المعاصي احذر قال ابو الدردا
ان العبد ليخلو بمعصية الله فيلقي الله بغضه في قلوب المومنين
من حيث لا يشعر فتلمحوا ما سطرته واعرفوا ما ذكرته فلا تهملوا خلواتكم
ولا اسراركم فان الاعمال بالنية والجزا على مقدار الاخلاص من عرف
جريان الاقدار بعد مرقاها لان مراد يدل الدله فاذا فاق
للعبد وصلته مراد كيف ذلك لم سولك امثال هذا ان يجوع الفقير

فيصبر

فيصبر قدر الطاقة فاذا عجز خرج الى سوال الخلق مستحييا من الله كيف
سالهم وان كانت له عذر بالحاجة التي الجات غير انه يرى انه مغلوب
الصبر فيبقى معتذرا مستحييا من الله وذاك المراد وليس يخرج النبي
صلى الله عليه واله وسلم من مكة فلا يقدر على العود اليها حتى يدخل في
خفارة المطعم بن عدي وهو كافر فسبحان من ناط الامور بالاسبا
لتحصل ذل العارف بالحاجة الى السبب **فصل سبحان المصور**
في خلقه بالاعتزاز والاذلال ليبلو صبرهم ويظهر جواهرهم في الابتلا
هذا ادم تسجد له الملائكة ثم بعد قليل نوح في السفينة ويهلك اعداوه
وهذا الخليل يلقى في النار ثم يخرج الى السلامة وهذا الذبيح يضجع مستسلماً
ثم يسلم ويبقى الممدوح وهذا يعقوب يذهب بصره بالفراق ثم يعود
بالوصل وهذا الكليم يشتغل بالرعي ثم يرقى الى التكليم وهذا نبينا يقال
له بالامس اليتيم ويقلب في عجايب بلايها من الاعدا تارة ومن مكابدة
الفقر اخرى وهو اثبت من جبل حرى ثم لما تم مراده من الفتح وبلغ
الغرض من اكبر الملوك واهل الارض نزل به ضيف النقلة فعالج
والكرباه فمن تلمح بحر الدنيا وعلم كيف تتلقى الامواج وكيف يصبر على مدافعة
الايام لم يستهول نزول بلاء ولم يفرح بعاجل رخا **فصل** ينبغي
للعاقل ان لا يقدم على العزايم حتى يزن نفسه هل يطيقها ويجرب نفسه

في يكون بعضها شرا من الخلق فانه لا يومن ان يجري في حالة لا يصبر عليها
ثم يعود فيفتضح مثاله رجل سمع بذكر الزهاد فرمى ثيابه الجميلة ولبس
الدون وانفرد في زاوية وغلب على قلبه ذكر الموت والاخرة فلم يلبث
متقاضي الطبع ان الح بما جرت به العادة فمن القوم من عاد بمرده الى
اكثر مما كان عليه كالاكل للناقه من مرض ومنهم من توسط الحال فبقي
كالمذبذب وانما العاقل هو الذي يستر نفسه بين الناس بثوب وسط
لا يخرجه من اهل الخير ولا يدخله في زي اهل الفاقة فان قويت عزيمته
عمل في سره ما يطيق وترك ثوبي التجمل لستر الحال ولم يظهر شيا للخلق
فانه ابعد من الريا واسلم من الفضيحة ومن الناس من غلب عليه قصر الامل
وذكر الاخرة حتى دفن كتب العلم . وهذا الفعل عندي من اعظم الخطا
وان كان منقولا عن جماعة من الكبار ولقد ذكر بعض مشايخنا
هذا فقال اخطا واكلهم . ولقد تاولت لبعضهم بانه كان فيها احاديث
عن قوم ضعاف ولم يميزوها كما روي عن سفيان في دفن كتبه او كان
فيها شيا من الراي فلم يحبوا ان يوخذ عنهم فكان من جنس تحريق
عثمان رضي الله عنه للمصاحف لئلا يوخذ شي مما فيها من المجتمع على
غيره وهذا التاويل يصح في حق علمائهم فاما فعل احمد بن ابي الحواري
كتبه وابن اسباط فتفريط محض فالحذر الحذر من فعل منع منه الشرع

اوس

او من كافح ارتكاب ما يبطل عزمه وهو حطيه او من اظهار ما لا يقوى
عليه المطهر فيرجع القهقرى وعليكم من العمل ما تطيقون كما قال النبي
صلى الله عليه واله وسلم **فصل** اجهل الجهال من اثر عاجلا لا يومن سو
مغبته فكم قد سمعنا عن سلطان وامير وصاحب مال اطلق نفسه
في شهواتها ولم ينظر في حلال وحرام فنزل به من الندم وقت الموت
اضعاف ما التذ ولقي من مرير الحسرات ما لا يفي وجوده وكل ذرة منه
كل لذة ولو كان هذا الحسب لكفى حزنا فكيف والحزن الدايم بين
يديه فالدنيا محبوبة مطلوبة للطبع لا ريب في ذلك ولا انكر على طالبها
ومؤثر شهواتها ولكن ينبغي له ان ينظر في كسبها ويعلم وجه اخذها
ليسلم له عاقبة لذته والا فلا خير في لذة من بعدها النار وهل عد في
العقلا قط من قيل له اجلس في المملكة سنة ثم نقتلك هيهات
بل الامر بالعكس وهو ان العاقل من صابر مرارة الجهد سنة بل
سنين ليستريح في عاقبته وفي الجملة ان اللذة اعقبت عقوبة
وقد اخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز قال حدثنا ابو بكر الخطيب قال حدثنا
الحسن بن ابي طالب قال حدثنا يوسف بن عمر القواس قال حدثنا الحسين
بن اسمعيل الخلال قال حدثنا عبد الله بن ابي سعد قال حدثنا محمد بن سلمة البلخي
قال حدثنا محمد بن علي الكوهستاني قال حدثنا دلف بن ابي دلف قال

رايت كان أُمّيًّا انى بعد موت ابي فقال اجب الامير فقمت معه فادخلني
دارا وحشة وعرة سود الحيطان مقلعة السقوف والابواب ثم له
اصعدني درجا فيها ثم ادخلني غرفة فاذا في حيطانها اثر النيران
واذا في ارضها اثر الرماد واذا ابي عريان واضعا راسه بين ركبتيه
فقال لي كالمستفهم ذلك قلت نعم اصلح الله الامير فانشا يقول

• ابلغن اهلنا ولا تخف عنهم • ما لقينا في البرزخ الخناق •
• قد سُئلنا عن كل ما فعلنا • فارحموا وحشتي وما قد الاقي •

أفهمت قلت نعم فانشا يقول

• فلو انا اذا متنا تُركنا • لكان الموت راحة كل حي •
• ولكنا اذا متنا بُعثنا • ونُسأل بعده عن كل شي •

فصل اللذات كلها بين حسي وعقلي فنهاية اللذات الحسية
واعلاها النكاح وغاية اللذات العقلية العلم فمن حصلت له الغايتان
في الدنيا فقد نال النهاية وانا ارشد الطالب الى اعلام المطلوبين غير ان
للطالب المرزوق علامة وهو ان يكون مرزوقا علو الهمة
وهذه الهمة تولد مع الطفل فتراه من زمن طفوليته يطلب
معالي الامور كما يروى في الحديث انه كان لعبد المطلب مفرش في الحجر
فكان النبي صلى الله عليه واله وسلم ياتي وهو طفل فيجلس عليه

فيقول

فيقول عبد المطلب ان لابني هذا شانا فان قال قائل فاذا كانت لي همة
ولم ارزق ما اطلب فما الحيلة فالجواب انه اذا امتنع الرزق من نوع
لم يمتنع من نوع اخر من السعداء من يرزقك همة ولا تعينك فانظر في حالك
فلعله اعطاك شيئا ما شكرته او ابتلاك بشي من الهوى ما صبرت عنه
واعلم انه ربما زوى عنك من لذات الدنيا كثيرا ليوفرك على لذات العلم
فانك ضعيف ربما لا تقوى على الجمع فهو اعلم بما يصلحك وانما ما اردت
شرحه لك فان الشاب المبتدي في طلب العلم ينبغي له ان ياخذ من كل
علم طرفا ويجعل علم الفقه الاهم ولا يقتصر في معرفة النقل فيه سير
الكاملين واذا رزق فصاحة من حيث الوضع ثم اضيف اليها معرفة
اللغة والنحو فقد تحدرت شفرة لسانه على اجود ممشى ومتى طلب
العلم لمعرفة الحق وخدمة الله عز وجل فتحت له ابواب لا تفتح لغيره فمع
له بالتلطف ان يجعل جزوا من زمانه مصروفا الى نوع من الاكتساب
والتجارة مستنيبا فيها عن مباشرتها مع التدبير في العيش المنتج
من الاسراف والتبذير فان رزقه العلم والعمل به الى درجة المعرفة
لله عز وجل فربما شغلته لذة ما وصل اليه عن كل شي وما الحالة سليمة
من افة وان وجد من طبعه منازعا الى الشوق في النكاح فليتخير
السراري فان الحرائر في الاغلب غل وليعول عن المملوكات الى التي

يحرك حلقهن ودينهن فان رضيهن طلب الولد منهن والا فالاستبدال
بهن سهل ولا يتزوج حرة الا ان يعلم انها تصبر على التزويج عليها في التسري
وليكن قصده الاستمتاع بها لا اجهاد النفس في الانزال فان ذلك يهدم
قوته فيضعف الاصل فهذه الطريق هي الجامعه بين لذتي الحس والعقل
ذكرتها على وجه الاشاره وفهم الذكي يدل على ما لم اشرحه **فصل في**
تعليم حفظ العلم اعلم ان العلم يفتقر الى دوام الدراسة ومن الغلط
الانهماك على الاعادة ليلا ونهارا فانه لا يلبث صاحب هذه الحال الا
اياما ثم يفتر او يمرض وقد روينا ان الطبيب دخل على ابي بكر ابن الانباري
في مرض موته فنظر الى مائه وقال لقد كنت تفعل شيئا لا يفعله احد
ثم خرج فقال ما يجي منه شيء فقيل له ما كنت تفعل قال كنت اعيد كل
اسبوع عشرة الاف ورقة ومن الغلط حفظ الكثير او الحفظ من فنون
فان القلب جارحة من الجوارح فكما ان من الناس من يحمل المائة رطل
ومنهم من يعجز عن عشرين رطلا فكذلك القلوب فليأخذ الانسان على
قدر قوته ودونها فانه اذا استنفدها في وقت ضاعت منه اوقات
كما ان الشره يأكل فضل لقيمات فيكون سببا الى منع اكلات والصواب
ان يأخذ قدر ما يطيق ويعيده في وقتين من النهار والليل ويرفه
القوى في بعض الزمان والدوام اصل عظيم فكم ممن ترك بعد الحفظ فضاع

زمن طويل

زمن طويل في استرجاع محفوظ قد نسي وللحفظ اوقات الجوع من
العمر فافضلها الصبي وما يقاربه من اوقات من الزمان وافضلها اعادة
الاسحار وانصاف النهار والغدوات خير من العشيات واوقات
الجوع خير من اوقات الشبع ولا يحمد الحفظ بحضرة خضرة ولا على شاطي
نهر لان ذلك يلهي والاماكن العالية للحفظ خير من السوافل والخلوة اصل وجمع
الهم اصل الاصول وترفيه النفس من الاعادة يوما في الاسبوع ليثبت
المحفوظ وتاخذ النفس قوة كالبنيان يترك اياما حتى يستقر ثم يبنى عليه
وتقليل المحفوظ مع الدوام اصل عظيم وان لا يشرع في فن حتى يحكم
ما قبله ومن لم يجد نشاطا للحفظ فليترك فان مكابرة النفس لا يصلح
واصلاح المزاج من الاصول العظيمة فان للماكولات اثرا في الحفظ قال
الزهري ما اكلت خلا منذ عالجت الحفظ وقيل لابي حنيفة بم يستعان
على حفظ الفقه فقال بجمع الهم وقال حماد بن سلمة بقلة الغم وقال مكحول من
نظف ثوبه قل همه ومن طابت ريحه زاد عقله ومن جمع بينهما زادت
مروته واختار للمبتدي في طلب العلم ان يدافع بالنكاح مهما امكن فان
احمد بن حنبل لم يتزوج حتى تمت له اربعون سنة وهذا لاجل جمع الهم
فان غلب عليه الامر تزوج واجتهد في المدافعة بالفعل لتتوفر القوة
على اعادة العلم ثم لينظر ما حفظ من العلم فان العمر عزيز والعلم غزير وان

اقواماً يصرفون الزمان الى حفظ ما غيره اولى منه وان كان كل العلوم
حسناً ولكن الاولى تقديم المهم والافضل فافضل ما تشوغل به حفظ القران ثم
الفقه وما بعده بمثابة تابع ومن رزق يقظة دلته يقظته فلم
يحتج الى دليل ومن قصد وجه الله تعالى بالعلم دله المقصود على الاحسن واتقوا الله
ويعلمكم الله فصل من اراد دوام العافية والسلامة فليتق الله عز وجل
فانه ما من عبد اطلق نفسه في شي ينافي التقوى وان قل الا وجد
عقوبة عاجلة ومن الاغترار ان تسيء فترى احساناً فتظن انك قد سومحت
وتنسى من يعمل سوءاً يجز به وربما قالت النفس انه يغفر فتسامحت
ولا شك انه يغفر ولكن لمن شاء وانا اشرح لك حالاً فتاملها بفكرك يعرف
معنى المغفرة وذلك ان من هفا هفوة لم يقصدها ولم يعزم عليها
قبل الفعل ولا عزم على العود بعد الفعل ثم انتبه لما فعل فاستغفر الله
كان فعله وان دخل عمداً في مقام خطا مثل ان يعرض له مستحسن فيغلبه
الطبع فيطلق النظر ويتشاغل في حالة نظره بالتذاذ الطبع عن تلمح معنى
النهي فيكون كالغايب وكالسكران فاذا انتبه لنفسه ندم على ما
فعله فقام الندم بغسل تلك الاوساخ التي كانت كانها غلطة لم
تقصد فهذا معنى قوله اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
فاما المداوم على تلك النظرة المردد لها المصر عليها فكانه في مقام متعمد

للمنهي

للمنهي مبارز للخلاف فالعفو عنه يبعد عنه بمقدار اصراره ومن البعيد
ان لا يجازى على ذلك كما قال ابن الجلا راني شيخي وانا قايم اتامل حدثاً نصرانياً
فقال ما هذا لتجدن غبها بعد حين فنسيت القران بعد اربعين سنة
واعلم ان من اعظم المحن الاغترار بالسلامة بعد الذنب فان العقوبة
تتاخر ومن اعظم العقوبة ان لا يحس الانسان بها وان تكون في سلب
الدين وطمس القلب وسوء الاختيار للنفس فيكون من اثارها سلامة
البدن وبلوغ الاغراض قال بعض المغترين اطلقت مرة نظري فيما لا يحل
لي ثم كنت انتظر العقوبة فالجئت الى سفر طويل لا نية لي فيه فلقيت المشاق
ثم تعقب بعد ذلك موت اعز الخلق عندي وذهاب اشيا كان لها وقع
عظيم عندي ثم تلافيت امري بالتوبة فصلح حالي ثم عاد الهوى فحملني
على اطلاق بصري مرة اخرى فطمس قلبي وعدمت رقته واستلب مني ما
هو اكثر من فقد الاول ووقع لي تعويض عن المفقود كان فقده اصلح فلما
تاملت ما عوضت وما سلب مني صحت من الم تلك الاشياء فها انا ذا
من على الساحل يا اخواني احذروا من لجة هذا البحر ولا تغتروا بسكونه
وعليكم بالساحل ولا تزولوا عن حصن التقوى فالعقوبة مرة واعلموا ان في ملازمة
التقوى مرارات من فقد الاغراض والمشتهيات عند انها في ضرب المثل كالحمية
تعقب صحة والتخليط ربما جلب موت الفجاة وتالله لو عمتم على المزابل

مع الكلاب في طلب رضى المبتلي كان قليلا في نيل رضاه ولو بلغتم نهاية
الاماني من اغراض الدنيا مع اعراضه عنكم كان سلامتكم هلاكا وعافيتكم
مرضا وصحتكم سقما والامر باخره والعاقل من لمح العواقب فصابروا رحمكم
الله هجير البلا فما اسرع زواله والله الموفق اذ لا حول الا به ولا قوة الا به
فصل قدم الى بغداد جماعة من اهل البدع الاعاجم فانتموا منابر التذكير
للعوام مكان معظم مجالسهم انهم يقولون ليس لله في الارض كلام
وهو المصحف الا ورق وعفص وزاج وان الله ليس في السما اي ليس هو
من الاصنام التي تعبد في الام يقولون ان الحق و فيه المدس يزعمون
بان القران حرف وصوت هذه عبارة جبريل فما زالوا كذلك حتى هان
تعظيم القران في صدور اكثر العوام وصار احدهم فيقول هذا هو الصحيح
والا في القران شي يجي به جبريل في كيس فشكى الي جماعة من اهل السنة
فقلت لهم اصبروا فلابد للشبهات ان ترفع راسها في بعض الاوقات
وان كانت مدعومة وللباطل جولة والدجالون كثير وقد لا يخلو بلد
ممن يضرب البهرج على مثل سكة السلطان قال قايل فاجوابنا
عن قولهم قلنا اعلم وفقك الله ان الله عز وجل ورسوله قنعا من الخلق
بالايمان بالجمل ولم يكلفا معرفة التفاصيل اما لان الاطلاع على الجمل
لا يحط العقايد واما لان قوى البشر تعجز عن مطالعة ذلك فاول

ما جابه الرسول صلى الله عليه واله وسلم اثبات الخالق ونزل عليه القران
بالدليل على وجود الخالق بالنظر في صنعه فقال الم نجعل الارض قرارا وجعل
خلالها انهارا وقال وفي انفسكم افلا تبصرون وما زال يستدل على وجوده
بمخلوقاته وعلى قدرته بمصنوعاته ثم اثبت نبوة نبيه بالمعجزات وكان من
اعظمها القران الذي جاء به فعجز الخلايق عن مثله واكتفى بهذه الادلة جماعة
الصحابة ومضى على ذلك القرن الاول والثاني وصا ولم يتكدر وعلم الله
عز وجل ما سيكون من البدع فبالغ في اثبات الادلة وملاها القران ولما
كان القران هو منبع العلوم واكبر المعجزات للرسول اكد الامر فيه
فقال وهذا كتاب انزلناه وننزل من القران ما هو شفا فاخبر انه
كلامه بقوله يريدون ان يبدلوا كلام الله واخبر انه محفوظ فقال
في لوح محفوظ وقال بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم
واخبر انه مكتوب ومتلو فقال وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا
تخطه بيمينك الايات يطول ذكره ومن تعداد الايات في هذه المعاني
التي توجب اثبات القران ثم نزه نبيه عن ان يكون اتى به من قبل
نفسه فقال ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك وتوعده لو فعل فقال
ولو تقول علينا بعض الاقاويل وقال في حق الزاعم انه كلام الخلق حين
قال ان هذا الا قول البشر ساصليه سقر ولما عذبهم بنوع عذاب

تولاه بعض الملائكة كصيحة جبريل بثمود وارسل الريح على عاد والخسف بقارون
وقلب جبريل دار لوط وارسل الطير الابابيل على من قصد تخريب الكعبة
تولى هو بنفسه عقاب المكذبين بالقران فقال ذرني ومن يكذب بهذا
الحديث ذرني ومن خلقت وحيدا وهذه الاية اصل هذه الشرائع
والمثبت لكل شريعة تقدمت لان جميع الملل ليس عندهم ما يدل على
صحة ما كانوا فيه الا كتابنا لان كتبهم غيرت وبدلت وقد علم كل ذي عقل
ان القايل ان هذه الاقوال البشر انما اشار الى ما سمعه ولا يختلف اولو
الالباب واهل الفهم للخطاب ان قوله وانه كناية عن القران
وقوله نزل به الروح كناية ايضا وقوله هذا كتاب اشارة الى خاص
وهذا امر مستقر لم يختلف فيه احد من القدماء من زمن الرسول صلى
الله عليه واله وسلم والصحابة رضوان الله عليهم ثم دس الشيطان
وسابس البدع فقال قوم هذا المشار اليه مخلوق فثبت الامام احمد
بن حنبل ثباتا لم يثبته احد غيره على دفع هذا القول لئلا يتطرق الى
القران ما يمحو بعضه في النفوس ويخرجه عن الاضافة الى الله عز
وجل وراى ان ابتداع ما لم يقل فيه الا بجواز استعماله فقال كيف
اقول ما لم يقل ثم لم يختلف الناس في غير ذلك الى ان نشا علي بن اسماعيل
الاشعري فقال مرة بقول المعتزلة ثم عزله فادعى ان الكلام صفة

قايمه

قايمة بالنفس فاوجبت دعواه هذه ان ما عندنا مخلوق وزادت
فخبطت العقايد فما زال اهل البدع يجولون في تيارها الى اليوم والكلام
في هذه المسئلة مرتب بذكر الحجج والشبه في كتب الاصول فلا اطيل به
ها هنا بل اذكر لك جملة تكفي من اراد الله عز وجل هداه وهو ان الشرع
قنع منا بالايمان جملة وبتعظيم الظواهر ونهى عن الخوض فيما يثير عباره
شبهة ولا يقوى على قطع طريقها اقدام الفهم واذا كان قد نهي عن الخوض
في القدر فكيف يجيز الخوض في صفات المقدر وما ذاك الا لاحد
الامرين اللذين ذكرتهما اما الخوف من اثارة شبهة تزلزل العقايد
او لان قوى البشر تعجز عن ادراك الحقايق فاذا كانت ظواهر القران
تثبت وجود القران فقال قايل ليس ها هنا قران فقد رد الظواهر
التي تعب الرسول في اثباتها وقرر وجودها في النفوس وبماذا يحل
ويحرم ويثبت وينقطع وليس عندنا من الله تقدم شيء وهل للمخالف لف
دليل الا ان يقول قال الله فيعود فيثبت ما نفى فليس الصواب
لمن وفق الا الوقوف مع ظاهر الشرع فان اعترضه وشبهه
فقال هذا صوتك وهذا خطك فاين القران فليقل له قد اجمعنا انا
وانت على وجود شيء به نحتج جميعا وكما انك تنكر علي ان تثبت شيئا
لا تحقق في اثباته حسا فانا انكر عليك كيف تنفي وجود شيء قد ثبت اجماعا

واما قولهم هل في المصحف الا ورق وعفص وزاج فهذا القول القايل
هل الادمي الا لحم ودم هيهات ان معنى الادمي هو الروح فمن نظر الى اللحم
والدم وقف مع الحس فان قال فكذا اقول ان المكتوب غير الكتابه
قلنا له وهذا مما ننكره عليك لانه لا يثبت تحقيق هذا الكلام للخصم فان
اردت بالكتابه الحبر وتخطيطه فهذا ليس هو القران وان اردت المعنى
القايم بذلك فهذا عين ليس هو الكتابه وهذه الاشيا لا يصلح الخوض
فيها فان ما دونه لا يمكن تحقيقه على التفصيل كالروح مثلا فانا نعلم
وجودها في الجمله فاما حقيقتها فلا فاذا جهلنا حقايقها كنا لصفات
الحق اجهل فوجب الوقوف مع السمعيات مع نفي ما لا يليق بالحق
لان الخوض يزيد الخايض تخبيطا ولا يفيده تحصيلا بل يوجب
عليه نفي ما يثبت بالسمع من غير تحقق امر عقلي ولا وجه للسلامه
الا طريق السلف والسلام وكذلك اقول ان اثبات الاله بظواهر الايات
والسنن الزم للعوام من تحديثهم بالتنزيه وان كان التنزيه لازما وقد
كان ابن عقيل يقول الاصلح لاعتقاد العوام ظواهر الاي والسنن
لانهم يانسون بالاثبات فمتى محونا ذلك من قلوبهم زالت السياسات
والحشمه وتهافت العوام في التشبيه احب الي من اغراقهم في التنزيه
لان التشبيه يغمسهم في الاثبات فيطمعوا ويخافوا شيا قد انسوا
الى ما يخاف مثله ويرجى والتنزيه يرمي بهم الى النفي ولا طمع ولا مخافه

من النفي

من النفي ومن تدبر الشريعه راها عامه للمكلفين في التشبيه
بالالفاظ التي لا يعطي ظاهرها سواه كقول الاعرابي او يضحك ربنا
قال نعم فلم يكفر من هذا القول فصل اعظم البلايا ان يعطيك
همه عاليه ويمنعك من العمل بمقتضاها فيكون من تاثير همتك الانفه من قبول
ارفاق الخلق استثقالا لحمل منتهم ثم يبتليك بالفقر فتاخذ منهم فيلطف
مزاجك فلا يقبل من الماكولات ما يسهل الحضاره فيحتاج الى فضل نفقه
ثم يقل له رزقك ويعلق همتك بالمستحسنات ويقطع بالفقر السبيل
اليهن وتركك العلوم في مقام معشوق ويضعفك بذلك عن الاعاده
وتخلي يدك من المال الذي يحصل به الكتب او يقوي قوتك الى درجات
العارفين والزهاد ويحوجك الى مخالطة ارباب الدنيا وهذا البلا
المبين فان الخسيس الهمه الذي لا يستنكف من سوال الخلق ولا جرا
الاستبدال بزوجته ويكفي يسير العلم ولا يتوق الى احوال العارفين
فذاك لا يولمه فقد شي ويرى ما وجد هو الغايه فهو يفرح فرح الاطفال
بالزخارف فما اهون الامر عليه انما البلا على العارف ذي الهمه العليه
التي تدعوه همته الى جمع الاضداد للترقي من مقام الكمال ويقصر حظه عن
مدارك مقصوده فما له من حال يقف في طريقه زاد الصابرين ولولا
حال غفله تعتري هذا المبتلى يعيش بها لكان دوام ملاحظته

للمقامات يعشى بصره واجتهاده في السلوك يخفي قدمه لكن ملاحظات
الامداد له تارة سلوع بعض مراده وتارة بالغفلة عما قصد وهذا كلام
عزيز لا يفهمه الا اربابه ولا يعلم كنهه الا اصحابه • فصل تراعيت على نفسي
في طلبها شيا من اعراضها بتاويل فاسد فقلت لها بالله عليك تعبري
في المعبر شغلا بخوف الغرق من كثرة الموج عن الدر في عجائب البحار اذ
اهممت بفعل فقدري حصوله ثم تلمحي عواقبه وما تجتنين من ثمراته
فاقل ذلك الندم على فعلت ولا يومن ان يثمر غضب الحق عز وجل واعراضه صح
عنك فاف للقاطع عنه ولو كان الجنة ثم اعلمي ايتها النفس انه ما مضى
شيا جزافا وان ميزان العدل شيء فيه ذرة فتلمحي الاموات والاحياء
وانظري الى من نشر ذكره بالخير والشر وزيادة ذلك ونقصانه في حياته
من اظهر دليل الخلوات على اربابها حتى ان صاحب القلوب تتعلق
باهل الخير وتنفر من اهل الشر من غير مطالعة لشيء من اعمال الكل قال
ابليس او تترك مرادك لاجل الخلق قلت لا انما هذا بعض الثمرات
الحاصلة من طريق الغرض ونحن نرى من يمشي ثلاثين فرسخا
ليقال شاع فالمتقي قد نال شرف الذكر وان لم يقصد نيل ذلك مستر حما
له في وزن الجزاء سيجعل لهم الرحمن ودا قالت النفس لقد امرتني
بالصبر على العذاب لان ترك الاغراض عذاب قلت لك عن الغرض عوض

ومن كلا

ومن كلامه وكن بذل وانت في مقام متعبد ولا يصلح للاجيران
يلبس ثياب الراحة في زمان الاستيجار وكل زمان المتقي نهار صوم
ومن خاف العقاب ترك المشتهي ومن رام القرب استعمل الورع والصبر
حلاوة تنبئ في العواقب • فصل من نازعته نفسه الى لذة محرمة
فشغله نظره اليها عن تامل عواقبها وعقابها وسمع هتاف العقل
يناديه ويحك لا تفعل فانك تنزع عن المقصود وتاخذ في الهبوط
او بقا ركك الى ما اخترت فان شغله هواه فلم يلتفت الى ما قيل له نزل
في نزوله فكان مثله في سوء اختياره كالمثل المضروب ان الكلب قال للاسد
يا سيد السباع غير اسمي فانه قبيح فقال له انت خاين لا يصلح لك غير هذا
الاسم قال فجربني فاعطاه شقة لحم وقال احفظ لي هذه الى غد وانا
اغير اسمك فجاع فجعل ينظر الى اللحم ويصبر فلما غلبته نفسه قال
واي شي باسمي وما كلب الا اسم حسن فاكل وهكذا الخسيس الهمة القنوع
باقل المنازل المختار عاجل الهوى على اجل الفضايل فالله الله في حريق
الهوى اذا ثار وانظر كيف تطفيه فرب زلة في بير بوار ورب اثر لم ينقلع
والغايب لا يستدرك على الحقيقة فابعدوا عن اسباب الفتنة فان المقارب
محنة لا يكاد يتخلص منها والسلام • فصل رايت الخلق كلهم في صف محاربة
والشياطين يرمونهم بنبل الهوى ويضربونهم باسياط اللذة فاما

المخلطون فضرعوا من اول وقتنا للقا واما المتقون ففي جهد
جهيد من المجاهدة فلا بد مع طول الوقوف في المحاربة من جراح
فهم يجرحون ويداوون الا ان العقل محفوظ بان الجراح في الحرب
شين باق فليحذر ذلك فضل الدنيا مع والجاهل بها والنظره وقع
فاما العاقل المتقي فهو يصابر الجماعة ويدور حول الحب والسلامة
بحيلة فكم ممن صابر واجتهد سنين ثم في اخر الامر وقع فالحذر الحذر
فقد راينا ممن كان على سنن الصواب ثم زل على شفير القبر فصل
اعلموا اخواني ومن يقبل نصيحتي ان للذنوب تاثيرات قبيحة
مرارتها تزيد على حلاوتها اضعافا مضاعفة والمجازي بالمرصاد
لا يسبقه شي ولا يفوته اولبس يروى في التفسير ان كل واحد من
اولاد يعقوب وكانوا اثني عشر ولد الا يوسف فانه ولد له احدى عشر
ولدا وجوزي بتلك الهمة فنقص ولدا فلو انه اسفا مضروب بالسياط
ما احس بالالم والمثخن بالجراح وما عنده من نفسه خبر ولكل واحد
منهما اثني عشر ولد والمتقلب في عقوبات ما يدري بها ولعمري ان اعظم
العقوبة ان لا يدري بالعقوبة واعجبا للمغالط نفسه يرضى بطاعته
ويسوق معصيته ويقول حسنة وسيئة وبكم من كنسك بسقوم من
بضاعتك تهدم ووجه جاهك شين ويحك بجراحه قتلت ورب عثرة

اهلكت

اهلكت ورب فارط لا يستدرك ويحك انتبه لنفسك ما الذي سطر
ما تؤمله وما ذا اسرفت بتوبتك المشيب فها هو وهن العظم فقد ابعد
رحيل الاولاد والاقارب الا اللحاق قد رايت ما تؤمله من الدنيا قد حصل
فكان ماذا اما هو عاجل فشغلك عاجلا ثم اخرجه عنه اللذة سر فهو اما
ان نفارق محبوبك ونفارقك فيا لها جرعة مريرة تودها عندها
لو لم تره اه المحجوب العقل عن التامل والمصدود عن الورود وهو يرى المنهل
اما في هذه نذير اما في كرور الزمان زجر اين من ملك وبلغ المنى فيما
امل نادهم في ناديهم هيهات صموا عن مناديهم فلو ان حبابهم بالموت
انما القبور رهينة العمل يا معد وما الامن اشلائي الا اشلا في العد لي
وحم يلقى ربك ايساوي ما نلته من الهوى لعط عتاب بلسان الرحمن
بعد المعاينة ربما لم يسو قلع البعض من صميم القلب فكيف ان اعقب
العقاب عتاب وقد اخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز قال اخبرنا ابو بكر
الخطيب قال اخبرنا محمد الزعفراني قال حدثنا ابو العباس بن واصل المقري
قال سمعت محمد بن عبد الرحمن الصيرفي قال راى جار لنا يحيى بن اكثم بعد
موته في منامه فقال له ما فعل بك ربك فقال وقفت بين يديه فقال
لي سوءة لك يا شيخ فقلت يا رب ان رسولك قال انك لتستحيي من ابناء الثمانين
ان تعذبهم وانا ابن ثمانين اسير الله في الارض فقال صدق رسولي قد

عفوت عنك وفي رواية اخرى عن محمد بن سلم الخواص قال رايت يحيى بن اكثم في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال اوقفني بين يديه وقال لي يا شيخ السوء لولا شيبتك لاحرقتك بالنار والمقصود من هذا النظر بعين الاعتبار هل بقي بعد دخول الجنة فضلا عن لذات الدنيا فنسال الله عز وجل ان ينبهنا من رقدات الغافلين وان يرينا الاشيا كما هي ليعم فيعوت الذنوب والله الموفق • فصل ضاق بي امر اوجب غما لازما دايما واخذت ابالغ في الفكر في الاخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه فما رايت طريقا للخلاص فعرضت لي هذه الاية ومن يتق الله يجعل له مخرجا فعلمت ان التقوى سبب المخرج فلا ينبغي للمخلوق ان يتوكل وينتسب ويتفكر الا في طاعة الله عز وجل وامتثال امره فان ذلك سبب بعثه لكل مرتج ثم اعجب ان يكون من حيث لم يقدره المتفكر المحتال المدبر كما قال عز وجل كافيه ويرزقه من حيث لا يحتسب ثم ينبغي للمتقي ان يعلم ان الله عز وجل كافيه فلا يعلق قلبه بالاسباب فقد قال عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه • فصل من العجب الحاحك في طلب اغراضك وكلما زاد تعويقها زاد الحاحك وتنسى انها قد تمنع لاحد امرين اما لمصلحتك فربما تعجل اذى واما لذنوبك فان صاحب الذنوب بعيد من الاجابة فنظف طرق الاجابة من اوساخ المعاصي وانظر فيما تطلبه هل هو صلاح

دينك او لمجرد هواك فان كان للهوى المجرد فاعلم ان من اللطف بك والرحمة لك تعويقه وانت في الحاحك بمثابة الطفل يطلب ما يؤذيه فيمنع منه فصابر وان كان لدينك فربما كانت المصلحة تاخيره او كان صلاح الدين بعدمه وفي الجملة تدبير الحق عز وجل لك خير من تدبيرك وقد يمنعك ما تهوى ابتلاء ليبلو صبرك فاره الصبر الجميل ترى عن قرب ما يسر ومتى نظفت طرق الاجابة من ادران الذنوب وصبرت على ما يقضيه لك فكل ما يجري اصلح لك عطاء كان او منعا • فصل يجب على من لا يدري متى يبغته الموت ان يكون مستعدا ولا يغتر بالشباب والصحة فان اقل من يموت الاشياخ واكثر من يموت الشبان ولهذا يندر من يكبر وقد انشدوا

يعمر واحد فيغر قوما • وينسى من يموت من الشباب •

ومن الاغترار طول الامل وما من آفة اعظم منه فانه لولا طول الامل ما وقع اهمال اصلا وانما تقدم المعاصي وتؤخر التوبة لطول الامل وتبادر الشهوات وتنسى الانابة لطول الامل وان لم تستطع قصر الامل فاعمل عمل قصير الامل ولا تمس حتى تنظر فيما مضى من يومك فان رايت زلة فامحها بتوبة او خرقا فارقعه بالاستغفار واذا اصبحت فتامل ما مضى في ليلك واياك والتسويف فانه اكبر جنود ابليس • در

وخذ لك منك على مهلة • ومقبل عيشك لم يدبر • وخف هجمة لا تقيل العثار • وتطوى الورود على المصدر • همة

• ومثل نفسك اي الرعيل • بغضك في حلبة المحشر • •
ثم صور لنفسك قصر العمر وكثرة الاشتغال وقوة الندم على التفريط
عند الموت وطول الحسرة على البدار بعد الفوت وصور ثواب الكاملين
وانت ناقص والمجتهدين وانت متكاسل ولا تخل نفسك من موعظة
تسمعها وفكرة تجاذبها بها فان النفس كالفرس المتشيطن ان
اهملت لجامه لم تامن ان يرمي بك وقد واسد نستتك اهوا وكت
وضيعت عمرك فالبدار البدار في الصبابة قبل تلف الباقي بالصبابة فكم
نعرقل في فخ الهوى جناح حازم وكم ربع في بحر بوار محمور ولا حول
ولا قوة الا بالله • فصل الحث الحزم عن المعاصي فان عواقبها
سيئة وكم من معصية لا يزال صاحبها في هبوط الدائم بعمر اقدامه
وشدة فقره وحسراته على ما يفوته من الدنيا وحسده لمن نالها فلو
قارب زمان حزانه على قبيح الذي ارتكبه كان اعتراضه على القدر
في فوات اعراضه بعد العذاب حدرًا فوا اسفا المعاقب لا يحس بعقوبته
واه من عقاب بتاخر حتى ينسى اوليس ابن سيرين يقول عيرت
رجلا بالفقر فافتقرت بعد اربعين سنة وابن الجلا يقول نظرت
الى شاب مستحسن فنسيت القران بعد اربعين سنة فواحسرة معاقب
لا يدري ان اعظم العقوبة عدم الاحساس بها فاسالله يحويل التوبة

عناها

عناها لكف الجزا والحث الحذر من الذنوب خصوصا ذنوب
الخلوات فان المبارزة لله تعالى سقط العبد من عينه واصلح ما بينك
وبينه في السر وقد اصلح لك احوال العلانية ولا تغتر بستره ايها العاصي
فربما يحذر عن عوزنك ولا يمهله فربما بعث العقاب عليك العلو واللجا والتضرع
فان نفع شي فذلك ونعوذ بالله من الحزن ويمر كاس الدمع والحزن يعول الاشف
قلب قلب الهوى لعلك تستطمن الما ما يغسل جرم جرمك • فصل
اخواني اسمعوا النصيحة من قد جرب وخبر انه بقدر اجلالكم الله عز وجل
يحلكم وبقدر تعظيم قدره واحترامه يعظم اقداركم وحرمتكم ولقد رايت
والله من انفق عمره في العلم الى ان كبر سنه ثم تعدى بعض الحدود فهان
عند الخلق وكانوا لا يلتفتون اليه مع غزارة علمه وقوة مجاهدته ولقد
رايت من كان يراقب الله عز وجل في صبوته حتى علمه مع قصوره ما لا
الى ذلك العالم فعظم الله قدره في القلوب حتى علقته النفوس ووصفته
بما يزيد على ما فيه من الخير ورايت من كان يرى الاستقامة اذا استقام
فاذا زاغ مال عنه اللطف ولولا عموم الستر وشمول رحمة الكريم لافتضح
هولاء المذكورون غير انه في الاغلب ناد ما والطف في العقاب كما قيل
• ومن كان في سخطه محسنًا • فكيف يكون اذا ما رضي • •
غير ان العدل لا يحابي وحاكم الجزا لا يجور وما يضيع عند الامين شي

فصل ايها المدبر اذا احسست بمجاه الجزا فلا تكثرن الضجيج ولا
تقولن قد تبت فهلا زال عني من الجزا ما اكره فلعل توبتك ما تحققت
وان للمجازاة زمانا يمتد امتداد المرض الطويل فلا ينجع فيه الحيل حتى ينقضي
اوانه وان بين زمان ومضى الى الان فتلق مدة مديدة فاصبر ايها
الخاطي حتى تحلل ما عشيك حلال بوبك القلب المتحسس فاذا عصرته
يكف الاسى ثم تكررت دفع العبرات حكم بالطهارة بقي ادم يبكي على زلته
ثلثماية سنة ومكث ايوب في بلائه ثمانية عشر سنة واقام يعقوب يبكي على يوسف
ثمانين سنة وللبلايا اوقات ثم ينصرم ورب عقوبة امتدت الى زمان الموت
فاللازم لك ان تلازم محراب الانابة وتجلس جلسة المستجدي وتجعل
طعامك القلق وشرابك البكى فربما قدم بشير القبول فارتد يعقوب
الحزن بصيرا وان مت في سجن سجنك فربما اينجزت الدنيا على
حزن الاخرة وفي ذلك ربح عظيم • فصل الواجب على العاقل ان يحذر
مغبة المعاصي فان نارها تحت الرماد وربما تاخرت العقوبة ثم فجات
وربما جاءت مستعجلة فليبادر باطفا ما اوقد من نيران الذنوب
ولا ما يطفي تلك النيران الا ما كان من عين العين لعل خصم الجزا يرضى
قبل ان يثبت الحاكم حكمه فصل واعجبا من عارف بالله عز وجل يخالفه
ولو في لحظة نفسه هل العيش الا معه هل الدنيا والاخرة الا له في

لترخص

لترخص في فعل ما يكرهه لنيل ما تحبه نا الله لقد فاته اضعاف ما حصل
اقبل علي ما اقول يا ذا الذوق هل وقع لك تعثير في عيش وتخبط في حال
الاحال مخالفة الشرع • ولا اتى عزمي على ما تكم • الا تعثرت باذيالي •
اما سمعت تلك الحكاية عن بعض السلف انه قال رايت على سور بيروت
شابا يذكر الله تعالى فقلت الك حاجة فقال اذا وقعت لي حاجة سالته
اياها بقلبي فقضاها يا ارباب المعاملة بالله عليكم لا تكدروا المشرب
قفوا على باب المراقبة وقوف الحراس وادفعوا ما لا يصلح ان يلج
فنفسد واهجروا اغراضكم ليحصل محبوب الحبيب فان اغراضكم
تحصل التي قولا وفعلا لمن يترك بعضها الجزا هذا شرط العبودية كلا
انما ينبغي لي اذا كنت مملوكا ان افعل ليرضا الا لاعطى فان كنت
مختار الاداب في رضاه اقبل نصحي يا مخدوع العرضة ان ضعفت
عن حمل البلاية فاستغثت به وان المك كرب اختياره فانك بين يديه
ولا تياس من روحه وان قوي خناق البلاء تالله ان موت الخادم
في الخدمة حسن عند العقلاء • اخواني للنفس اقول لحض له شرب
معي فليرد ايتها النفس لقد اعطاك ما لم تاملي وبلغك ما لم تطلبي وستر
عليك من قبيحك ما لو فاح ضجت المشام فما هذا الضجيج من فوت
كل الاغراض امملوكة انت ام حرة اما علمت انك في دار التكليف وهذا

الخطاب ينبغي ان يكون للجهال فاين دعواك المعرفه اتراه لو هبت نفحه فاخذت البصر كيف كانت تطيب لك الدنيا واسفا عليك لقد غشيت البصيره التي هي اشرف وما علمت كم اقول عسى ولعل وانت في الخطا الى قدام قربت سفينة العمر من ساحل القبر وما لك في المركب بضاعه ربح تلاعبت بك في بحر العمر ريح الضعف فغرقت الفتوه القوى وكان قد وصلت المركب بلغت نهايه الاجل وعن هواك تبلغت الى الصبا بالله بالله عليك لا يشمتن بك الاعدا هذا اقل الاقسام واوفى منها ان اقول بالله عليك لا يفوتنك قدم سابق مع قدرتك على قطع الخلوه الحلوه واستحي قرين العقل وهو لي في حضره الفكر واستدرك صبابه الاجل قبل ان تميل بك الصبابه عن الصواب واعجبا كلما صعد العمر نزلت وكلما جد الموت هزلت اتراك ممن حتم له الفتنه وقصت له اخر عمره المحنه كان اول عمرك خيرا من الاخر كنت في زمن الشباب اصلح في ايام المشيب وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون نسال الله عز وجل ما لا يحصل مطلوبنا الا به وهو توفيقه انه سميع مجيب فصل قدرت في بعض الاوقات على شهوه النفس هي عندها احلى من الما الزلال في فم الصادي وقال التاويل اما ها هنا مانع ولا معوق الا نوع ورع وكان ظاهر الامر امتناع الجواز فترد دت

بين الامرين

بين الامرين ومنعت النفس عن ذلك فبقيت حيرى لمنع ما هو الغايه في غرضها من غير صاد عنه بحال الا حذر المنع الشرعي فقلت لها يا نفس والله ما من سبيل الى ما لا يومن من دركه فتقلقلت فصحت بها كم فاتك في مرادٍ ذهبت لذته وبقي التاسف على فعله فقدري بلوغ الغرض من هذا المراد اليس المنهزم يسعى في محل اللذه اضعاف زمانها فقالت كيف اصنع فقلت شعرا

صبرت ولا والله ما بي جلادة * على الحب لكني صبرت على الرغم

وها انا انتظر من الله عز وجل حسن الجزا على هذا الفعل على الصبر فانتظره فيه ان شا الله تعالى فانه قد يعجل جزا الصبر وقد يوخره فان عجل سطرته وان اخر فما اشك في حسن الجزا لمن خاف مقام ربه فانه من ترك شيا لله عوضه الله خيرا منه والله اني ما تركته الا لله تعالى ويكفيني تركه وخيره حتى لو قيل لي تذكر يوما اثرت الله على هواك قلت يوم كذا وكذا فافتخري ايتها النفس بتوفيق من وفقك فكم قد خذل سواك واحذري ان تحتالي في مثلها ولا حول ولا قوه الا بالله العلي العظيم وكان هذا في سنه احدى وستين وخمسمايه فلما دخلت سنه خمس وستين عوضت خيرا من ذلك بما لا يتقارب مما لا يمنع منه ورع ولا غيره فقلت هذا جزا الترك لاجل الله

سبحانه في الدنيا والجزا في الاخره خير والحمد لله فصل لا انكر على
من طلب لذة الدنيا طريق المباح لانه ليس كل احد يقوى على الترك
انما المحنة من طلبها فلم يجدها واكثر الا من طريق الحرام فاجتهد
في تحصيلها ولم يسل كيف حصلت فهذه المحنة التي دري يحسن فيها
العقل حقه ولم ينفع صاحبه وجوده لانه لو وزن ما او شروعا
طاشت كفة اللذة التي قيست عند اول ذره من جزابها فلم قدر انها
ممن اثر شهوته فسلبته دينه فليعجب العاقل حين التصفح لاحوالهم
كيف اثروا شيا ما اقاموا معه وصاروا الى عقاب لا يفارقهم فالله
الله في حسن العفو احرتها ولينظر السالك من ضيع القدم فرب
مستعجل وقع في بوار وليكن عين التيقظ مفتوحه فانكم في
صف حرب لا يدري فيه من اين يلحق النبل فاعينوا انفسكم ولا
تعينوا عليها فصل الحق عز وجل اقرب الى عبده من حبل الوريد لكنه
عامل العبد معاملة الغايب عنه البعيد منه فامر بقصد بيته
ورفع اليدين اليه والسوال له فقلوب الجهال تستشعر البعد
البعد ولذلك يقع منهم المعاصي اذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر
لكفت الاكف عن الخطايا والمستقطون علو اقدارهم تحصد لهم المراقبه
وكفتهم عن الانبساط ولولا نوع تعطيه على عين المراقبه الحقيقيه لما

انبسطت

اسطت كف بالكل ولا قدرت عين على نوم ومن هذا الجنس انه ليغان
على قلبي ومتى تحققت المراقبة حصل الانس وانا مع الانس يعشق الطا عم
لان المخالفه توجب الوحشه والموافقه سطر المستانسين فيا لذة عيش
المستانسين ويا حسارة المستوحشين وليست الطاعة كما ظن اكثر الجهال
انها في مجرد الصلوه والصيام انما الطاعة الموافقه بامتثال الامر واجتناب
النهي هذا هو الاصل والقاعدة الكليه فكم من متعبد بعيد لانه مضيع
للاصل وهادم للقواعد بمخالفة الامر وارتكاب النهي وانما المحقق من
امسك خزايه ميزان المحاسبه للنفس فادا ما عليه واجتنب ما نهي عنه
فان رزقه زياده تنفل والا لم يضره والسلام فصل الدنيا في الجمله
معبر فينبغي للانسان ان لا ينافس لذاتها وان نعم الايام فانه لو تفكر
في كيفيه الذباح وويح من مباشرها وعلى الطابخ وغيرها من ما كولات
ما طابت له ولو تفكر في جولان اللقمه في الفم مختلطه بالريق ما قدر
على اساغتها فلا يخلو من حالين اما ان يريد التنعم باللذات المباحات
او يريد دفع الوقت بالضرورات وانهما طلب فلا ينبغي له ان يبحث فيما
يناله عن باطنه فانه لو نظر الى عورة الزوجه لما عنها وقد قالت عايشه
ما رايته من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ولا راه مني فينبغي للعاقل ان
يكون له وقت معلوم يا من وجه بالتصنيع له فيه ثم يغض عن التفتيش

ليطيب له عيشه وينبغي لها ان تعتقد من نفسها هذا فلا تحمله الى على
احسن حال ومثل هذا يدوم العيش فاما اذا حصلت المدلة بانتشه
بها العيوب فيبيت النفس وطلبت الاستكمال ثم تقع في الثانيه مثل ما وقع
وقع في الاولى وكذلك ينبغي ان يتصنع لها كتصنعها له ليدوم او يحسن
الايتلاف ومتى لم يجر الامر على هذا في حق من له انفة من شي تنبو عنه النفس
وقع في احد امرين اما الاعراض عنها واما الاستكمال بها ويحتاج في
حالة الاعراض الى صبر عن اعراضه وفي الاستبدال الى فضل مؤنه
وكلاهما يوذي ومتى لم يستعمل ما وصفنا لم يطب له عيش متنعم في
ولم يقدر على دفع الزمان كما ينبغي فصل نازعتني نفسي الى امر
مكروه في الشرع وجعلت تنصب لي التاويلات وتدفع الكراهه
وكانت تاويلاتها فاسده والحجه ظاهره على الكراهه فلجأت الى الله
تعالى في دفع ذلك عن قلبي واقبلت على القراءه وكان درسي بلغ الى
سورة يوسف فافتتحتها وذلك الخاطر قد شغل قلبي حتى لا ادري
ما اقرا فلما بلغت الى قوله تعالى قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي
انتبهت لها وكاني خوطبت بها فافقت من تلك السكره فقلت
يا نفس افهمت هذا حر بيع ظلما فراى حق من احسن اليه وسماه مالكا
وان لم يكن عليه ملك فقال انه ربي احسن مثواي ثم زاد في بيان ذلك

كونكم

كيف كفه عما يوذيه فقال احسن مثواي فكيف بك وانت عبده
على الحقيقه لمولى ما زال يحسن اليك من ساعة وجودك وان ستره
عليك الزلل اكثر من عدد الحصا افما تذكرين كيف رباك وعلمك ورزقك
ودافع عنك وساق الخير اليك وهداك اقوم طريق ونجاك من كل
كيد وضم الى حسن الصوره الظاهره جودة الذهن الباطن وسهل
لك مدارك العلوم حتى نلت في قصير الزمان ما لم ينله غيرك في طوله
وحلى في عرضه لسانك عرائس العلوم في حلل الفصاحه بعد ان
ستر عن الخلق معايبك فتلقوها منك بحسن الظن وساق رزقك
بلا كلفه يكلف ولا كد من يد اعمر ولا حقيقه ما ادري اي نعمه
عليك اشرح لك احسن الصوره وصحة الالات ام سلامة المزاج
واعتدال التركيب ام لطف الطبع الخالي عن حاشيه ام الهام الرشاد
منذ الصغر ام الحفظ بحسن الوقايه عن الفواحش والزلل ام
بحسن طريق النقل واتباع الاثر من غير جمود على تقليد لمعظم
ولا انخراط في سلك مبتدع وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها كم
كائد نصب لك المكائد فوقاك كم عدو حط منك بالذم فرقاك كم
اعطش من شراب الاماني خلقا وسقاك كم امات من لم يبلغ
بعض مرادك وابقاك فانت تصبحين وتمسين سليمة البدن



محروسة الدين في تزيد من العلم وبلوغ للامل وان منعت مرادا
فرزقت الصبر عنه بعد ان يتبين لك وجه الحكمة في المنع حتى يقع اليقين
فان المنع اصلح ولو ذهبت اعد من هذه النعم ما يسح ذكره امتلات الطروس
ولم ينقطع الكتابة وان نعلمي ان ما لم اذكره اكثر واما ان او مات الى ذكره
لم يشرح فكيف يحسن بك التعرض بما يكرهه معاذ الله انه ربي احسن
مثواي انه لا يفلح الظالمون **فصل** ما رايت فتنة من مقاربة الفتنة
وقل من يقاربها الا من يقع فيها ومن حال حول الحمى يوشك ان يقع
قال بعض المعتبرين قد نهت مره على لذة ظاهرها التحريم ويحتمل الاباحة
اذ الامر فيها مرددا فجاهدت النفس في الاخذ بالاحوط والامتناع
فقالت النفس انت ما تقدر فلهذا اترك فقلت المقدور عليه فاذا
تمكنت فتركت كنت تاركا حقيقة ففعلت فتركت ثم عاودت مرة اخرا
في تاويل ارتني فيه الجواز وان كان الامر محتمل فلما وافقتها اثر
ذلك ظلمة في قلبي لخوف ان يكون الامر محرما فرايتها تارة تقوى
علي بالرخص والتاويل وتارة اقوى عليها بالمجاهدة والامتناع فاذا
رجعت لم امن ان يكون ذلك الامر محظورا ثم ارى عاجلا تاثير
ذلك الفعل في القلب فلما لم امن علبتها بالتاويل ففكرت في
قطع طمعها من ذلك الامر المؤثر فلم ار ذلك الا بان قلت لها قدري

ان هذا الامر مباح قطعا فوالله الذي لا اله الا هو لا عدت اليه فانقطع
طمعها باليمين والمعاهدة وهذا انفع دواء وجدته في امتناعها لان تاويلها
لا يبلغ الى ان تامر بالحنث والتكفير باجود الاشياء قطع اسباب الفتن وترك
الترخص فيما يجوز اذا كان حاملا او مؤديا الى ما لا يجوز والله الموفق
فصل لولا غيبة العاصي في وقت المعاصي كان كالمعاند غير ان الهوى
يحول بينه وبين الفهم للحال فلا يرى الا قضاء شهوته والا فلو لاحت له
المخالفة خرج من الدين بالخلاف فانما يقصد هواه فيقع الخلاف ضمنا
وتبعا واكثر ما يقع هذا في مقاربة الفتنة وقل من سلم عند المقاربة الا
كتقديم نار الى حلفاء ثم لو ميز العاقل بين قضاء وطره لحظة وانقضاء
باقي العمر بالحسرة على قضاء ذلك الوطر لما قرب منه ولو اعطي الدنيا
غير ان سكرة الهوى تحول بين الفكر وذلك ولهذا كم من معصية مضت
كانها لم تكن في ساعتها ثم بقيت اثارها واقلها الا ترح من المراة في
الندم الطريق الاعظم في الحذر ان لا تتعرض لسبب فتنة ولا تقارب
فمن فهم هذا وبالغ في الاحتراز كان الى السلامة اقرب **فصل**
البلايا على مقادير الرجال فكثير من الناس تراهم ساكتين راضين
بما عندهم من دين ودنيا واولئك قوم لم يرادوا للمقامات الصبر الرفيعة
او علم ضعفهم عن مقاومة البلاء فلطف بهم انما المحنة العظمى ان يرتقي

همم عاليه لا يقنع منك الا بتحقيق الورع وتجويد الدين وكمال العلم ثم
تبتلي بنفس تميل الى المباحات وتدعها انها تجمع بذلك همها وتشفي مرضها
لتعمل مراد العلة على تحصيل الفضايل وهاتان الحالتان كضدين
لان الدنيا والاخرة ضرتان والاهم في هذا المقام مراعاة الواجبات
وان لا يفسح للنفس في مباح لا يومن ان يتصرا منه اعراض عن واجب
ودع المسلي بقوله فلان سكى الطفل خير من ان تبكي الوالده واعلم
ان فتح باب المباحات ربما جرى اذى كثير في الدين فاوبوا الشكر
قبل فتح الما والبس الدرع قبل لقا الحرب ولمح عواقب ما تجنى الاوايل
لمح اللاعب بالشطرنج بهامة النقل قبل تحريك اليد واستظهر في الحزن
باحسان ما يخاف منه وان لم يتيقن فصل ينبغي لطالب العلم
ان يكون جل همته مصروفا الى الحفظ والاعاده فلو صح صرف جميع
الزمان الى ذلك كان الاولى غير ان البدن مطيه واعداد السير
مظنة الانقطاع ولما كانت القوى تكل فتحتاج الى تجديد وكان
النسخ والمطالعه والتصنيف لا بد منه مع ان المهم الحفظ وجب
تقسيم الزمان على الامرين فيكون الحفظ في طرفي النهار وطرفي الليل
ويوزع الباقي بين عمل بالنسخ والمطالعه وبين راحة البدن واخذ
لحظه ولا ينبغي ان يقع العين بين الشركا فانه متى اخذ احدهم فوق

حقه

حقه اثر الغبن وبان اثره وان النفس لتهرب الى النسخ والمطالعه
والتصنيف لا بد منه مع ان المهم عن الاعاده والتكرار لان ذلك اشهى واخف
عليها فليحذر الراكب من اهمال الناقة ولا يجوز له ان يحمل عليها ما لا تطيق ومع
العدل والانصاف يتاتى كل مراد ومن انحرف عن الجاده طالت طريقه
ومن طوى منازل في منزل اوشك ان يفوته ما جد لاجله على ان الانسان
الى التحريض احوج لان الفتور اولى من الجد وبعد فالاهم في العلم
طلب المهم فرب صاحب حديث حفظ مثلا الحديث من ابي الجهم فليتصل
عشرين طريقا والحديث قد ثبت من طريق واحد فشغله ذلك عن معرفه
اداب الغسل والعمر اقصر وانفس من ان يفرط منه في نفيس ومن كفى
بالعقل مرشدا الى الصواب من عضد التوفيق فصل اذا صح قصد العالم
استراح من كلف التكليف فان كثيرا من العلما يانفون من قول لا ادري
فيحفظون بالفتوى جاههم عند الناس لئلا يقال جهلوا الجواب وان
كانوا على غير يقين مما قالوا وهذا نهاية الخذلان وقد روي عن مالك
بن انس ان رجلا ساله عن مساله فقال لا ادري فقال سافرت البلاد
الى اليك فقال ارجع الى بلدك وقل سالت مالكا فقال لا ادري فانظر الى
دين هذا الشخص وعقله استراح من الكلفه وسلم عند الله عز وجل
ثم ان كان المقصود الجاه عندهم فقلوبهم بيد غيرهم والله لقد رايت

من يكثر الصلوة والصوم والصمت ويتخشع في نفسه ولباسه والقلوب
تنبو عنه وقدره في النفوس ليس بذاك ورايت من يلبس فاخر الثياب
وليس له كثير نفل ولا تخشع والقلوب تتهافت على محبته
فتدبرت السبب فوجدته السريرة كما روي عن انس بن مالك انه لم يكن له
كثير عمل من صلوة وصوم وانما كانت له سريرة فمن اصلح سريرته فاح
عبير فضله وعبقت القلوب بنشر طيبه فالله الله في السرائر فانه ما ينفع
مع فسادها صلاح ظاهر فصل نزلت بي شدة واكثرت من الدعا اطلب
الفرج والراحة وتاخرت الاجابة فانزعجت النفس وقلقت فصحت بها
ويحك تاملي امرك امملوكة انت ام مالكة امدبرة انت ام مدبرة اما علمت ان
الدنيا دار ابتلا واختبار فاذا طلبت اغراضك ولم تصبري على ما ينافي مرادك
فاين الابتلا وهل الابتلا الا الاعراض وعكس المقاصد فافهمي معنى التكليف
وقد هان عليك ما عز وتهون ما استصعب فلما تدبرت ما قلته سكنت
بعض السكون فقلت لها وعندي جواب ثان وهو انك تقتضين الحق
باغراضك ولا تقتضين نفسك بالواجب له وهذا عين الجهل وانما
كان ينبغي ان يكون الامر بالعكس لانك مملوكة والمملوك العاقل يطالب
نفسه باداء حق المالك ويعلم انه لا يجب على المالك تبليغه ما يهوى فسكنت
اكثر من ذلك السكون فقلت لها وعندي جواب ثالث وهو انك قد استبطات

الاجابه

الاجابه وانت سددت طرقها بالمعاصي فلو قد فتحت الطريق اسرعت
كانك ما علمت ان سبب الراحة التقوى او ما سمعت قوله تعالى ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه يجعل له من امره يسرا او ما سمعت ان العكس
بالعكس اه من سكر غفلة صار اقوى من كل سكر في وجه مياه المراد
يمنعها من الوصول الى حرث الاماني فعرفت النفس ان هذا حق
فاطمانت فقلت وعندي جواب رابع وهو انك تطلبين ما لا تعلمين
عاقبته وربما كان فيه ضررك فمثلك كمثل طفل محموم يطلب
الحلوى والمدبر لك اعلم بالمصالح كيف وقد قال وعسى ان تكرهوا شيا
وهو خير لكم فلما بان الصواب للنفس في هذه الاجوبة زادت طمانينتها
فقلت لها وعندي جواب خامس وهو ان هذا المطلوب ينقص من اجرك
ويحط من مرتبتك في الاخرة فمنع الحق لك ما هذا سبيله عطا منه لك
ولو انك طلبت ما يصلح اخرتك كان اولى لك فاولى لك ان تفهمي ما قد
شرحت وهمت اذ فهمت فصل حضرنا بعض اعوية ارباب الاموال فرايت
العلما اذل الناس عندهم وعند انفسهم عندهم فالعلما يتواضعون غاية
التواضع ويذلون لموضع طمعهم فيهم وهم لا يحفلون بهم لما يعلمونه
من احتياجهم اليهم فرايت هذا عيبا في الفريقين اما في اهل الدنيا فوجه
العيب انهم كانوا ينبغي لهم تعظيم العلم ولكن لجهلهم بقدره فاتهم

واثروا عليه كسب الاموال فلا ينبغي ان يطلب منهم تعظيم ما لا يعرفونه ولا يعلمون قدره وانما اعود باللوم على العلما فاقول ينبغي لكم ان تصونوا انفسكم التي شرفت بالعلم عن الذل للاغنيا والاذلال وان كنتم في غنا عنهم كان الذل لهم والطلب منهم حراما عليكم وان كنتم في كفاف فلم توثروا التنزه عن الذل لعفر على الحطام الفاني الحاصل بالذلة الا انه يتخيل لي من هذا الامر انى علمت قلة صبر النفس الحاصل بالعدد على الكفاف والعروف عن الفضول فان وجد ذلك منها في وقت لم يوجد على الدوام فالاولى العالم ان يجتهد في طلب الغنا ويبالغ في الكسب وان ضاع بذلك عليه كثير من زمان طلب العلم فانه يصون به عرضه وقد كان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت وخلف مالا وخلف سفيان الثوري مالا وقال لولاك لتمندلوا بي وقد سبق في كتابي هذا في بعض الاصول شرف المال ومن كان من الصحابة والعلما يفعله فالسر في قلعهم ذلك حتى [حط] طلب العلم عن ذلك ما بينته من ان النفس لا تثبت على التعفف ولا تصبر على دوام التزهد وكم قد راينا من شخص قويت عزيمته على طلب الاخرة فاخرج ما في يديه ثم ضعفت فعاد يكتسب من اقبح وجه فالاولى ادخار المال والاستغنا عن الناس ليخرج الطمع من القلب ويصفو اثر العلم من شايبة ميل ومن تامل اخبار الاخيار من الاحبار وجدهم على هذه الطريقة

وانما سلك

وانما سلك طريقا لترفه عن الكسب من لم يوثر عنده بذل الدين والوجه في طلب الراحة وشى انها في المعنى عنا كما فعل جماعة من جهال المتصوفة في اخراج ما في ايديهم وادعا التوكل وما علموا ان الكسب لا ينافي التوكل وانما طلبوا طريق الراحة وجعلوا التعرض للناس كسبا وهذه طريقة مركبة من شيئين احدهما قلة الانفة على العرض والثاني قلة العلم فصل [وك] وقوع المعاصي من العصاة فوجدتهم لا يقصدون العصيان وانما يقصد موافقة هواهم فيقع العصيان تبعا فنظرت في سبب ذلك الاقدام مع العلم لوقوع المخالفة فاذا به ملاحظتهم لكرم الخالق وفضل الزاجر ولو انهم تاملوا عظمته وهيبته ما انبسطت كف بمخالفة فانه ينبغي لمن عاينه ان يحذر ممن امثل فعله بتعميم الخلق الموت حتى الحيوان البهيم للذبح وتعذيب الاطفال بالمرض وفقر العالم وغنى الجاهل فليعرض المقدم على الذنب [نوب] على نفسه الحذر ممن هذه صفته فقد قال ويحذركم الله نفسه وملاحظة اسباب الخوف ادنى الى الامر من ملاحظة اسباب الرجا فالخايف اخذ بالحزم والراجي متعلق بحبل طمع وقد خلق المطمع فصل [رايت] عموم ارباب الاموال يستخدمون العلما ويستذلونهم لشي يسير يعطونهم من زكوة اموالهم فان كان لاحدهم ختمة قال لفلان ما حضر وان مرض قال لفلان ما تردد وربما اسمعه عليه شي يزيد تسليمه الى مثله وقد

وقد رضي العلما بالذل في ذلك لموضع الضروره فرايت ان هذا خلل من
العلما يجب عليهم من صيانة العلم ودواوه من جهتين احداهما
القناعة باليسير كما قيل من رضي بالخل والبقل لم يستعبده احد والثاني
صرف بعض الزمان المصروف في خدمة العمال الى كسب الدنيا فانه يكون
سببا لاعزاز العلم وذلك افضل من صرف جميع الزمان في طلب العلم
مع احتمال هذا الذل ومن تامل ما تاملته وكانت له انفة قد قوته
واحتفظ بما معه او سعى في مكتسب بكفه ومن لم يانف من مثل هذه
الاشيا لم يحظ من العلم الا بصورته دون معناه فصل مدار الامر
كله على العقل فانه اذا تم العقل لم يعمل صاحبه الا على اقوى دليل ومن
العقل فهم الخطاب وتلمح المقصود من الامر ومن فهم المقصود وعمل على
الدليل كان كالباني على اساس وثيق واني رايت كثيرا من الناس
لا يعملون على دليل بل كيف اتفق ولربما كان دليلهم العادات وهذا
اقبح شي يكون ثم رايت خلقا كثيرا لا يثبتون الدليل بطريق اثباته
كاليهود والنصارى فانهم يقلدون الابا ولا ينظرون فيما جا من الشرايع
هل هو صحيح ام لا وكذلك يثبتون الاله ولا يعرفون ما يجوز عليه مما
لا يجوز فينسبون اليه الولد ويمنعون جواز تغييره ما شرع وهولا لم
ينظروا حق النظر لا في اثبات الصانع وما يجوز عليه ولا في الدليل على

صحة النبوات

صحة النبوات فيقع اعمالهم ضايعة كالباني على رمل ومن هذا القبيل
في المعنى قوم يتعبدون ويتزهدون وينصبون ابدانهم في العمل بالحديث
باطله ولا يسالون عنها من يعلم ومن الناس من يثبت الدليل ولا يفهم
المقصود الذي دل عليه الدليل ومن هذا الجنس قوم سمعوا ذم الدنيا فهجروها
وما فهموا المقصود فظنوا ان الدنيا تذم لذاتها وان النفس يجب عداوتها
لنفسها فحملوا على انفسهم فوق ما يطاق وعذبوها بكل نوع ومنعوها
حظوظها جاهلين بقوله عليه السلام ان لنفسك عليك حقا وفيهم من
ادت به الحال الى ترك الفرايض ونحول الجسم وضعف القوى وكل ذلك
لضعف الفهم للمقصود والتلمح للمراد كما روي عن داود الطاي انه كان
ماوه في حب تحت الارض فيشرب منه وهو شديد الحر وقال سفيان اذا
كنت تاكل اللذيذ الطيب وتشرب الما البارد المبرد فمتى تحب الموت والقدوم دم
على الله تعالى وهذا جهل بالمقصود فان شرب الما الحار يورث امراضا
في البدن ولا يحصل به الري وما امرنا بتعذيب انفسنا في الصوم بل على
ما تدعوا اليه ما نهى الله عنه وفي الحديث الصحيح ان ابا بكر لما حلب اللبن عي
في طريق الهجرة صب الما على القدح حتى برد اسفله ثم سقى رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم وفرش له في ظل صخره وكان يستعذب لرسول الله صلى
الله عليه واله وسلم الما وقال ان كان عندكم ما بات في شن والا

كرعنا ولو فهم داود رحمه الله ان صلاح علف الناقة متعين لقطع المنزل
لم يفعل هذا الاثر الى سفين الثوري فانه كان شديد المعرفة والخوف
وكان ياكل اللذيذ ويقول ان الدابة اذا لم يحسن اليها لم تعمل ولعل بعض
من سمع كلامي هذا يقول هذا ميل على الزهاد فاقول كن مع العلما وانظر
الى طريق الحسن وسفيان ومالك وابو حنيفة والشافعي واحمد فهولا
اصول الاسلام ولا تقلد دينك من قل علمه وقوي زهده واحترامه على
انه كان يطيق هذا ولا نعلم ام فيما لا نطيقه فليس امرنا الينا والنفس
وديعة عندنا فان انكرت ما شرحته فانت ملحق بالقوم الذين انكرت
عليهم هذا من الى المقصود وشرحه يطول فصل الواجب على العاقل
ان يتبع الدليل ولا ينظر فيما احلى من مكروه مثاله انه قد ثبت بالدليل
القاطع حكمة الخالق عز وجل وملكه وتدبيره فاذا راى الانسان
عالما محروما وجاهلا مرزوقا وجب عليه بالدليل المثبت حكمة الخالق
التسليم اليه ونسبة العجز عن معرفة الحكمة الى نفسه فان اقواما لم
يفعلوا ذلك جهلا منهم فتراهم ما خاصموا بفساد هذا التدبير اليس
بمقتضى عقولهم او ما عقولهم من جملة مواهبه فكيف يحكم على حكمته
وتدبيره بعض مخلوقاته التي هي بالاضافة اليه انقص من كل شيء
وقد بلغني عن العين ابن الراوندي انه كان جالسا على الجسر

وفي يده

وفي يده رغيف ياكله فجازت خيل واموال فقال لمن هذه فقيل لفلان الخادم
فلما مر الخادم راى شخصا محتقرا فرمى الرغيف الى ناحيته وقال وهذا
فلان ما هذه القسمة ولو فكر المدبر لبانت له وجوه اقلها جهله لمن يدعي معرفته وقلة
تعظيمه وذلك يوجب عليه مثل ما كان فيه من تضييق العيش ولكنه ميراث
ابليس حتى اعتقد سوا التدبير في تفضيل ادم عليه السلام فالعجب من المبتدي بعلم
على استاذه ومن مملوك يعترض على سيده ومما ينبغي ان يتبع فيه الدليل ولا
يلتفت الى صاحب الحال ان العلم اشرف مكتسب وقد راى جماعة من الجهلة
قلة حظوظ العلما من الدنيا فانفروا على العلم وقالوا لا فائدة فيه وذلك
لجهلهم بمقدار العلم فان تابع الدليل لا يبالي ما جرى وانما يبين الاختبار وانما
بفقد الغرض ولو لم يكن من الدليل على صدق نبينا صلى الله عليه وسلم
الا اعراضه عن الدنيا وتضييق العيش عليه ثم لم يخلف شيا وحرم اهله
الميراث فدل على صدق طلبه لمطلوب اخر وربما راى الجاهل قوما من العلما
يفعلون خطيئة فيزري على العلم ويدعيه نقصا وهذا غلط كبير فليتق
الله العاقل وليعمل بمقتضى العقل فيما يومر به من طاعة الله تعالى والعمل بالعلم
وليعلم ان الابتلا في الصبر على فوات المطلوب وليلزم اتباع الدليل
وان جنى مكروها والله الموفق فصل قرات سورة يوسف فتعجبت من مدحه
عليه السلام على صبره وشرح قصته للناس ورفع قدره بترك ما ترك حلته الامر

فاذا هي مخالفة الهوى المكروه فقلت واعجبا لو وافق هواه من كان يكون
ولما قد خالفه لقد صار امرا عظيما تضرب الامثال بصبره ويفتخر على الخلق باحتماله
وكل ذلك قد كان بصبر ساعه فيا له عزا وفخرا ان يقاوم كل الخطر من ذكره امثال
ساعة الصبر عن المحبوب وبالعكس منه حال ادم في موافقته هواه لقد عاده
نقص في حقه لولا تداركه فتاب عليه فتلمحوا اخواني عاقبة الصبر ونهاية
الهوى فالعاقل من ميز بين الامرين الحلو والامر فان من عدل
ميزانه ولم تمل به كفة الهوى راى كل الارباح في الصبر وكل الخسران في موافقة النفس
وكفى بهذا موعظة في مخالفة الهوى لاهل النهى والله الموفق فصل رايت
الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب الا ان يمزج
بالرقايق والنظر في سير السلف الصالحين فاما مجرد العلم بالحلال والحرام
فليس له كبير عمل في رقة القلب وانما يرق القلب بذكر رقايق الاحاديث في
اخبار السلف الصالحين لانهم تناولوا مقصود النقل وخرجوا عن صور الافعال
المامور بها الى ذوق معانيها والمراد بها وما اخبرتك بهذا الا بعد معالجه
وذوق لاني وجدت جمهور المحدثين وطلاب الحديث همة احدهم في الحديث
العالي وتكثير الاجزا وجمهور الفقها في علوم الجدل وما يغالب به الخصم
وكيف يرق القلب مع هذه الاشيا وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد
الصالح للنظر الى سمته وهديه لا لاقتباس علمه وذلك ان ثمرة علمه هديه وسمته

فافهم هذا وامزج طلب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا
ليكون سببا لرقة قلبك وقد جمعت لكل واحد من مشاهير الاخيار كتابا فيه اخباره
وادابه فجمعت كتابا في اخبار الحسن وكتابا في اخبار سفيان الثوري وابراهيم
بن ادهم وبشر الحافي واحمد بن حنبل ومعروف وغيرهم من العلما والزهاد والله
الموفق للمقصود ولا يصلح العمل مع قلة العلم فانهما في ضرب المثل كسايق وقايد
والنفس بينهما حرون ومع جد السايق والقايد ينقطع المنزل ونعوذ بالله
من الفتور فصل خضت في شي يجوز في بعض المذاهب فوجدت في قلبي قسوة
عظيمه وتخايل لي نوع طرد عن الباب وبعد وظلمة تكاثفت فقالت نفسي ما هذا
اليس ما خرجت عن اجماع الفقها فقلت لها يا نفس السو جوابك من وجهين احدهما
انك تاولت ما لا تعتقدين فلو استفتيتي لم تفتي بما فعلت قالت لو لم اعتقد
جواز ذلك ما فعلته قلت الا ان اعتقادك ما ترضينه لغيرك في الفتوى والثاني
انه ينبغي لك الفرح بما وجدت من الظلمة عقيب ذلك لانه لولا نور في قلبك ما اثر
مثل هذا عندك قالت فلقد استوحشت بهذه الظلمة المتجدده في القلب قلت فاعزمي
على الترك وقدري ما تركت جايزا بالاجماع وعدي هجره ورعا وقد سلمت فصل
مما افادتني تجارب الزمان انه لا ينبغي لاحد ان يظاهر بالعداوه احدا ما
استطاع فانه ربما لم يحتاج اليه وان الانسان قد لا يظن الحاجة اليه فيحتاج اليه
يوما ما كما قد يحتاج الى عود مسود لا يلتفت اليه وكم من محتقر احتيج اليه وان لم

يقع الحاجة الى ذلك الشخص في جلب نفع وقعت الحاجة في دفع ضرر ولقد
احتجت في عمري الى ملاطفة اقوام ما خطر لي قط وقوع الحاجة الى التلطف بهم
واعلم ان المظاهرة بالعداوة قد تجلب اذى من حيث لا يعلم لان المظاهر بالعداوه
كشاهر السيف ينظر مضربا وقد يلوح مضرب خفي وان اجتهد المتدرع في
ستر نفسه فيغتنمه ذلك العدو فينبغي لمن عاش في الدنيا ان يجتهد في ان لا يظاهر
بالعداوة احدا لما بلته من وقوع الخلق بعضهم الى بعض واقتدار بعضهم على
ضرر بعض وهذا فصل مفيد يبين فائدته للانسان مع تقلب الزمان فصل
رايت النفس تنظر الى لذات ارباب الدنيا العاجلة وتنسى كيف حصلت وما يتضمنها
من الافات وبيان هذا انك رايت صاحب امارة وسلطنة فتاملت نعمته
وجدتها مشوبة بالظلم فان لم يقصده هو حصل من عماله ثم هو خائف متزعزع
في كل اموره حذر من عدو وقلق ممن هو فوقه ان يعزله ومن نظيره ان
يكيده ثم اكثر زمانه يمضي في خدمة من يخافه من السلاطين وفي حساب عماله
وتنفيذ اوامرهم التي لا تخلو من اشيا منكرة وان عزل انسى ذلك على جميع
ما نال من لذة ثم تلك اللذة تكون معمورة بالحذر فيها فهي منها عليها وان
رايت صاحب تجارة رايته قد يقطع في البلاد فلم ينل ما نال الا بعد علو السن
وذهاب اللذة كما حكي ان رجلا من اولاد الروسا كان حال شبيبته فقيرا
فلما كبر استغنى وملك اموالا واشترى عبيدا من الترك وغيرهم وجواري من

الروم وقال هذه الابيات في شرح حالة شعر

ما كنت ارجوه اذ كنت ابن عشرينا • ملكته بعد ان جاوزت سبعينا •
يطوف بي من بني الاتراك اغزلة • مثل الغصون على كثبان يبرينا •
وخرد من بنات الروم رايقة • يحكين بالحسن حور الجنة العينا •
يغمزنني باساريع منعمة • يكاد يعقد من اطرافها لينا •
يردن احيا ميت لا حراك به • وكيف يحيين ميتا صار مدفونا •
قالوا انينك طول الليل يسهرنا • فما الذي تشتكي قلت الثمانينا •

فهذه الحالة هي الغالبة فان الانسان لا يكاد يجتمع له كل ما يحب الا عند قرب
رحيله فان بدر ما يحب في بداية شبابه فالصبوة مانعة من فهم التدبير
في الالتذاذ والانسان في حالة الصبوة لا يدري اين هو الى ان يبلغ فاذا بلغ
كانت همته في المنكوح كيف اتفق فان تزوج جا الاولاد فمنعوا اللذة واكثر
في نفقته وافتقر الى الكسب عليهم فبينما هو قد دعك في تلك المدة القريبة
الثلاثين وخط الشيب فانفرق من نفسه لعلمه ان النسا ينفرقن منه كما قال

لقد اتعبت نفسي في مشيبي • فكيف يحبني الجرد الكعاب •

فاذا فهم المتمتع بالمستحسنات وخرج عن طلب صورة النكاح لم يجد مالا
يبلغ به المراد فان كسب ضاع زمن تمتعه واذا اتم له المطلوب فالشيب اقبح
قذى واعظم منغص ثم ان صاحب المال خايف على ماله محاسب لمعاملته مذموم

ان اشرف وان قتر ولده يرصد موته وجاريته قد لا ترضى شخصه وهو
مشغول بحفظ حواشيه فقد مضى زمانه في محن واللذات غيره تختلس
معتاده لا لذة فيها ثم في القيامة يحشر الامير والتاجر الا من عظم الله فاياك
اياك ان تنظر الى صورة نعيمهم فانك تستطيبه لبعده عنك ولو قد نلته
برد عنك ثم في ضمنه من محن الدنيا والآخرة ما لا يوصف فعليك بالقناعة
مهما امكن ففيها سلامة الدنيا والدين وقد قيل لبعض الزهاد وعنده
خبز يابس كيف تشتهي هذا فقال اتركه حتى اشتهيه **فصل** وقع بيني
وبين بعض ارباب الولايات نوع معاداة لاجل المذاهب فاني كنت في
مجلس التذكير انصر ان القران كلام الله وانه قديم واقدم ابا بكر واتفق
في ارباب الولايات من يميل الى مذهب الاشعري ومنهم من يميل الى مذهب
الروافض وتمالوا علي في البواطن فقلت يوما في مناجاتي للحق سبحانه
سيدي نواصي الكل بيدك وما فيهم من يقدر لي على ضر الا ان تجريه على
يده وانت قلت سبحانك وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وقد طيبت
قلبي المبتلى بقولك قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا فان اجريت على يدي
بعضهم ما يوجب خذلاني كان خوفي على ما نصرته اكثر من خوفي على نفسي
لئلا يقال لو كان على حق ما خذل وان نظرت الى تقصيري وذنوبي
فانا مستحق للخذلان غير اني اعيش بما نصرته من السنة فادخلني في

خفارته

خفارته فاستودعني ما لك خلق من صالحي عبادك فان لم تحفظني بي
فاحفظني بهم سيدي لتنصرني على من عاداني فانهم لا يعرفونك كما ينبغي وهم
عنك على كل حال وانا على تقصيري اليك انسب **فصل** روي عن الحلاج الصوفي
انه كان يقعد في الشمس في الحر الشديد وعرقه يسيل فجاز بعض العقلاء
فقال يا احمق هذا تقاوي على الله تعالى وما الحمق قال هذا فانه ما وضع
الا على خلاف الاغراض وقد يخرج صاحبه الى ان يعجز عن الصبر فالجاهل
الاحمق من يتقاوى ويسأل البلا كما قال ذاك لا بد فليت ما شئت فاختبرني
والسعيد من ذل وسأل العافية فانه لا يوجد العافية على الاطلاق فلا بد
من بلا فلا يزال العاقل يسأل العافية لتغلب على جمهور احواله فيقرب
الصبر على يسير البلا وفي الجملة ينبغي للانسان ان يعلم انه لا سبيل الى الخلو
ففي كل جرعة غصص وفي كل لقمة شجا **شعر**
ومن لم يعشق الدنيا قديما * ولكن لا سبيل الى الوصال
وعلى الحقيقة ما الصبر الا على الاقدار وقل ان تجري الاقدار الا على خلاف مراد
النفس فالعاقل من دارى نفسه في الصبر بوعد الاجر وتسهيل الامر ليذهب
زمان البلا سالما من شكوى ثم يستغيث بالله تعالى سائلا العافية
فاما المتجلد فاعوذ بالله قط نعوذ بالله من الجهل به ونسأله عرفانه
انه كريم مجيب **فصل** الجادة السليمة والطريق القويمة الاقتدا بصاحب

الشرع والبدار الى الاستنان به فهو الكامل الذي لا نقص فيه فان خلقا
كثيرا انحرفوا الى جادة الزهد وحملوا على انفسهم فوق الجهد فاوقعوا في
اواخر العمر والبدن قد نحل وفاتت امور فهمه من العلم وغيره وان قوما
انحرفوا الى صورة العلم فبالغوا في طلبه فافنوا في اخره قدم وقد فاتهم
العمل به فطريق المصطفى صلى الله عليه واله وسلم العلم والعمل والتلطف بالبدن
كما اوصى عبد الله بن عمرو وقال له ان لنفسك عليك حقا ولزوجك عليك
حقا فهذه هي الطريق الوسطى الفضلى فاما اليبس المجرد فكم من فوت
من علم او حصل يشتغل به اكثر مما يشتغل بالعمل فان مثل العالم كرجل يعرف الطريق
والعابد جاهل بها فيمشي العابد من الفجر الى العصر ويقوم العالم قبيل العصر
فيلتقيان وقد سبق العالم فضل شوط فان قال قائل بين لي هذا
قلت صورة التعبد حسنة عند الله تعالى والله وربما لم يطلع العابد على
معنى تلك الصورة لانه ربما ظن انه اهل لوجود الكرامة على يده او انه
يستحق تقبيل يده او انه خير من كثير من الناس وذلك كله لقلة العلم
واعني بالعلم فهم اصول العلم لا كثرة الروايه ومطالعة مسايل الخلاف
فاذا طالع العالم الاصول شق هذا العابد بحسن خلق ومداراة الناس
وتواضعه في نفسه وارشاده الخلق الى الله تعالى فيعبر على هذا العالم
وهو في لبس جهله بالحال راقد وربما تزوج العابد ثم حمل نفسه على التعفف

فحبس زوجته

فحبس زوجته عن مطلوبها ولم يطلقها وصار كالتي حبست الهرة فلا هي
اطعمتها ولا هي ارسلتها تاكل من خشاش الارض ومن تامل حال الرسول
صلى الله عليه واله وسلم راى كاملا من الخلق يعطي كل ذي حق حقه فتارة يمزح
ويضحك ويلاعب الاطفال ويسمع الشعر ويتكلم بالمعاريض ويحسن معاشرة
النسا وياكل ما قدر عليه ومنح له فان كان لذيذا كالعسل والدجاج ويستعذب
له الما ويفرش له في الظل ولا ينكر ذلك ولم يسمع عنه مثل ما حدث بعده
من جهال المتصوفه والمتزهدين من منع النفس شهواتها على الاطلاق
فقد كان ياكل البطيخ بالرطب ويقبل ويمص اللسان ويطلب المستحسنات
فاما اكل خبز الشعير وورن الماكول وتخفيف البدن وهجر كل مشتهى
فانه تعذيب للنفس وهدم للبدن لا مقتضيه العقل ولا يمدحه شرع
وانما اقتنع اقوام بالقليل من الاسباب مثل ان حدثت شبهه فتقللوا
او اختلط طعام بطعام فتورعوا ثم كان النبي صلى الله عليه واله وسلم يوفي العبادة
حقها بقيام الليل والاجتهاد في الذكر فعليك بطريقته التي هي اكمل الطرق
وشرعته التي لا شوب فيها ودع حديث فلان وفلان من الزهاد واحمل
امرهم على احسن محمل واقم لهم الاعذار ما قدرت فان لم تجد عذرا فهم
محجوجون بفعله اذ هو قدوة الخلق وسيد العقلا وهل فسد الناس الا
بالانحراف عن الشريعه ولقد حدثت افات من المتصوفه والمتزهدين خرجوا

بها شبكة الشريعة وغيروا فمنهم من يدعي المحبة والشوق ولا يعرف المحبوب
فتراه يصيح ويستغيث ويخرق ثيابه ويخرج عن حد الشرع بدعواه ومضمونها
ومنهم من حمل على نفسه بالجوع والصوم الدايم وقد صح عن النبي صلى الله عليه
واله وسلم انه قال لعبد الله ابن عمر صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من
ذلك فقال لا افضل من ذلك وفيهم من خرج الى السياحة فافات نفسه
الجاعة وفيهم من دفن كتب العلم وقعد يصلي ويصوم ولم يعلم ان ذلك
فيها خطا قبيح لان النفس تغفل وتحتاج الى التذكير في كل وقت ونعم
المذكر كتب العلم وانما دخل ابليس على كل قوم منهم من حيث قدر وكان
مقصوده بدفن الكتب اطفا المصباح ليسير العابد في الظلمة وما
احسن ما قال بعض العلما لرجل ساله فقال اريد ان امضي الى جبل اللكام
فقال هذه نهر كله وهذه كلمة عامية معناه حب البطالة وعلى الحقيقة
الزهاد في مقام الخفافيش قد دفنوا انفسهم بالعزلة عن نفع الناس
وهي حالة حسنة اذا لم تمنع عن خير من جماعة واتباع جنازة وعيادة
مريض الا انها حالة الجبنا فاما الشجعان فهم يتعلمون ويعلمون وهي مقامات
الانبيا الا ترى كم ابن ادم اذا نزلت به حادثة ومن العقبية بالله لو مالت الخلق
الى التعبد لضاعت الشريعة على انه لو فهم معنى التعبد لم يقتصر به على الصلوة
والصوم فرب ماش في حاجة مسلم فضل بعدم ذلك على صوم سنة والعمل

بالبدن

بالبدن سعي الالات الظاهرة والعلم عمل سعي الالات الباطنة
من العقل والفكر والفهم فلذلك كان اشرف فان قلت لي كيف تذم المنتسبين
الى التعبد قلت ما ادمهم بل احد نسخام حوادث اقتضاها الجهل من
الدعوى والافات التي سببها قلة العلم وحملوا على انفسهم التي ليست
لهم من غير اذن الامر ما لم يعرض حتى ان احدهم يرى ان فعل ما يوذي النفس
على الاطلاق فضيلة حتى قال بعض الحمقى دخلت الحمام فوجدت عنده ان لبيت
لا اخرج حتى اسبح كذا وكذا تسبيحة فطال الامر فمرضت وهذا جاهل خاطر
بنفسه في فعل ما ليس له ومن المتصوفة والزهاد من قنع بصورة اللباس
وهو كثير من الجهل في الباطن من لا يسعه كتاب طهر الله الارض منهم فاعانت
العلما عليهم فان اكثر الحمقى معهم فلو انكر عالم على احدهم مال العوام على
العالم لقوة الجهل ولقد رايت كثيرا من المتعبدين وهو في مقام العجايز
يسبح تسبيحا لا يحرك الطوق ويفعل في صلاته ما لم ترد به السنة ولقد حملت
على بعض من كان يتعبد وقد قام اماما وهو خلفه في جماعة يصلي بهم الضحى
وجهر فقلت ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال صلوة النهار عجما فغضب ذلك
الزاهد وقال كم ينكر هذا علينا قد دخل فلان وانكر وفلان وانكر ونحن
نرفع اصواتنا حتى لا نام فقلت واعجبا ومن قال لكم لا تناموا اليس في الصحيحين
من حديث ابن عمر ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال له قم ونم وقد كان

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينام ولعله ما مضت عليه ليلة الا ونام فيها
ولقد شاهدت رجلا كان يقال له حسان القزويني بجامع المنصور وهو يمشي
في الجامع مشيا كثيرا دائما فسألت ما السبب في هذا المشي فقيل له حتى لا
ينام وهذه كلها حماقات اوجبها قلة العلم لانه اذا لم توخذ النفس حظها
من النوم اختلطت العقل وفات المراد من التعبد لبعد الفهم ولقد حدثني
بعض الصالحين المجاورين بجامع المنصور ان رجلا كان اسمه كبير دخل
اليهم الجامع فقال اني عاهدت الله على امر ونقضته وقد جعلت عقوبتي
لنفسي ان لا اكل شيئا اربعين يوما قال فما مكث منها عشرة ايام قرب
الحال يصلي في جماعة ثم في العشر الثاني بان ضعفه وكان يداري الامام
ثم صار في العشر الثالث يصلي قاعدا ثم استطرح في العشر الرابع فلما
تمت الاربعون جي له بنقوع فشربه فسمعنا صوته في حلقه مثل ما يقع
الما على المقلا ثم مات بعد ايام فقلت يا لله العجب انظروا ما يفعل الجهل
باهله ظاهر هذا انه في النار الا ان يعفو الله عنه ولو فهم العلم او
سال العلما لعرفوه انه يجب عليه ان ياكل وانما فعل بنفسه حرام ولكن
من اعظم الجهل استبداد الانسان بعلمه وكل هذه الحوادث نشأت
قليلا قليلا حتى تمكنت فاما السلف الاول فلم يكن فيهم من هذا شي ما
كانت الصحابة تفعل شيا من هذه الاشيا وقد كانوا يوثرون وياكلون

ودون الشبع

دون الشبع ويصبرون اذا لم يجدوا فمن اراد الاقتدا فعليه برسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه ففي ذلك الشفا والمطلوب ولا ينبغي ان يجلد
العاقل الى تقليد معظم الشياع اسمه فيقول قال ابو يزيد وقال النوري
فان المقلد اعمى وكم قد راينا اعمى يانف من حمل عصى فمن فهم هذا المثال اثر
طلب الافضل والاعلى والله الموفق فصل تاملت المدخل الذي دخل
في ديننا في العلم والعمل فرايته من طريقين قد تعاهد الدين وانفسهما
فاما اصل الدخل في العلم والاعتقاد فمن الفلسفة وهو ان خلقا من
العلما في ديننا لم يقنعوا بما قنع به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من الانعكاف على الكتاب والسنة فاوغلوا في النظر في مذاهب اهل الفلسفة
وخاضوا في الكلام الذي حملهم على مذاهب رديه افسدوا بها العقايد
واما اصل المدخل في باب العمل فمن الرهبانية فان خلقا من المتزهدين
اخذوا عن الرهبان طريق التقشف ولم ينظروا في سير نبينا صلى الله
عليه وآله وسلم واصحابه وسمعوا ذم الدنيا وما فهموا المقصود فاجتمع
لهم الاعراض عن علم الشرع مع سو الفهم المقصود فحدث عنهم بدع
قبيحة فاول ما ابتدا به ابليس انه امرهم بالاعراض عن العلم فدفنوا كتبهم
وغسلوها والزمهم زاوية للتعبد فيها زعم واظهر لهم من الحزن عملا
ما اوجب اقبال العوام عليهم فجعل الدهم هواهم ولو علموا انهم منذ دفنوا

كتبهم وفارقوا العلم انطفى مصباحهم ما فعلوا لكن ابليس دهى المتعبد
ونحن دفين تحت الارض والعلم بعلم فساد الطريقين ويهدي الى الصواب
فنسال الله عز وجل ان لا يحرمنا اياه فانه النور في الظلم والانيس في
الوحدة والوزير عند الحادثة **فصل** اعوذ بالله من صحبة
البطالين لقد رايت خلقا كثيرا يجرون معي فيما قد اعتاده الناس من كثرة
الزيارة ويسمون ذلك التردد خدمة ويطيلون الجلوس ويجرون فيه احاديث
الناس وما لا يعني ويتخلله غيبة وهذا شي يفعله في زماننا كثير من الناس
وربما طلبه المزور وتشوق اليه واستوحش من الوحدة وخصوصا في ايام
التهاني والاعياد فتراهم يمشي بعضهم الى بعض ولا يقتصرون على الهناء
والسلام بل يمزجون بما ذكرته من تضييع الزمان فلما رايت ان الزمان
اشرف شي والواجب انتهابه بفعل الخير كرهت ذلك وبقيت معهم بين
امرين ان انكرت عليهم ذلك وقعت وحشة لموضع قطع المالوف
وان تقبلته منهم ضاع الزمان فصرت ادافع اللقاء جهدي فاذا غلبت
قصرت في الكلام لاتعجل الفراق ثم اعددت اعمالا تمنع من المحادثة لاوقات
لقائهم لئلا يمضي الزمان فارغا فجعلت من المستعد للقائهم قطع الكاغد
وبري الاقلام وحزم الدفاتر فان هذه الاشياء لا بد منها ولا تحتاج فكر
وحضور قلب فارصدتها لاوقات زيارتهم لئلا يضيع شي من وقتي نسال الله عز وجل

ان يعرفنا

ان يعرفنا شرف اوقات العمر وان يوفقنا لاغتنامه ولقد شاهدت
خلقا كثيرا لا يعرفون معنى الحياة فمنهم من قد اغناه الله عن التكسب بكثرة
ماله فهو يقعد في السوق اكثر النهار وينظر الى الناس وكم تمر بهم من آفة ومنكر
ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج ومنهم من يقطع الزمان بذكر الحوادث من السلاطين
والغلاء والرخص الى غير ذلك فعلمت ان الله تعالى لم يطلع على شرف العمر ومعرفة
قدر اوقات العافية الا من وفقه والهمه اغتنام ذلك وما يلقاها الا ذو حظ
عظيم **فصل** رايت من الراي القويم ان نفع التصانيف اكثر من نفع التعليم
بالمشافهة لاني اشافه في عمري عددا من المتعلمين واشافه بتصنيفي خلقا
لا تحصى ما خلقوا بعد ودليل هذا ان انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين اكثر
من انتفاعهم بما يستفيدونه من مشايخهم فينبغي للعالم ان يتوفر على التصانيف
ان وفق للتصنيف المفيد فانه ليس كل من صنف صنف وليس المقصود
جمع شي كيف كان وانما هي اسرار يطلع الله عليها من شاء ويوفقه لكشفها
فيجمع ما فرق او يرتب ما شتت ويشرح ما اهمل هذا هو التصنيف المفيد وينبغي
اغتنام التصنيف في وسط العمر لان اوائل العمر زمان الطلب والحفظ
والتشاغل الى الاربعين ثم يبتدي بعد الاربعين بالتصانيف والتعليم هذا
اذا كان قد بلغ ما يريد من الجمع والحفظ واعين على تحصيل المطالب فاما اذا
قلت الالات عنده من الكتب او كان في اول امره ضعيف الطلب فلم ينل ما يريده

طيب

في هذا الاوان اخر التصانيف الى تمام الخمسين سنة ثم ابتدا بعد الخمسين في التصنيف والتعليم الى راس الستين ثم يزيد فيها بعد الستين في التعليم وسماع الحديث والعلم ويقلل التصانيف الى ان يقع فهم الى راس السبعين فاذا جاوز السبعين جعل الغالب عليه ذكر الاخرة والتهيي للرحيل فيوفر على نفسه الا تعليم من يحتاج اليه او تصنيف يفتقر اليه فذلك اشرف العدد للاخرة وليكن همته في تصنيف نفسه وتهذيب خلاله والمبالغة في استدراك زلاته فان احتطف في خلال ما ذكرنا فنية المومن خير من عمله فان بلغ الى هاذه المنازل فقد عرفنا ما يصلح لكل منزل وقد قال سفيان الثوري من بلغ سن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فليتخذ لنفسه كفنا وقد بلغ جماعة من العلما سبعا وسبعين سنة منهم احمد بن حنبل فان بلغها فليعلم انه على شفير القبر فان كل يوم ياتي بعدها مستطرف فان تمت له الثمانون فليجعل همته كلها مصروفة الى تنظيف خلاله وتهيئة زاده وليجعل الاستغفار حليفه والذكر اليفه وليدقق في محاسبة النفس في بذل العلم او مخالطة الخلق فان قرب الاستعراض للجيش يوجب عليهم الحذر من العارض وليبالغ في نقا امره قبل رحيله مثل ست عمله وابقا كتبه وشي من ماله وبعد ممن يتولاه الله تعالى ومن اراده المهم نسال الله عز وجل ان ينعم علينا بان يتولانا ولا يولي علينا انه قريب مجيب

فصل

اين عادات الناس قد غلبت عليهم على الشرع فهم يستوحشون

من فعل

من فعل الشي لعدم جريان العادة لا لنهي الشرع وكم من رجل يوصف بالخير يبيع ويشتري فاذا حصلت له المراضة باعها بالصحيح من غير تعليم لامام وعمل بحسب عادة من القوم واستثقالا لا للاستفتا وترى خلقا يحافظون على صلوة الرغايب ويتوانون عن الفرايض وكثيرا من المتصوفين لا يستوحشون من ظلم الناس بل يتصدقون على الفقرا وربما تواهن اخراج الزكوة وتكاسلوا عن استعمال التاويلات فيها ثم اذا حضر احدهم مجلس وعظ بكا كانه يصانع تلك الحال ومنهم من يخرج بعض الزكوة صانع عالم بحرجه ومنهم من يعلم ان اصل ماله حرام ويصعب عليه فراقه للعادة ومنهم من يحلف بالطلاق ويحنث ويرى الفراق صعبا فربما تاول وربما تكاسل عن التاويل اتكالا على عفو الله تعالى ووعد من النفس بالتوبة ومنهم من يرى ان استعمال الشرع ربما كان سببا في تضييق معاشه وقد الف التفسح فلا يسهل عليه فراق ما قد الف والعادات في الجملة هي المهلكة ولقد حضر عندي رجل شيخ له نحو من ستين سنة فاستمر ست سنة وكان قد عقد معه العقد فلما افترقا غدر بعد ايام فطلبت منه الحضور عند الحاكم فابى فاحضرته فحلف اليمين الغموس الى مبايعته فقلت ما تدور عليه السنة واحد بهر طل لمن يحولها عني وسنه من الظلمة فرايت من العوام من قد غلبت عليه العادات فلا يلتفت معها الى قول فقيه يقول هذا ما فعل الشرع

فكيف يصح البيع واخر يقول كيف يجوز لك ان تاخذ دكانه بغير رضاه
واخر يقول يجب عليه ان يقيله البيع فلما المال ولما اخذ اخر هو واقاربه
ياخذ ودعوى ورأى انه يحامي عن ملكه ثم سعى بي الى السلطان سعيا
عرض فيها من الكذب ما ادهشني وبرطل مالا لاحد من الظلمه فيا العوام سعوا
الا ان الله تعالى نجاني من شرهم ثم اني اقمت البينه عليه عند الحاكم فقال بعض
ارباب الدنيا للحاكم لا تحكم فوقف عن الحكم بعد ثبوت البينه عنده فرايت
من هذا الحاكم ومن حاكم اخر اعلى منه ومن ترك انفاذ الحق حفظا لرياستهم
ما هون عندي ما فعله ذلك الشيخ حفظا لماله وجهله وعلم هولا
فيتخيل لي من الامر ان العادات غلبت على الناس فان الشرع اعرض عنه
وان وقعت موافقه للشرع فكما اتفق ولاجل العاده فان الانسان لو ضرب
بالسياط ما افطر في رمضان عاده قد استمرت وياخذ اعراض
الناس واموالهم عاده اخرى فكم قد رايت هذا الشيخ يصلي ويحافظ
على الصلوة ثم لما خاف فوت غرضه ترك الشرع جانبا وكم قد رايت اوليك
الحكام يتعبدون ويطلبون العلم غير انهم لما خافوا على رياستهم ان تزول
تركوا جانب الدين ثم ان الله تعالى نصرني عليه وتقدم الى الحاكم بانفاذ ما ثبت
عنده ودارت السنه فمات الشيخ على مل فنسال الله عز وجل التوفيق
للانقياد للشرع ومخالفة الهوى انه **فصل ما اعرف للعالم**

قط لذه

قط لذه ولا عزا ولا شرفا ولا راحه وسلامه افضل من العزله فانه ينال بها
سلامة بدنه ودينه وجاهه عند الله عز وجل وعند الخلق لان الخلق يهون
عليهم من يخالطهم ولا يعظم عندهم قول المخالط لهم ولهذا عظم قدر الخلفا
لاحتجابهم فاذا راى العوام احد العلما مترخصا في امر مباح هان عندهم
فالواجب عليه صيانة علمه واقامة قدر العلم عندهم فقد قال بعض السلف
كنا نمزح ونضحك فاذا صرنا يقتدى بنا فما اراه يسعنا ذلك وقال سفيان
الثوري تعلموا هذا العلم واكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب مرا عاة
الناس لا ينبغي ان ينكر وقد قال عليه السلام لعايشه لولا حدثان قومك
بالكفر لنقضت الكعبه وجعلت لها بابين وقال احمد بن حنبل في الركعتين
قبل المغرب رايت الناس يكرهونها فتركتها ولا تسمع من جاهل يرى مثل هذه
الاشيا ريا انما هذا صيانة العلم وبيان هذا انه لو خرج العالم الى الناس
مكشوف الراس او في يده كسره ياكلها قل عندهم وان كان هذا مباحا
فيصير بمثابة تخليط الطبيب الامر بالحميه فلا ينبغي للعالم ان ينبسط عند العوام
حفظا لهم ومتى اراد مباحا فليستتر به عنهم وهذا القدر الذي لاحظه
ابو عبيده حين راى عمر بن الخطاب قد قدم الشام راكبا على حمار ورجلاه من
جانب فقال يا امير المومنين تتلقاك عظما الناس فما احسن ما لاحظ
الا ان عمر رضي الله عنه اراد تاديب ابي عبيده بحفظ الاصل فقال ان الله اعزكم

بالاسلام فمهما طلبتم العز في غيره اذلكم والمعنى ينبغي ان يكون طلبكم
العز بالدين لا بصور الافعال وان كان الصور تلاحظ فان الانسان يخلو
في بيته عريانا فاذا خرج الى الناس لبس ثوبيه وعمامته ورداه ومثل هذا
الا ان يكون تصنعا ولا يسبب على كبر. وقد كان مالك بن انس يغتسل ويتطيب
ويقعد للحديث ولا تلتفت يا هذا الى ما ترى من سؤال العلما على ابواب
السلاطين فان العزلة اصون للعالم والعلم وما يخسره العلما في ذلك
اضعاف ما يربحونه. وقد كان سيد الفقها سعيد بن المسيب لا يغشى الولاة
وعن قوله هذا فسكتوا عنه وهذا فعل الحازم فان اردت اللذة والراحة
فعليك ايها العالم بقعر بيتك وكن معتزلا عن اهلك يطيب لك عيشك
واجعل للقا اهلك وقتا فاذا عرفوه تصنعوا للقايك فكانت المعاشرة
بذلك اجود. وليكن لك مكان في بيتك تخلوا فيه بربك وتحادث سطور
كتبك وتجري في حلبات فكرك واحترز من لقا الخلق وخصوصا العوام
واجتهد في كسب يعفك عن الطمع فهذه نهاية لذة العالم في الدنيا وقد
قيل لابن المبارك مالك لا تجالسنا فقال انا اذهب فاجالس الصحابة والتابعين
واشار بذلك الى انه ينظر في كتبه ومتى رزق العالم الغنى عن الناس
والخلوة فان كان له فهم يجلب التصانيف فقد تكاملت لذته وان رزق
فهما يرتقي الى معاملة الحق ومناجاته فقد تعجل دخول الجنة قبل

الممات نسال الله عز وجل همة عالية تسمو الى الكمال وتوفيقا لصالح
الاعمال فالسالكون طريق الحق افراد. فصل تاملت احوال الناس في
حالة علو اسنانهم فرايت اكثر الخلق من خسارهم حينئذ فمنهم من بالغ في
المعاصي في الشباب ومنهم من فرط في اكتساب العلم ومنهم من اكثر الاستمتاع
باللذات فكلهم نادم في حالة الكبر حين فوت الاستدراك لذنوب سلفت
او قوى ضعفت او فضيلة فاتت فيمضي زمان الكبر في حسرات فان كانت
للشيخ افاقة من ذنوب قد سلفت قال وا اسفا على ما جنيت وان لم تكن
له افاقة صار متاسفا على فوات ما كان يلتذ به فاما من انفق عصر الشباب
في العلم فانه في زمن الشيخوخة يحمد جني ما غرس ويلتذ بتصنيف ما جمع
ولا يرى ما يفوته من لذات البدن شيئا بالاضافة الى ما يناله من لذات
العلم هذا مع وجود لذته في الطلب الذي كان يؤمل به ادراك المطلوب
وربما كانت تلك الامال اطيب مما يناله منها كما قال الشاعر

اهتز عند تمني وصلها طربا • ورب امنية احلى من الظفر •

ولقد تاملت نفسي بالاضافة الى عشيرتي الذين انفقوا اعمارهم في اكتساب
الدنيا وانفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم فرايتني لم يفتني
مما نالوه الا ما لو حصل لي ندمت ثم تاملت حالي فاذا عيشي في الدنيا
اجود من عيشهم وجاهي بين الناس اعلى من جاههم وما نلته

من معرفة العلم لا يقاوم فقال ابليس نسيت تعبك وسهرك فقلت
ايها الجاهل يقطيع الايدي لا وقع له عند روية يوسف وما طالت طريق
ادت الى صديق حواسه المشير اليه خيرا وان تركت المطايا كالمراد ولقد كنت
في حلاوة طلبي العلم القى من الشدايد ما هو عندي احلى من العسل لاجل
ما اطلب وارجو كنت في زمان الصبا اخذ معي ارغفة يابسة واخرج في
طلب الحديث واقعد على نهر عيسى فلا اقدر على اكلها الا عند الما فكلما
اكلت لقمة شربت عليها وعين همتي لا ترى الا لذة تحصيل العلم فاثمر ذلك
عندي اني عرفت بكثرة سماعي الحديث سيرة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
واحواله واداته واحوال اصحابه وتابعيهم فصرت في معرفة طريقهم كابن
اجود واثمر ذلك عندي من المعاملة ما لا يدرك الا بالعلم حتى كاني اذكر في
زمان الصبوة ووقت المغلم والغربة قدرتي على اشيا كانت النفس
تتوق اليها توقان العطشان الى الما الزلال ولم يمنعني عنها الا ما
اثمر عندي من العلم من خوف الله عز وجل ولولا خطايا لا يخلو منها
البشر لقد كنت اخاف على نفسي من العجب غير انه عز وجل اصاتني وعلمني
واطلعني من اسرار العلم على معرفته وايثار الخلوة به حتى انه لو حضر
معي معروف وبشر لرايتهما زحمة ثم عاد فغمسني في التقصير والتفريط
حتى رايت اقل الناس خيرا مني وتارة يوقظني لقيام الليل ولذة مناجاته

وتارة يحزنني ذلك مع سلامة بدني ولولا اشارة العلم بان هذا نوع تهذيب
وتاديب لخرجت اما الى العجب عند العمل واما الى اليأس عند البطالة لكن رجاي
في فضله قد عادل خوفي منه وقد يغلب الرجا بقوة اسبابه لاني رايت قدر
ما لي مذ كنت طفلا فان ابي مات وانا لا اعقل شيا والام لم تلتفت الي فركز
في طبعي حب العلم وما زال يوقفني على المهم فالمهم ويحملني الى ما حملني على
الاصوب حتى قوم امري وكم قصدني من عدو صده عني واذا رايته قد
نصرني وبصرني ودافع عني ووهب لي قوي رجاي في المستقبل بما
قد رايت في الماضي ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر اكثر من مائتي نفس
واسلم على يدي اكثر من مائتي نفس وكم سالت عين متجبر بوعظي لم
تكن تسيل ويحق لمن تلمح هذه الانعام ان يرجو التمام وربما لاحت
اسباب الخوف بنظري الى تقصيري وزللي ولقد جلست يوما فرايت
حولي اكثر من عشرة الاف ما فيهم الا من رق قلبه او دمعت عينه فقلت
لنفسي كيف بك ان نجوا وهلكت فصحت بلسان وجدي الهي وسيدي
ان قضيت علي بالعذاب غدا فلا تعلمهم بعذابي صيانة لكرمك لا لاجلي لئلا
يقولوا عذب من دل الى الهي قد قيل لنبيك صلى الله عليه واله وسلم اقتل
ابن ابي المنافق فقال لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه الهي فاحفظ
حسن عقايدهم في كرمك ان تعلمهم بعذاب الدليل اليك حاشاك والله يا

لا تبرعود انت ريشته • حاشا لبان المجد ان ينقضا
لا تعطش الزرع الذي انبته • بصوب انعامك قد روضا

فصل من الامور التي تخفى على العاقل انه يرى انه متى لم يكن عنده امرأة
او جارية يهواها هو اشد بدا انه لا يلتذ في الدنيا فاذا صور محبوبا مملوكا إمْرَأَةً
يحاله لذة عظيمة واذا كان عنده من لا يميل اليه اعتقد نفسه محروما وهذا
امر شديد الخفاء فينبغي ان يوضح وهوان المملوك مملوكه ومتى قدر الانسان
على ما يشتهيه مله او مال الى غيره تارة لبيان عيوبه التي تكشفها المخالطة
فانه قد قال الحكما العشق العمى من عيوب المحبوب وتارة لمكان القدرة عليه
والنفس لا تزال تطلع الى ما لا يقدر عليه ثم لو قدرنا دوام المحبة الغالية مع القدرة
فانها قد تكون ولكن ناقصة بمقدار القوة وانما تقوى بتجني المحبوب
فيكون محنة كالامتناع او امتناعه من الموافقة فاذا اصغى فلا بد من
اكدار منها الحذر عليه ومنها قلة ميله الى هذا العاشق وربما كلف العرب منه
لعلم الانسان بقلة ميل محبوبه اليه ببعض بل ببعض فان خاف منه خيانة
احتاج الى حراسته فتقويت الغرض واصلح المقدمات التوسط وهو
اختيار ما تميل النفس اليه ولا ترتقي الى مقام العشق فان العاشق في
عذاب اليم يحايل الفارغ من العشق لتلذذ العاشق وليس كذلك
• فانه كما قيل شعرا •

• ومافي الارض اشقى من محب • وان وجد الهوى عذب المذاق •
• تراه باكيا في كل وقت • مخافة فرقة او لاشتياق •
• فيبكي ان نأوا شوقا اليهم • ويبكي ان دنوا خوف الفراق •
• فتسخن عينه عند التداني • وتسخن عينه عند الفراق •

فصل ما ابتلى الانسان قط باعظم من همته فان من علت همته يختار
اعالي المعالي وقد لا يساعد الزمان وقد تضعف الالة فيبقى في عذاب
واني اعطيت من علو الهمة طرفا فانا به في عذاب ولا اقول ليته لم يكن
فانه انما يحلو العيش بقدر عدم العقل والعاقل لا يختار زيادة اللذة
بنقصان العقل ولقد رأيت اقواما يصفون علو هممهم فتاملتها فاذا هم
بها في فن واحد ولا يبالون بالنقص فيما هو اهم قال الرضي
• ولكل جسم في النحول بلية • وبلاء جسمي من تفاوت همتي •
فنظرت فاذا غاية امله الامارة • وكان ابو مسلم الخراساني في حال شبيبته لا يكاد ينام فقيل له في ذلك فقال
ذهن صاف وهم بعيد ونفس تتوق الى معالي الامور مع عيش كعيش الهمج
الرعاع قيل فما الذي يبرد غليلك قال الظفر بالملك قيل فاطلبه قال لا يطلب
الا بالاهوال قيل فاركب الاهوال قال العقل مانع قيل فما يصنع قال سأجعل
من عقلي جهلا واحاول به خطرا لا ينال الا بالجهل وادبر بالعقل ما لا يحفظ
الا به فان الخمول اخو العدم فنظرت الى حال هذا المسكين فاذا به قد ضيع

اهم المهمات وهو جانب الاخرة وانتصب في طلب الولايات فكم فتك
وقتل حتى نال بعض مراده من لذات الدنيا ثم لم يتنعم في ذلك اكثر من
ثمان سنين ثم اغتيل ونسي تدبير العقل فقتل ومضى الى الاخرة على اقبح حال
وكان المتنبي يقول • وفي الناس من يرضى بميسور عيشه • ومركوبه رجلاه والثوب جلده •
• ولكن قلبا بين جنبي ما له • مدى ينتهي بي في مراد احده •
• يرى جسمه يكسى شفوفا تربه • فيختار ان يكسى دروعا تهده •
فتاملت هذا الاخر فاذا همته فيما يتعلق بالدنيا فحسب ونظرت الى علو همتي
فرايتها عجيبا وذلك انني اروم من العلم ما اتيقن اني لا اصل اليه لاني احب
نيل كل العلوم على اختلاف فنونها واريد استقصا كل فن وهذا امر يعجز
العمر عن بعضه فان عرض لي ذو همة في فن قد بلغ منتهاه رايته ناقصا
في غيره فلا اعد همته تامة مثل المحدث فاته الفقه او الفقيه فاته علم
علم الحديث فلا ارى الرضا بنقصان من العلوم الا حادثا عن نقص الهمة ثم اني
اروم نهاية العمل بالعلم فاتوق الى ورع بشر وزهادة معروف وهذا
مع مطالعة العلم والتصانيف وافادة الخلق ومعاشرتهم بعيد وزهادة
معروف ثم اني اروم الغنى عن الخلق واستشرف للافضال عليهم والاشتغال
بالعلم مانع من الكسب وقبول الشي مما تاباه الهمة العالية ثم اني اتوق الى
طلب الاولاد كما اتوق الى تحقيق التصانيف ليبقى الخلفان نائبين عني

بعد التلف

بعد التلف وفي طلب ذلك ما فيه من شغل القلب المحب للتفرد ثم اني اروم الاستمتاع
بالمستحسنات وفي ذلك امتناع من قلة المال ثم لو حصل فرق جمع الهم وكذلك
اطلب لبدني ما يصلحه من المطاعم والمشارب فانه معود للترف واللطف وفي قلة
المال وكل ذلك جمع بين اضداد فاين انا وما وصفت من حال من كانت همته
طلب الدنيا وانا لا احب ان يخدش شي من الدنيا وجه ديني ولا ان يوثر في
علمي ولا في عملي فوا قلقي من طلب قيام الليل وتحقيق الورع مع اعادة العلم
وشغل القلب بالتصانيف وتحصيل ما يلايم البدن من المطاعم ووا اسفا على ما
يفوتني من المناجاة في الخلوة مع ملاقاة الناس وتعليمهم ويا كدر الورع
مع طلب ما لا بد منه للعائلة غير اني استسلمت لتعذيبي فلعل تهذيبي في
تعذيبي لان علمي ان همتي لطلب المعالي المقربة الى الحق عز وجل وربما كانت
الحيرة في الطلب دليلا الى المقصود وها انا احفظ انفاسي من ان يضيع منها
نفس في غير فائدة فان بلغت همتي مرادها والا فنية المؤمن خير من عمله
فصل لما صدرت هذا الفصل المتقدم رايت اكدار النفس مما لا بد لها في
الطريق منه وهوانه لا بد لها من التلطف فان قاطع مرحلتين في مرحلة خليق ان
يقف وينبغي ان يقطع الطريق باللطف ممكن واذا تعب الراحل نفض
الحادي لعيسها واخذ الراحلة بالجد جد وعوض الساح في طلب الدين صعود
ودوام السير يحسر الابل والمفازة صعبة ومن اراد ان يرى التلطف بالنفس

فلينظر في سير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يتلطف بنفسه ويمازح
ويخالط ويقبل ويمص اللسان ويختار المستحسنات ويستعذب له الما
ويختار الماالبارد والاوفق من المطاعم كلحم الظهر والذراع والحلوا وهذا
كله رفقا بالناقة في طريق السير فامامن جرد عليها السوط يوشك انها
لا يقطع الطريق وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان هذا الدين متين فاوغلوا
فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى واعلم انه ينبغي للعاقل
ان يغالط فيما يكشف للعقل عن عورات فان فكر المسيقط بسوق قبل مشاهدة
المراة الا انه اعتنا وجد يحتوي على قذاره وقول يبلغ الفهم انها منقلبه
في الورق لو اخرجها الانسان وفي قرب الموت ما يجري عليه بعده لنغص عاجل
لذته فلا بد من مغالطة لينتفع الانسان بعيشه كما قال لبيد

اكذب النفس اذا حدثتها ان صدق النفس يزري بالامل

ولكن اذا اعطيته فليكن بقدر ما يعطى الطعام من الملح وقال ابو علي بن الشبل الشعري

واذا هممت فناح نفسك بالمنى • وعدا فخيرات الجنان عدات
واجعل رجاك لياليك جنة • حتى يزول بهمك الاوقات
واستر على الجلاس بثك انما • جلساك الحساد والشمات
ودع التوقع للحوادث انه • للحي من قبل الممات ممات
فالهم ليس له ثبات مثلما • في اهله ما للسرور ثبات

لولا

لولا مغالطة النفوس عقولها • لم تصف للمتيقظين حيات
وقال ايضا بحفظ الجسم تبقى النفس فيه • بقا النار تحفظ بالوعا
فباليأس المحض فلا تمتها • ولا تمدد لها بطول الرجا
وعدها في تداينها رخا • وذكرها الشدايد في الرخا
فبعد صلاحها هذا وهذا • وبالتمكين منفعة الدوا
وقد كان عموم السلف يخضبون الشيب ليلا يرى الانسان منهم ما يكره وان
وان الخضاب لا يعدم النفس علمها بذلك ولكنه نوع مخادعة للنفس وما
زلت نرى الطاهر وانما الفكر مع البكا والغفل مع العاسه ولا بد من مغالطه
تجري ليتم العيش ولو علم العالم مقتضى قصر الامل ما كتب العلم ولا صنفه فافهم
هذا الفصل مع الذي تقدمه فان الاول في مقام العزيمه وهذا في مكان الرخصه
ولا بد للتعب من راحه وباعانة الله عز وجل على قدر صدق الطلب وقوة اللجا
وخلع الحول والقوه وهو الموفق فصل كان العمل بالعلم قديما جد اكله
فقد صار العلم عند جمهور العلما صناعة يعملون منه ما يوافق اغراضهم وتركوا
الباقي فترى العالم في هذا الزمان لا يكاد يكف عن غيبة من عرض نظيره ولا
يبالي من اين يتناول الدنيا ثم نراهم يزدحمون على المراتب فالشاهد يعطى
المال المقبل شهادته لا نهم لحبوا الرتبه ولا علم لهم فاقنعوا بان يقيمها
العوام فيقولون على الباب شهادة حرص اقنعتك فيقول اشهد عليك



حرس الله نعمتك ثم يحمل الشاهد فيشهد على المكرهين وعلى من لا يعرفونه
وهو يعلم ان المعرف قد اخذ منه حصة فعرفه لاجلها فاذا ادى الشهادة عند
الحاكم قال اعرفه بنسبه واسمه معرفة نعت بالجهالة وهو يدري انه كاذب
في هذا وهذا فسق ينافي العدالة فحفظوا جاه الدنيا وضيعوا جاه الاخرة انشدنا

ابو محمد المقرئ شعر • عدموا العلوم فاصبحوا • يتزاحمون على الشهاده •
• في العلم والاسلام مذ • طلبوا الشهاده في شهاده •
• لا تركنن لخطهم • والله ما يسوى مداده •

فان عرف احدهم شيا خطب لوكالة القاضي فلا تسال عما يحكى عنه من اخذ
الرشا والبرطيل فان تقدم السلطان اليهم بما لا يجوز فعلوا وقالوا ما يمكن
الخلاف ولو كان فيهم دين لما يعرضوا لما يوصل الى ذلك واما انطلاق علما
علما عصرنا في الفتوى بالجهل فلا تسال عنهم واذا مات لاحدهم ميت لبس ثياب المصيبة
سنة في احوال مشهورة يغني عرفانها عن شرحها وفيهم من تعاوم لحب الرياسة
الى الموت حتى انه يوصي بالقرب من بعض الائمة وان كان يعلم ان في ذلك هتك حرمة
للموتى وكسر العظامهم واخراجهم عن اماكنهم وهم احق بها للنبش والطامة
الكبرى رؤية هؤلاء انفسهم حين انهم يصلحون لمن الحد الاكابر وقد قيل
لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تدفن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال
لان القى الله عز وجل بكل ذنب احب الي من ان ارى نفسي اهلا لذلك وقال النبي

صلى الله

صلى الله عليه وآله وسلم كسر عظم الميت ككسره حيا ورايت في زماني جماعة اوصوا
بهذا واستخرجوا التواقيع فمنهم ابو محمد المقرئ استخرج توقيعا ان يدفن على
احمد ابو منصور الخياط فلما علمت اجتهدت قلت هذا هذه البدعة عن الفقه
ورايت ابا المعالي بن شافع قد استخرج له توقيع ان يدفن على شيخه ابن عقيل
وكان ممن يفتي فعجبت من فعله ووصى به ابنه ابو الفضل ايضا وخرج له
توقيع ودفن فوق ابيه وحدثني عبد المغيث عن القاضي ابي يعلى ابن الفرا
وكان احد المدرسين المفتين انه سال في مرضه من مضى الى الوزير بن هبيرة
ويستاذن له ان يدفن على ابي الوفا ابن القواس وهو في دكة قبر وهو ودكة حجري
لامي فمضى عبد المغيث واستاذن الوزير فانكر الوزير ذلك وقال ليس يجوز
لنا ان ننبش قبور الصالحين فلم يفعل فعجبت كيف استجاز ذلك الرجل ما
لو استفتي فيه لمنع ومنه وكل ذلك لحب الرياسة فانه غطى على العلم وبلغني عن ابي
الفضل بن شافع انه اوصى فقال لو دفنتموني اربعين سنة في الدار فلا تخرجوني
الا الى دكة قبر احمد ولقد قرات بخط ابن عقيل انه قال لما حضرت ابا سعيد المخرمي
الوفاة غلبت عليه محبة القرب من احمد رضي الله عنه فوصى الى نقيب النقبا
ان يجعل دفنه تحت رجل القبر جهلا منه وغفلة عما في طي ذلك من الحطام من نبش
قبور كرام قد ماتوا وايمة فضلا سبقوا فلما نبش المكان ترب عظامهم وكسر
بعضها بالمسحاة فخرج منها اربع رجل وكان في ذلك من العصيان نبش العلو

ومراحمة اربابها الذين كان لهم حق السبق وكسر عظامهم مع قول النبي صلى
الله عليه وآله وسلم كسر عظم الميت ككسره حيا يعني في الحرمة قال وقد كان قبر ابي
حنيفة تحت سقف عمله بعض امرا التركمان وكان قبل ذلك وانا صبي عليه حجر نشت
وذلك في سنة ثمانين وثلاثين وسبعمائة فلما جاء شرف الملك وكان حنيفيه
متعصبا عزم على احداث قبة فبنى هذه القبة وقد ربطها ابن الوفي من الاجر
وحفر اساس القبة وطلبوا الارض الصلبة فلم يبلغوا اليها الا بعد حفر
سبعة عشر ذراعا في تسعة عشر ذراع فخرج من هذا الحفر عظام الموتى
اربعمائة ضلع ونقل جميعها الى بقعة وحفر لتلك العظام ودفنت قال
ابن عقيل فاخبرني لذلك القيم المتعهد وكان حضر في ذلك الاساس شخص
منتظم العظام له ريح كريح الكافور وتكلم الناس فيه على عادة العوام ولا
ادري اطيبا كان او ريح العفن المشبه بريح الكافور فقلت هذا بنيان
بني على غير تقوى من الله وما يدريكم لعل النعمان خرجت عظامه في جملة
هذه العظام وبقيت القبة فارغة من مقصود بانيها فبلغت كلمتي الى شرف
الملك فانفذ شاكيا مني طالبا مقابلتي فاحضرني الشيخ ابو منصور ابن
يوسف وقال يا سيدي كما تعلم كيف حالنا مع هولاء الاعاجم فقلت يا سيدي
ما رايت منكرا فاحشا فيما ملكت يعرف المدرسة والان فلا اعيد هذه الكلمة
فصل معرفة العبد بربه عز وجل على ضربين معرفة الاصل التوحيد فكل مسلم

يعلم

يعلم ان له خالقا ومعرفة خاصيه لها علامات تزيد وتنقص على مقدار قوة
تلك المعرفة فالخوف من وعيده والرجا لموعوده والتسليم لامره والقيام بفرضه
والازدجار عن نهيه علامات معرفة المسلمين واذا اردت المعرفة كان هو المستعان
في الشدايد فاذا زادت صار انيس في الخلوات فاذا زادت امتنع الانبساط بقوة
الاحتشام حتى ان خلقا من السادات كانوا لا يمدون ادبا وكان الامام
لا يقعد في سمته متربعا فصل كانت الدنيا في نفسها طيبة وان لم تخل
من كدر الا انه كانت الملوك تبسط العدل فكان سببا لعمارة الارض ومن اخراجه
احوال الدنيا بعد ان فان علما الاوائل قالوا اقاليم الارض سبعة فرسمها الهند
فجعلت صفتها كانها حلقة فالاقليم الاول منها هو اقليم بلاد الهند
والاقليم الثاني اقليم بلاد الحجاز والاقليم الثالث اقليم مصر والاقليم الرابع
اقليم بابل وهو اوسط الاقاليم واعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق
الذي هو سر الدنيا وبغداد في وسط هذا الاقليم والاقليم الخامس بلاد
الروم والشام والاقليم السادس الترك والاقليم السابع بلاد الصين فالاقليم
الذي فيه العراق هو صفوة الارض ووسطها والاحق من فيه عسرف وتفسير
ولذلك اعتدلت الوان اهله وامتدت اجسامهم وسلموا من شقرة الروم والصقالبه
ومن سواد الحبش وساير اجناس السودان ومن غلظ الترك ومن جفا
اهل الجبال ومن دمامة اهل الصين ومن جانسهم وكما اعتدل اهل العراق

في الخلق فكذلك لطفوا في الفطنه والادب ولما بنى المنصور بغداد فاحسن
بناها ثم امر ببنا الكرخ وكانت تجري الانهار بجوف بين المحال والدور وكان
اكثرها ياخذ من نهر عيسى وكان ببغداد ستون الف حمام ثم بنى المنصور الرصافه
لولده ومد الجسر واخبرنا عبد الرحمن ابو محمد القزاز قال حدثنا احمد بن علي بن ثابت
قال سمعت ابا علي بن شاذان يقول ادركت ببغداد ثلاثة ثلاثة جسور و
وحدثني هلال بن المحسن قال ذكر انه احصيت الشريات العرسانيه بدجله في
ايام ابي احمد الموفق فكانت ثلاثين الف ما قدر من كسب ملاحيها في كل يوم
سبعون الف درهم وكان ابن عقيل يقول كان بباب الطاق شارع حما
يلي دجله من احد جانبيه قصور على دجله كالطراز ممتد من عقد الجسر
الى اوايل الزاهر وفي جانبه الاخر مساجد ارباب القصور ومساكن غلمانهم وفي
خلال ذلك اصطبلاتهم وكان قصر الوافي عليقه الف مخلاه بين خيل وبغال
في اخر هذا السوق مساكن البنا والرويشا والشوارع والدروب على نهاية
الحسن قال وشاطي الجانب الغربي قصور منتظمه دور ودواليب وبساتين
ورواشن مقابله لامثالها من الجانب الشرقي وبين كل دار حطيبه مسرحه
لرب الدار بالحليه المليحه والرحلشان العجيبه والبط يتلاعب في شريعه
الدار الشاطيه ولربما اختلطت اصوات حايها برميم دواليبها ونعيق
بطها وصحت عمالها ودجله تسيل بين شاطي قصورها الشاطيه بجانبيها

قال ولقد

قال ولقد تركت كثيرا في سماريه منحدرا فلا ازال اسمع رميم الدواليب
من مشرعة الجسر بباب الطاق والى باب المراتب وكانت لدور الشطانوات
الى شوارعها على كل باب حبل مسجد مهيا ه كان بين يدي واشنها حطه
او رمت ولقد راينا اسواق الكرخ وباب الطاق لا يختلط العطارون بارباب
الزهام والروايح المنكره ولا ارباب الانماط بارباب الاسقاط ولا اسواق
البرادين بارباب الدواجن حتى تكمل الاحوال وكان لارباب المروات
دروب تخصهم كدروب الزعفراني بالكرخ لا يسكن فيه من ارباب المهن بل
اهل البر والعطر ودرب سليم بالرصافه مقصور على القضاه والشهود وكبار
التجار والسفن للمصرفات لا يركبها الا ارباب المقاطعات الرجل وغلامه
قال وكنت اسمع من المشايخ ان بدجله خمسه الاف سماريه تصفو من بينه
لا يركبها الا الطراف التجار والاجناد والملاحون بالشاب الجميله وجمعت
الكرخ منازل عجيبه بديعه البنا فسيحه الدور وكان سور الحلاويين
دار كتب فيها اثنى عشر الف مجلد وكان الناس كانهم في دعوه والقرا
والوعاظ واشباب لنزه هذا ما ادركه ابن عقيل وهو من المتاخرين
وقد حدثنا ان بعض وزرا الاعاجم وكان يقال له فخر الملك والكني ابا
غالب دخل بغداد قبل زمن ابن عقيل فقيل له ان عاده البغداديين
في رمضان تفرقه الحلوى فقال اشتروا الناحي بفرق على جندنا فمضوا

الاطراف

الى حلاوي بين سوري الكرخ فقالوا نريد ان تعمل الف خشكنانكة في
كل واحدة منها فقال خذوا فقالوا وعندك هذا قال نعم فاخبروا الوزير
فتعجب وقال قولوا له كم قد تعبت في هذا الصنف فسألوه فقال لا ادري لكن
قد كان عندي للتمام منها كاعد وقد تعبت في استعمالها في الحلوى وحدثني
محمد قال قرأت بخط طاهر النيسابوري ان فخر الملك هذا رفعت اليه سعاية
برجل فوقع عليها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة ولئن كنت اخرجتها مخرج
النصح فخسرانك فيها اكثر من الربح وانا لا ادخل في محظور واسمع قول مهتوك مهتوك
في مستور ولولا انك في خفارة شيبك لقابلتك على جرمك مقابلة تشبه افعالك
وتردع امثالك فاستر على نفسك هذا العيب واتق من يعلم الغيب فان الله للصالح
والطالح بالمرصاد ورأيت بخط شيخنا ابي الحسن الدعواني قال حدثنا غير
واحد انهم احصوا اضوا المبكرين الى الجامع يوم الجمعة ينتظرون صلوة الجمعة
فعدوا نحوا من اربعمائة ضوء وهذه الاشيا يطول ذكرها ويكثر وقد كان ببغداد
من العلما والزهاد من يطول الاخبار عن احواله وقد اشرت الى ذكر سا داتهم
في كتابي المسمى بصفة الصفوة ثم قد كان طلاب العلم والمنفردون بالزهد
يواسون بالمال الغزير تارة من السلطان وتارة من الاخوان بلا من
والا فانما احسن ما كانت الدنيا بسلاطينها وعلمائها وزهادها
وتجارها وقصة علي معروفة مشهورة في انه اعطى رجلا واحدا عشرة

الاف دينار

الاف دينار واتفق انه اشترى شيا بعشرة الاف فانقلب السوق فباعه
بعشرين الفا ورد السلطان عليه ما استقرض فقال الا قليه هو في حل فقال
السلطان نحن اغنياء عن هذا فقال انا اسالكم قبوله لانه ياكل من مالي
قوم صالحون فاذا علموا باني قبلت منكم لم ياكلوا وكان يعطي
ابا الحسن القزويني كل شهر عشرة دنانير وقد كان للناس مثل ابي منصور
ابن يوسف وابن رضوان وابن جرده وغيرهم يتفقدون الفقراء واخص
من ادركناه بين ابن العطار فما كان يخرج سوى الزكوة الا انه كان نعم
بها الخلق كلهم فلقد جاني يوما بثياب وسألني قبولها وكانت قيمتها
ستين دينارا وما زال يقوم بكفايتي الى ان مات فانطبق الدفتر بعده
ورأينا من بخل اهل الزمان بالزكوة الواجبة ما لا يذكر ومن فتور طلاب
العلم ما لا يوصف ومن خساسة همم الطلبة للعلم وقصورها ما لا يصلح ذكره
وفي الجملة انقلب الزمان وانعكس فصارت العمارة خرابا والكرم بخلا
وصار مكان كل خير شر وكل علم جهل وكل سلامة صدر خبث وعم الجهل العلما
والريا الزهاد والخيانة بالا صدقا فعلى الحقيقة قد ماتت الدنيا وزال
طيب العيش بها وفيها ونسخت صورتها ونسخ معناها فانما تطيب للعاقل
فينبغي ان يقع الزهد فيها انفر من يقاله الا كدار ثم لو كانت صافية فانه
قد تغيرت وتكدرت حواسك وضعفت بنيتك واشتعل الراس شيبا فما

بصنع بان معموره من منقوص **فصل** ينبغي للعاقل ان يبالغ في الاحتراز
عن كل ما يحذر وقوعه فهذا هو الحزم الا انه لا ينبغي ان يتطهر المبالغه
في الاحتراز فانه يعود على مراده بالعكس لا يتبين شده الاحتراز على تناول
المحروس ومن امثال العوام في مثل هذا قولهم شده التدبير حمق وقال
بعض الفقها اذا قفل المودع صندوق الوديعه بقفلين كان عليه ضمان
الوديعه وذلك لانه صار بالقفلين كالمنبه على ما في الصندوق من
نفايس الاموال من هذا الجنس عمل العوسج على روس الحيطان
ففي ذلك اغرا لمن يريد التسلق ان يتسلق لانه يقول لولا ان هناك
ما يخاف عليه لم يفعل هذا وقد تنبه بعض الشرط للسارق بان
راه يكثر الدعا على اللص وعلى ما ذكرت فلا ينبغي الاهمال للامور بل يكون
الاحتراز بالغامض غير ان يظهر ذلك وقد بلغني عن بعض الاذكيا انه
دفن شيا فجا فلم يره رحمه الله تعالى ثم حفر بعد ذلك المكان فاخرج
مالا كثيرا وقال خفت ان يكون يراني احد فدفنت المال ثم وضعت فوقه
ترابا ثم تركت يسيرا من المال فكان ظني صحيحا راني شخص فحفر
فوقع بذلك فقال هذا هو **فصل** اعلم ان الاسباب درج ومراق
الى معرفة المسبب وعلى قدر القوه يرتفع المرتقي وعلى حسب ضعفها يقف
فهو في ضرب المثال كما روي في الحديث عدد درج الجنه بعدد اي

القرآن

القرآن يقال للرجل اقرا وارقا فيقرا اية ويصعد درجه الى ان يحرم ما معه
فمن وقف مع الاسباب ولم يعبرها فقد حرم معنى الانسانيه وشابه
الحيوان البهيم في ذلك فان الفضيل لا يرى الا الام فاذا كنت ترى المخلوق
المعطي والحارم وترى الثمره من الشجره فقد شابهت البهايم وهل هلكت
النصارى الا بوقوفها مع صورة عيسى وهل هلكت المجسمون الا بوقوفهم
مع الحس ولو ارتفعت الفكر لأت ان الاجسام مفتقره الى غيرها منفعله
لا فاعله ولو صدقت نمله تمشي على قرطاس بحركة قلم عليه لكان ينبغي لها ان
كان لها ذهن ان تنظر في الصاد فلو قالت للعلم لم صدتني لقال العلم سلي
اليد التي تحركني ولو قالت لليد لقالت سلي الاراده التي تعثني ومن يوفي
الفقها اذا الاسباب لا وان العطا والمنع والضر والنفع من المسبب فلم
يلتفتوا الى التعويل على السبب ولما راى هود عليه السلام ان يد المسبب
اخذه بنواصي الاسباب مدبره لها قال للاسباب فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
اني توكلت على الله ربي وربكم ومن تلمح هذا لم يلم مخلوقا ولم يحمل بالقدر الا
امر الشرع واضاف الامور الى المسبب شاكرا النعمه او شاكيا من ذنوب اوجبت
عقوبته والسلام **فصل** دوام النعم على الادمي ينسيه قدرها
فاذا فقدت عرفها وانما اعني الخلق الى فضول النعم يشكرون عليها ويتحيرون
لفقدها فكانه ليس عليهم نعمه الا الزوايد وهذه غفله عظيمه فالواجب على

الانسان ان ينظر الى اصول النعم فاذا راى صحة الجسد والتمكين من
اجتذاب الطعام واساغته وسهولة اندفاع الاذى وراحة الجسم بالنوم
وارتفاع الالام في اليقظة وحصول الامن ولو لم يكن الا سهولة اجتذاب النسيم
بالنفس لترويح النفس ورده ثم سوق الكفاية من الرزق واعظم الكل
سلامة الاعتقاد فهذه اصول قد نسيت واهل الشكر عليها وكانها تلزم
وتجب وتتعين على المنعم فلا يشكرها وانما ترى الزيادة يعني انها نعمة
وتنسى هذه واسر ما نعرف قدر النوم الا من طرقه الالم بالليل ولا يعرف
قدر العافية الا من حلم به الم فالعجب لمن اصبح سليم البدن معافى من
الالم صحيح الخلقة عنده قوت يومه كيف لا يجد في الشكر فاذا حصل
له شي من النعم الزوايد اجله ذلك فاعجب النعم ان كثيرا من الناس لا ينالون
القوت الا بعد ظلم الناس واخذ ما ليس لهم ثمن رزق حلالا ولم يحوج
الى التعسف في رزقه فانها من اعظم النعم ولقد بلغني ان رجلا جاز على
مجذوم قد اكل طعاما وحصل بين اسنانه منه شي فاقلقه فقال له يا اخي
تقدم الي فخلله بين اسناني ففعل فلما زال عنه المؤذي قال آه بالله عليك
يا اخي هل اديت شكر الخلال ۞ فصل لا اعرف انعم عيشا في الدنيا
من العلماء العاملين بالعلم لان الدنيا كلها قد دلت انه اشيا للغنى والعز
والراحة فهم باليسير قد استغنوا وبالزهد في فضول العيش قد عزوا وبقله

السعي

السعي قد استراحوا طلبوا العلم بالادب ولقاء الاشياخ العقلاء العلماء فكانت
مخالطتهم لهم مخالطة الرياضة فلما حصلوا العلم انفردوا عن السفساف
الذين لا يعرفون اقدارهم وعن السلاطين الذين يبيعون دينهم ومن انقطع
بعد المخالطة صفت افكاره وحلا وطاب عيشه فاما المنقطع عن غير رياضة
وعلم فهو كالبهيمة فهؤلاء عملوا بعلومهم فناطقتهم فامرتهم ونهتهم فهما هم
كتبهم ومحدثهم سير من كان قبلهم وقد كان حملهم العقل والعلم على الزهد
في الفضول وحثهم على الغنى عن الناس فتارة يستغنون بالاكتساب وتارة
بالقناعة بالقليل ليس للسلطان عليهم منة ولا للعامي عليهم سلطنة فهيبتهم
تملأ القلوب وحكمهم على الكل واقلامهم توقع على الشرع ان قويت عزايمهم على التقلل
من المباح فهو راحة وان ضعفت فسحوا لها في المباح فهم الناس في الدنيا والاخرة
ولهم خلقت الدنيا ان الدار الاولى للعبرة والابتلا واظهار الجواهر المودعة
فيهم من الصبر على القضا والرضا بالقدر وترك المحبوبات العاجلة لامتثال
امر المنعم فهو كالاجير عمل به ثم سر نزول الموت به ومن ذلك الوقت ترى
تقدم الاخر زحام الناس على المنابر ورباطهم لتلك القبور وقبور السلاطين
لا يلتفت اليها والنعيم الدايم الذي سيجدونه بالشريعة بعد الموت وما هي
الا غفوة واذا بنافخ الصور قد ايقظ القوم فقاموا وقد هيئت لهم المراكب
ومروا على الصراط كالبرق الخاطف وقيل لهم لم تتوقفوا في امثال الدنيا

فلا يقفوا ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون لا بنسوا العنف الاتباع واشفعوا
فيمن شيتم تبواه وامن الجنة حيث شيتم واردتم كتبت لكم كتاب البقا الدايم
واسجل به خير الواعد لا تغير دوام ليس له انقطاع واعراض ما لها امتناع
ومراحات لا انشرا ولا اتباع حلوا ارسان الهوى فطال ما ردتكم واطلقوا
الاعين فطال ما عضضتم انتم باقون ببقاي وبقاي لا ينقطع قد خلعت
عليكم من خلع قدرتي انكم تقولون للاشيا كوني فيكون هذا والله العيش
في الدنيا والاخرة لا ما والفرط عاجلاً عاقبته وخيمة فيا من باع نفسه
بغير هذا الثمن افسخ عقد الهوى ما دام الخيار فصل قال لي قايل لا افهم
دوام التعذيب للكفار وليس بهم تشفي فاجبته افعال الخالق سبحانه
لا تعلل ولا يطلع على الحكمة في اكثرها فواجب علينا التسليم ولو قدرنا حرام
الاعتراض عليه فانما يعترض على الحكيم من هو احكم منه فيحسن ان يعترض
بفعل هو وهب لنا قال ابن عقيل في هذا اصل السنة ان الله عز وجل على ان يفعل
ما يشا غير انني ان دخلت على جهة المسامحة فقد علل سبحانه وتعالى في ذلك فقال
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وعلمه بذلك جار مجرى ادراكنا بالحواس كفرهم
ولو دام كفرهم حسن دوام تعذيبهم فكذلك اذا كانوا في علمه على الكفر فلتنا
وما يمتنع ان يكونوا وهم في النار على الاعتراض واعتقاد ما لا يحسن فيدوم
العذاب على مقدار ما في البواطن فصل اجد في الناس من هو واسع الصدر

طيب القلب

طيب القلب مع الفقر وضيق اليد لا ينظر الى حاجته الى غد وانا بحمد الله منهم
فاني قد عالجت من الفقر اشيا وقد كنت اصبح وليس عندي قوت يومي ولا اعرف
له وجها وانا طيب القلب ساكن النفس وكم من يوم اصبحت لا املك حبة
وثم زوجة واولاد ومن يتعلق في جماعه وقلبي طيب كاني املك الف دينار
فما انزعج قلبي بالفقر ولا خطر الي جماعه لو مت وبقي اولادي فقرا بل اقول اذا
خطر هذا قد مات لي وعاينت الفقر وانصرف لزمان على خير حال بمن
عنا وقناعه فان اراد ان يصلح اولادي وبدبر امرهم كما دبر امري فعل والا
فكم ممن خلف مالا كثيرا لاولاده فلم ينفعهم وهو يتولى الصالحين
ثم اني كثيرا ما رايت من يكون معه الدينار والماية وهو في قلق واكون
انا لا حبة معي وانا في غنى واذا قدر لي دينار انفقته في يومين او ثلاثة
ولم انظر الى ما بعد ذلك واذا حصلت معي حبة فكانني قد ضاهيت الاغنيا
بانشراح صدري وطيب قلبي ورايت في الناس من يقرب في هذه
الحال ورايت بالعكس من يكون معه وله وهو ضيق العطن قلق النفس
كثير الهم فتاملت السبب في طيب القلب فرايته يتنوع الى ثلاثة اقسام
فتارة يكون من سعة الصدر خلقة ووضعا وتارة يكون من ثقة العبد
بالله عز وجل وانه الرازق وتارة يكون من شعور النفس بسعادة معدة
لها وغنى مدخر لها والنفوس الشريفة تشعر الامر قبل كونه فكانها تطلع

على عاقبتها والغالب في العادات ان سعة الصدور وطيب القلب حال خير
وان كسوف البال وضيق الصدر حال شر وعلى عكس هذه الاسباب ضيق الصدر
وضيق العطن وانقباض الاحوال الحاسل النفس ببلوغ الامال فكانها تعلم العواقب
بالاحسان **فصل** لما كانت حوادث الاقدار تظهر عن القدرة نبه الخلق
عليها عند وجودها فالعصى عند الالقاء صارت ثعبانا وكان الالقاء سراي
انظروا وضرب الميت ببعض البقرة عاش عنده وعند ركض رجل ايوب
نبعت عين الماء وعند ضرب البحر انفلق وعند نفخة الصور عاش
الموتى فالمراد من ذلك تنبيه الخلايق على انها بفعله لا ان لهذه
الاشيا اثر في الفعل **فصل** عن المزهدين اقوام يدعون
انهم لا يحبون الدنيا ولا وقع لها عندهم وهذا ولا ابعد
احدهم من حالين اما ان يكون كذابا في الدعوا وربما ادعى
عدم العدم فاذا لاحت له الدنيا بان كذبه في دعواه وان
يكون مريضا منحرف المزاج كالعنين في باب النكاح الا انه
قد بلغنا عن ابراهيم ابن ادهم الله قال ما رايي او حرى على ترك
الشهوات لاني لا اشتهيها وهذا محمول على احد امرين اما
ان يكون لشدة خوفه وقوة رغبته في الاخرة قد انحرف مزاجه
قال العكلي لا يشتهي الطعام ومن توعد بالقتل ربما بقي يومين

لاياكل

لا ياكل فمثل ذلك الصادق الايق بشدة الخوف التي حرفت مزاجه وان يكون
يخاف عواقب الشهوات فهو يشتهيها طبعا ولا يشتهيها حذرا احذر من ان يقدح
في منزلته او تحطه عند ربه فاما من لم يبلغ مرتبة ابن ادهم واذا انقر في ادق
طي فهو الى الدعوى اقرب فان الله تعالى خلق الخلق على تركيب يخالف هذه الدعوى وانما
يتوق العباد في العبادة الى ما يشتهون في الدنيا وهؤلا المدعين من يقول لو عرضت
لي الجنة ما اعرتها الطرف ولو انه لوحت له سوداء التغير في الحال نعوذ بالله
من دعوى يكذب صاحبها سريعا **فصل** ارباب الريا والنفاق ينكسفون ن
وان تغطوا عن قرب فيذمون واهل الاخلاص وان ستروا اعمالهم ظهرت
لا عن اختيارهم ومدحوا اكثر من متصنع بالغ فانكشف وضاع ما عمل ولعمر
هذه الحالة طريقة العرب وهو ان العرب كانوا يجودون ويطلبون ان طبعنا
الكرم غير انهم ما ارادوا بجودهم الكرم بل المدح على الكرم فانكشفوا بالقران
والحديث اما القران فقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وهذا اخراج
لدفاين بخلهم وفسر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية بقوله ولا تقتل
خشية ان ياكل معك وقال عليه السلام لعدي بن حاتم ان اباك اراد امرا يعني
الذكر بالجود ويدل على بخلهم ان الزكوة مواساة الفقرا فلما مات الرسول
صلى الله عليه وسلم ارتدوا ومنعوا الزكوة هذه صفة العام فان ندر من صنعه
الكرم لا لينكر فقليل نادر وقل ان نفع ذلك الا فيمن طلب الاجر بفعله

من ربه عز وجل كما فعل موسى فسقى لهما ولم يطلب منهما بل من ربه فقال
اني لما انزلت الي من خير فقير فصل اعلم ان الله عز وجل خلق
الخلق على ثلاثة اقسام فينبغي لك ان تتلمح بنفسك من اي قبيل
انت ولاي معنى خلقت فان الله عز وجل خلق اقواما فرباهم من الطفولة
بالتاديب الالهي والتعليم الالهامي واكثرهم سلب اباه حتى انفرد بتربيته
بلا سبب فهو يصونه ويكفيه ويهذبه ويهب له الاحوال ثم هولاء بين ملهم طريق
العلم وبين منقطع الى باب الزهد فلا تعرف لهم صبوة ولو وقعت كانت
خفيه مغفوره وان الله تعالى خلق اخرين فتركهم ترك المهمل فالهوى
يلعب بهم من زمن الطفولة والجهل قد استحوذ عليهم الى وقت الموت
فالقسم الاول صحاة ما سكروا قط وهذا القسم سكارى ما افاقوا قط
والقسم الثالث قوم ابتدا زمانهم بالصحو والجد اما بالعلم او بالزهد ثم
ختم لهم بالشر وهذا الهلاك الذي لا دواء له ومن هولاء من لم يبتدئ زمانه
بالشر ثم انتبه وختم له بالخير فينبغي لمن راى ما سبق له من الخطا ان ينتبه في وقت
الانتباه واقرب الخلاف ان قوة الشهوة وقوة الغضب قد ضعفا وكانا للتقوى
كالعدوين ومن العمر ضعف الاعدا والجهة الثانية ان زمان الكهولة زمان
اعتدال فيه يقع كمال الشيء وتمام العقل وصحة النظر فان الصبي زمان
جنون وغفلة والكبر زمان فني وضعف الشي والجهة الثالثة ان زمن الكهولة

يمكن فيه الجمع

يمكن فيه الجمع بين الندم على الذنوب والاستدراك للفارط بخلاف زمن
الشيخوخة فانه ان حصل فيه الندم لم يمكن التدارك والتدارك على ضربين
فعل الطاعات وترك المشتهيات والشيخ لا يمكنه الاستكثار من الطاعات
ولا يكون تاركا للمشتهيات بل المشتهيات قد تركته لموضع عجزه فالجد
الجد عند بيان التدبر فما هو الا زمان لدي في القابل الشيب في العمر الا انقة
لي ولا مهل فصل يا مخالفين احذروا من العقوبات فانها بالمرصاد
تارة يتقدم فتعاجل وتارة تتاخر وتارة تعرف وتارة لا تعرف وتارة تعم
وتارة تخص من عقوباته الكلية تغريق قوم نوح بالطوفان ولله طوفان
خفي وهو احسن ان يحبس الدما في الابدان والرطوبات تصفي على حرارتها
من العروق فتورث الاستسقا والورم ومن العقوبات الكلية ريح عاد
ومن الجزئية حبس الرياح في البدن فلا ينفذ فيقع بها الهلاك سلط عليك
الزكام فيجري من انفك كالمطر وسقي من نابتة في صدرك كالوحل بمدرك الحرارة
واليبس كما يقع على الارض بالجدب بامر العروق فتضرب او الضوارب فتسكن او
يوقع بين الاخلاط المتعادلة فيجوز بعضها ويغلب بعضها فاذا انت من تاثير ذلك
اليابس صريع يرميك بعلة تسمى الجذام فيتدرك الناس والاهل يحبس النور عن العين
بعارض فاذا البصر قد ذهب سلط افة على السمع فاذا بالصمم قد نزل حبس البول
او رخى المثانة بضرب بالقولنج او بالاسهال يفسد الدماغ فيذهب الذهن ويبطل العقل

فيقع في الفضيحة بين الخلق فيصب على قلبك الغم كما تسلط الكسوف على الشمس يعاقب
بفقد الولد الحبيب بتلف المال فيحوج الى الناس بمحق البضاعة بتقلب الاسعار فلا يعود
راس المال ويذهبه بانفاده الى العطارين في شرى حشائش مرة والى الاطبا في نبع
العروق فيبكي على ضياعه وينسى اكتساب المال من الحرام بضرب قارئ القران بالنسيان
فينسى ما حفظ بمنع قيام الليل بنحو الكسل بسلب عارفه حلاوة مناجاته بفتح
باب الدنيا على العاقل ويوسع له مدخل الحرص في اخر العمر فيستلبه على اقبح حال فلو
رايته يمنع نفسه شهواتها حبا لجمع المال ويكتسب من كل رذيله فاذا بطارق
الموت قد نقل ماله بوصف الميراث وابقى عليه في دستور كسبه الحساب والله لقد
راينا من افنى عمره في العلم والجد فلما قاربت سفينة عمره الساحل اثر المعاصي
القباح وضرب على اذنه حتى اخذ على اسمج حال آه لمركب لما وصل الشاطي غرق
واحسرة مطعم بالمراد ختم ومن عقوباته ان يقعدك عن نهضاتك في مرادك
فيسلبك نعمة التصرف وكل هذه العقوبات تعالان لا مثالها من الذنوب
فاذا قلت اي هذا قيل لك هو من عند نفسك تذكر وقد تقاعدت عن امتثال
امره وجنحت الى ركوب نهيه وبخلت عليه ببعض ما وهب لك ثم ان ضم الى تعوذك
تضجر الاهل منك وتسخطهم طول تعللك ثم ان صرح لك بذلك مثل ان تسمعهم يقولون
ما اطول عمرك اراحنا الله منك فيا له من سهم لا يخطي صميم الفواد واستقل
الذنوب التي توجبها فان صدقت لطف الحق بك ولم يسلط مثل هذه الامراض

اوان تسلطها

مطلب طريق البكاء

اوان تسلطها عطف القلوب عليك فرفقت بك والله ما اعرف طريقا للسلامة
الا صدق التوبة والاستدراك وعمل البكا والاستغاثة كما كان الحسن البصري
فانه كان يبكي ليلا ونهارا ويقول يوشك ان يكون اطلع على بعض ذنوبي فقال
اذهب لا غفرت لك وكان يقول والله ما حالتي الا كحالة من كسر به مركبه
فبقي في وسط البحر على ساحة فلا يدري اينجو ام لا وحالتي اشد فقد اقواما
ما كانوا يغسلون اثار الذنوب بدموع الاحزان ليلا ونهارا وهم يشكون
في النظافة وكيف لا يبكي من قد سقى الذنوب وما عرف اثر القبول شعر

ما تم المذنبين ما يتقضى * اخر الدهر او يحلوا المحودا *

فصل حججت الى بيت الله الحرام فدخل الى قلبي من هيبة المكان ما لو لم
لمزجه الانس به ما طاب عيشي فكنت تارة انظر اليه بعين النسبة فيشتد
تعظيمي له وتارة بعين لطف مالكه فانس بالبيت انس العبد سيده فرايت من
قلة احترام ساكني البلد عجايب وما ذاك الا انني انا رايته بعين النسبة
وراوه بعين المادة فهم يرون الحجارة وانا ارى الاضافة وهذه كانت محنة ابليس
فانه نظر الى المادة ونسي الاختصاص والامر فسبحان من اسكن حرمه مثل اولئك
حتى اخذ بعضهم المكس عن رؤس الحجاج وما قلقت لشي قط قلقي من فعلهم ذلك
وكان معنا شيخ يعد اذى من التجار فيتولى لهم اخذ المكس فهجرته ورايت خلقا
لم يعيروا عليه فهم يواكلونه ويشاربونه فعلمت انه لا ايمان بما رد في قلوبهم

من عبيد مكة من استلاب الاموال وقلة الاحترام بالمكان ما ان عجبي ومن
عجايب ما رايت انهم كانوا يمشون بين يدي الخطيب يوم الجمعة بنعلاع بضرب
على غفلة برع المكان والناس فانكرت هذا فقالوا هذا شعارهم فقلت بيس
الشعار هذا فكان عجب احترامه عن رفع الاصوات والاذان يكفي ولقد بلغني عن
ابن عقيل انه قال حكى لي امير الجيوش الخادم انه دخل مكة في سنة عشر وخمسماية
على وجه القهر لاهل مكة بخفق البنود وضرب الكوسات متبجحا بذلك نظر الى
اذلال السودان واميرهم ذاهلا بذلك عن حرمة المكان قال فسمعت هذا منه
متعجبا وشهد قلبي بانه اخر امره فلم يعد اليها وعوقب فاستوصل الجهلة بحرمة
المكان فان ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفت فقالوا خلات القصوى
فقال بل حبسها حابس الفيل كل ذلك لتعظيم الحرم قال ودخل ابو عمران المغربي
الى حرم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فاذا ابن الجوهري الواعظ يعظ
ويرفع صوته فصاح عليه لا ترفع صوتك فان التادب للرسول لازم وكانه
حاضر **فصل** عرضت لي يوما مناجاة في خلوة فقلت الهي وسيدي وجري
وذخيرتي كلما نظرت الى ذنوبي السالفة غمضت عيني حيا وكلما رايتك لا تستعملني
فيما استعملت به الصالحين فاريت الناس بما اومل فيك وكلما رايت العمر سعفني
في اعمل مرضي حدثت نفسي بانك لا ترضيني ولا تلتفت الي ثم اعود فاذكر
اصطناعك وتربيتك اياي حين افقدتني ابي وانا طفل لا اعقل فوليت تربيتي

في غير عمل

بينما

بينما الهمتني طلب العلم في زمن الصبوة فصار احب الي من كل محبوب وميزتني
على جميع اهلي بما اودعتني من العلم والفهم وادبتني من زمن الطفولة فما اذكر اني
لعبت مع صبي ولا صبوت الى زمان تصبيح الاطفال مات ابي ولم يخلف لي كثير
شي فكلفتني بلا منة مخلوق وما بغاني في كسب والهمتني اتباع اهل السنة
دون المبتدعين وادبتني من حين الصبي فكنت في وقار الشيوخ وحببت
الي من فنون الطرق طريق العلما والزهاد فما انفرد بالعلم عن حب الزهد
ولا بالزهد عن طلب العلم حتى قومت سلوكي برياضة العلم عن النهج الاقوم
اقمتني ادل الناس عليك وارشد الصالحين اليك ووقعت في القلوب محبة
ما احترموني لاجله وصدقوا حديثي فدللت اليك خلقا لا احصيهم واسلم على
يدي جماعة لا احفظ عددهم ونشرت ذكري في البلاد فبلغتني العلم ما لم
ابلغه من العلم فالان لما كبر كبرت سني جاني ابليس يوسني من فضلك ويوحش
ما بيني وبينك ويقول اعدا منك في سكرات الموت ثم يلقيك الى البلا وما
يدري ما يصنع بك بعد ذلك وانا احيبه بما امالكه ان لا تكذبني فيما عدت الي
في الاول اترى يفصح ام هلاكي والله لقد قطعني اربا اربا الرايته ما كان حكيها
اني لا ارجو لطفك بي عند الموت وارجو احتى بعد الموت وارجو منه كل خير يوم
اللقا اقباله علي في الاول عنوان ما ارجوه في الاخير ما لي ومال المدبر وفي
اسلافه اياي وجعي في تربيته لدان يدحس لي لحاده وان نقص جسمي شاده

ثم ما للعبيد وما للسادة استوحش من طريق فيها الانبيا والاوليا
والعباد والزهاد اذا شا طيب الموت لصعب واني اراد رفع الكرب هو يعلم اني
لا اجوا لذلك المصرع سواه لا كنت يوم اعترض عليه ولا عنت اذا لم وقف
بين يديه وعدمت عقلي اذا لم اسر وقت الحاجة اليه والله ما هي الا ومن يسيره
ثم ارجوا في الاشباه الخيرات لعزيزه كاني والله بالقبور قد شققت وبامالي
في فضله وقد تحققت ودليلي قوله انا عند ظن عبدي بي وعزته ما ظن
علوا امالي بفضله ثم لا سلي ثم اقدر انه ادخلني النار فقلبي والله بادر عنه
لعلي اني مستحق ولبي والله دعوى ابي سليمن الداراني حين قال وعزتك
لان ادخلتني النار لاخبرن اهلها اني كنت احبك انا والله اقول لهم وعزته
وجلاله لو جمع عذابكم على جسدي لعلمت انه بعض حقي فاني اعرف الخلاق
بذنبي لكني اساله ان عافيني صبرا احملني فاستعيذ بالله من جزع يسخطني
واني لا اجوا ان جعلني من اهل النار ان يرافق بيني وبين العامل بالاحسان ما منا
لان في ذلك نعمة معرفة وعندي جمرة معرفة فان غلبت عن ذكره في النار
فحي وان لعظت بذكره وصبرة على عذابه من فضله **فصل** رايت
هم الناس متفقا وترجدا فقوم لاهم لهم سوا الدنيا ولذاتها فهم خلفها
حلفها الى الموت وهمة احدهم ما ياكل وينكح ويلبس ويجمع فاذا اخلق
هواه وكبر سنه قعد يتاسف على ما كان فيقول اذكر وقد فعلت كذا واكلت

كذا وجمع

كذا وجمع كذا وليس عنده من الاخرة ولا من ذكر الموت خبر وللك
الذين طبع الله على قلوبهم وقوم مالت بهم هممهم الى التزهد في الدنيا فراوا ذلك
هو المقصود ولو وغلوا في العلم لفهموا المراد وهو لا مع قلة علمهم على خطر
عظيم وهم الى الهلاك اقرب فمنهم من يمنع نفسه حقها اللازم فيجيعها ويعريها
ويحمل عليها التي لا يحل له ان يحملها عليها ويطان تنا ول تفاحة ينقص ميزانه
وان النكاح شغله وان لقا الناس يوذيه فينفرد كالوحشي وربما عرض له
ابليس فاحسن الكرامات هلك وربما راه الناس فتبركوا به فحرب سبيله
في مرة فراى انه قد بلغ الى مقام الولاية فاقام لنفسه الناموس ولم يخرج
ولم يدخل واستعمل الصمت والوقار لتعظيم منزلته ولقد رايت من لم تزهدين
من لا يخرج من المسجد ليلا ونهارا وقد قويت نفسه بان ذلك قد شاع في الدنيا
وكل من يريد ان يتطوع ياتي اليه وقد كان صالح السلف لا يفعلون هذا
فكان عامر بن عبد قيس لا يتنفل في مسجد قط وقال سفين الثوري
لصاحبه ما اجراك تصلي والناس يرونك ومن الناس من علت همته فطلب
العلم فمنهم من اقتصر على فن وشاغل به ففاته الفنون المطلوبة وفاته
المراد من العلم كله ومنهم من علت همته فاوغل في الفنون وهذا الذي قصد
الكلام معه في هذا الفصل فانا اوصيه واحذره لان علو همته سلكت
الغاية من كل علم وهذا لا يحتمله العمر فينبغي له ان ياخذ من كل علم مهمه ويقتطف

خالصهم بعمر الى العلم الاخر قبل ان يفرغ من تيار ذلك العلم فان المقصود
قطع دجلة لا نفس السباحة كما قال الشعبي العلم اكثر من ان يحصى فخذوا من
كل شي احسنه ولو ان العمر يحتمل ما حذرت من هذا فان العلم كله مطلوب
غير انه لو اوغل مثلا في علوم الحديث مضى العمر جات الشيوخ وهو لا يعرف الفقه وكذلك
باقي العلوم فينبغي للعالم ان يقطف المهم من كل شي فاذا حصل له مقصوده من العلوم علم
ان المراد من العلم صلاح اخلاق النفس به ثم نشره وتصنيفه وهداية الخلق
فاذا صحت نيته في ذلك كان من علم وعمل وعلّم فذاك يدعى عظيما في ملكوت السما
وكم رايناه من واقف مع صورة العلم لم يكشف له المراد منه من معاملة
الحق ونحن نسال الله رتبة الكمال في العلم والعمل وان يجعله دليلنا
عليه واليه لنجتني ثمرته انه قادر كريم قريب فصل ما رايت اسهل على خلق
كثير من تضييع العمر الذي هو انفس موجود الانفس قال الحسن البصري يا
ابن ادم انما انت ايام اذا مضى يومك مضى بعضك وقد رايت اكثر العوام
فكلهم يضيعون زمانهم الفارغ من انفاق في حاجة فيها الا قابل فيه
وربما كان فيه تحلب اثما فاذا فرغوا لعبوا بالشطرنج او بالنرد او قعدوا
عند المتعبد والمحدث او على الطريق يتفرجون وينظرون الى من يمر من
النسا ويقطعون طول الليالي في الاحاديث الفارغة والاراجيف وغيرها
ثم نظرت فاذا كثير من العلما او كلهم يضيع الزمان الشريف في فنون اخر

فمنهم

فمنهم من يتصدر ويحب التردد اليه والعنالة بالايام الشريفة ويقول
فلان ما يزورنا فلان ما زاره فاذا اجتمع عنده الناس تحدثوا بتضييع
الزمان وعتاب هو لكثرة المعارف الى مراعاة حقوقهم وحصول انهم وامورهم
وما هذه افعال من يعرف شرف العمر ولا مقداره وانما العالم بالله سبحانه هو
الذي يعرف شرف العمر فلا ينفق منه لحظة الا في طاعته ويتحامى ان يضيع
عليه الزمان ولهذا هرب خلق كثير الى العزلة حفظا للوقت وخوفا من حقوق
المخالطة فالحذر الحذر من مجالسة الخلق خصوصا من هو في غير الجنس فانه
ان سار به الانسان معه مشى على غير الجادة وان سار به في جادة العلم
ابى ونسبه الى سوء الخلق والمعاشرة واقل ما تنتج المخالطة سماع الغيبة
فاولى ما فعل العاقل الانفراد والعزلة عما يؤذي وجاهد في ساعات المخالطة نظر
مع تقليله لها جهده فان جواهر الانفاس لا قيمة لها ولا هي شي عنه عوض
فصل من العجايب خلق كثير لا ينظرون لماذا خلقوا ولا ما المراد منهم و
يتفكرون في ان لهم حالا يقرون تقليدا ولو عارضهم شبهة نكروا
فهو لا في عداد البهايم ثم ينشو احدهم همه ما ياكله ويحصله ويجمعه ويلبسه
وينكحه ولا يدري على الحقيقة من الخالق ولا يهتم بمعرفة الصلوة ويعيش
ستين سنة ولا يعرف فيها ركن وهيبة ولا يهمه معرفة ذلك ولا يزعجه الشيب
الا ان يبكيه على فقد اللذات ولا يغيره استلاب الاقران ولا يعظه خراب الديار

وغاية مراده نيل شهواته كيف اتفقت فالعجب كيف يسمى هولا عقلا وابن العقل منهم وينبغي للعاقل ان يعلم ان المراد كله من الايجاد معرفة الموحد وطاعته وانما لم يكن بد من التسبب للمعاش ينادي بالرجل فاذا نزل القبر لم يسال عن ماله ولا عن ولده بل يسال عن المقصود بوجوده فيقال من ربك وما دينك ومن نبيك فوا عجبا للذي عقل ما نفعه والذي سمع ما افاده اخرج من الطين وعاد الى المطبع خرفا فلا هو عرف الناظم ولا فهم عظمة المفرق فكيف يعرف قدرة الجامع بعد ذلك هيهات ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا.

فصل ما زلت احسن الظن بالمسلمين واثق الى كل احد حتى بدت التجارب وقضى العقل بالخطا في ذلك وقال الحزم انما ينبغي ان يحسن الظن بمن ظاهره الخير وظن انه لا يخالف ذلك في الباطن فاما من امارات القبائح عليه في الظاهر فبعيد سلامة باطنه وحسن الظن بهذا بخس لحق العقل اذ الظاهر عنوان الباطن فينبغي في هذا الزمان المرذول الذي قد ظهرت فيه على اكثر افعال القبيحة وعلى المتزهدين تصنعا لا يخفى على ذي بصيرة ان لا يوثق بمعامل ولا بصديق ولا يحسن ظن الا ان يكون ظاهر امره يشهد بصلاحه فكن مع حسن الظن بذلك الشخص على حذر وقد قال الحكما

لا تحقرن سليما جر مبرمه ● واحذر مقالة مغضي على القصا ●

والله لقد رايت من الناس عجايب ما تقتضي حسن ظن فهم فالخيانة في

المعامل

المعامل والغش في الصديق وعدم الوفا في المعاشرة والتعمل في الزهد والدرس البارد في العالم وما بقي لي من اقتدي به ولا حسن ظني فيه الا اهل القبور من السلف الصالح الذين عرفت بالمنقول الصحيح سلامة باطنهم وحسن ظاهرهم فيهم ينبغي ان نقتدي ولمثلهم يتبع ونعوذ بالله من شر هذا الزمان المرذول الذي زهاده ذياب وعلماؤه ذياب.

فصل اذا دهى العطش تلمح السبب ونظر الى الحال فوا عجبا لك وانت تدعي الفطنة فترى اختلال امورك ولا تنظر في سبب اختلالها تالله ما اختلت الامور قبل تفريطك في حق الخالق واذ لو استقمت استقامت اما سمعته يقول في حق زكريا عليه السلام واصلحنا له زوجه او عقوقا من ولد او محنة من جهة من الجهات فاعلم ذلك من جهة معصيتك ومخالفتك فبادر الى الانابة وحقق فانه ان غفل عنك رايت كلما افسدته الزلل ما تاملت ادم كيف جرت عليه البكا الدايم والعنا الطويل اما علمت ان نوحا كله ان ابني من اهلي فعوتب عليها اني اعظك ان تكون من الجاهلين فبكا ثلثماية عام اما سمعت بابي داود حتى جناية لا يحسن في حق مثله فجرى عليك ما قد بلغك وكذلك سليمن وغيرهم وبالعكس صبر يوسف عن هواه مراعاة للعواقب كيف جلب له المدحة واثمر له الملك فيا اعمى البصيرة لو كانت لك عين تتلمح بها عواقب الامور وقدم تسلك اقوم المناهج لما رايت تغيرا قط لكنك تضج من الم الجراح وانت بالسيف تسفك دمك وتستغيث من الم الخناق وانت

توثق بالحبل صفتك اخشب لنفسك انتباه منزعج قد حي لعلك تستدرك فارط
امرك **فصل** في معاشرة الزوجة والولد اعلم ان الملح في الامور ان يكون
لاصل الوضع والمواضع النكاح لاتخاذ الولد وركبت الشهوة داعيا ثم
فاذا كانت الزوجة غير مشتهاة فترت الشهوة فيقل الما الذي يخلق منه الولد
فانه ذلك في الواطي وفي الولد فاما تاثيره في الواطي فمن وجهين احدهما ان
نكاح المبغوض فيه خصيصة توذي الجامع الثاني انه لا يخرج الما المحتقن فيبقى
منه ما يوذي ببقاوه وكانه اكل ما شبع وشارب ما روى واما تاثيره في الولد
فان الما اذا قل ضعف ولما كان عموم الناس لا يمكنهم الجمع بين الزوجات
ولا كثرة السراري بحيث انه اذا افترت الهمة عن واحده مالت الى الاخرى ولم
يكن لهم سوى واحدة كان من الصواب تعليم ما به طيب ليتم المسكن
ويحصل قناعة النفس ومرادها وذلك اما ان يكون في الاول بتخير المراه
والنظر في حسنها وفي الثاني تصنعها وتحسنها وفي الثالث تجنبها ما يشين
ولما كانت كثرة المخالطة توجب رويه القبايح كان الاولى تجنب ما هو سبب
في الاذى خصوصا في حق ذي الانفه والهمة فان في الناس لبنا لا يزعجهم
رويه القبيح ولا يوثر فيهم وانما الكلام مع العقلا وذوي الانفس العزيزة
فينبغي ان لا يكون يضاجع الرجل المراه الا في وقت ما فانه يكون
في طول اليوم ما يوجب النفور ولتكن قريبا منه على فراش منفرد فاذا

يقرب اليها

يقرب اليها وليكن قربه في اوقات معلومة عندها لتتهيا بذلك وينبغي لها
ان لا يشعره ساعة اكلها وشربها ووطيها رقتها وان لا تبصق وهو يرى ولا
تمخط ولا تريه فرجها اصلا ولا معايبها ولا تخلي نفسها من الطيب وقتا ما ولتراع
جميع بدنها خصوصا المغابن ومواضع العرق واخصها الفم لانه محل
التقبيل ولتتعاهد نفسها مهما امكن وكما ينبغي ان يراعي بدنها فلتراع ادبها
وحسن عشرتها له فانها اذا كانت له كالامة كان لها كالعبد ومن ادبها قناعتها
باليسير وترك الانبساط في طلب شي وخفض صوتها له وقيامها في حال قعوده
وترك خلافه واصلاح ماله فذلك يرفع قدرها ولا تبعد عنه فينساها ولا
تكثر مضاجعته فيملها بل بمقدار في وقت مخصوص فيكون كل منهما كالعرس
وكما امرناها نامره ايضا ان يتزين لها فان بعض الادمي ليس بمستحسن
خصوصا الرجل فلا يكشف راسه وهي تراه جملة ولا يريها عورته ولا يتعرى
فان رويه بدن الرجل يرد عنه النفس الاستمتاع قالت عائشة رضي الله عنها
قدم زيد بن حارثة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فقرع الباب
فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عريانا يجر ثوبه والله ما رايته
عريانا قبله ولا بعده ولا ينبغي ان يبصق وهي تراه وليكن له مكان يتنخع
به ولا يحضر عندها الا في وقت كماله وتمامه وليراع نظافته وطيبه فيه
وقد قال ابن عباس اني لاحب ان اتزين للمراه كما احب ان تتزين لي وبحسن

ادبه كما امرنا ها هنا للادب ولا ينبغي لاحد الزوجين ان يذكر للاخر ما
يعيبه به مثل ان تقول المراة للرجل قد كبرت او يقول لها قد كبرت او في جسمك
عيب فهذه الاشيا توجب في القلوب البغضه فان النفس تحب من يمدحها
وتبغض من يذمها وان كان صادقا فينبغي ان يغطي كل منهما عن عيب الاخر
ويريه انه ما يدري بذلك العيب وان امكن ان يقول ان ذلك يعجبني كما روي
عن ام سلمة بنت الفزاريه انها لما تزوجها عثمان وادخلت عليه قال لها ان
ورا ما ترين من الشيب علا فيه من شباب قالت ان اعجب الرجال الي الكهل الوقور
فهذه امراة عاقله وان كانت في القلب غير هذه افهذه المذكوره انموذج ما الاشباع
اغفلناه ويلايم المعاشره ويطيب المؤانسه فاما اذا كان الرجل مهملا
لنفسه او كانت المراة مهملة لنفسها فيا قرب وقوع الملل وتنغيص العيش
وانما تتوق نفس الرجل والمراة الى الاستبدال لان النفس تتخايل في الشخص
الذي لم تخالطه حسنا وجمالا ليس عنده فلو قد خالطته علمت انه كالاول
فهذا فصل مفيد يقبح على العاقل ما لم يذكر على انه اذا وهب للمراة عقل
دبرت نفسها واذا كانت رعنا لم ينفعها التقويم وكذلك الرجل

فصل

من اعظم النعم على المستيقظ عقل يلذع به ما يكون سببا في جنايه
ويستعين بها على التكاليف فان المتيقظ اذا قوي تفضله شاهد الحقايق
فكانه يرى المعبود فيتلاشى صفاته ويخرج من حد الثبات ولما انكشفت

الحقيقة

الحقيقة لعين الحس الى الارض فخر موسى صعقا ونبينا يغط ويتحدر عرقه
ولما علي الحق للخليل فقيل له الك حاجة فقال اما اليك فلا وهو يقول
فكيف وبي جميعا وبعض الستر انكشفت للسحرة فقالوا فاقض ما انت قاض
وروئيت الالطاف انطقت يعقوب ولا تياسوا من روح الله فلما كان الا
دمي لا يحتمل هذا الكشوف فاعطيت عند اكثر الاحوال حتى قدر على الاكل
والشرب والنكاح فتم نظام الدنيا وصح البقا فيها وهذه الغفلة النافعه
ما كانت بمقدار تعدل بها اليقظة فهي كالملح في العجين فاذا زادت
ضرت على ان المتيقظ لو نسبناه الى الغفلة كيف نسبت فلابد من غفلة
المتيقظ لها الا انه يعدل حتى كما ان العاشق يسلي نفسه وفي القلب ما في
من لوعة الهوى ومن هنا قيل لو رايتموهم لقلتم مجانين وويل الشجي من
الخلي ومن هذا الجنس لو يسمعون كما سمعت حديثها ومثال هذا رجل شديد
الطمع واخر قوي الزهد فالزاهد يعجبه اخلاق الطامع حديثه في الطمع
والطامع يتعجب من شدة تماسك الزاهد ويظن انه يحمل عنا ثقيلا في صبره
وليس كذلك بل يرى ان الزهد كاللازم من الطهارة فالتفاوت بينهما
كما قال الشيخ • ومنزلة السفيه من الفقيه • كمنزلة الفقيه من السفيه •
فهذا زاهد في قرب هذا • وهذا فيه ازهد منه فيه •

فصل

اكثر الناس قد نسوا العبادة بصورتها الوا

من الحسد كالصوم والصلوة وشاعدهم على ذلك العادة حتى ان الصايم
في رمضان لو ضرب بالسياط ما افطر وهو يغتاب الناس وياخذ اموالهم
ويظلمهم ويفعل كل قبيح وما ذاك الا انسه بالعادة في التعبد وربما
كان افطاره غصبا وفيهم من يخرج عن محض المصانع فيظلم الناس
ثم يتصدق بالبعض ويسمع ليلة الجمعة من شرب الخمر فاذا راه اخاه
او ابنه يشرب الخمر لا يهجره ولا يزجره وكل هذه الافعال بعيده من
الايمان يدل على ان القوم ما عندهم من الايمان الا العادة والا فاين
تحقيق التصديق الذي ثمرته اجتناب النواهي وامتثال الاوامر والرضا
بالقضا من غير تسخط وهجر القريب في ذات الله كما ضرب عمر ولده الحد
واخراج المحبوب من المال لاجل الله كما اخرج ابو الدحداح بستانه في الصدقة
افتراني احكم بالايمان لمن لا يعرف اركان الصلوة ولا يبالي جهلها ام
علمها ولا اداها كما ينبغي او لم يودها ويتوانى في الزكوة فاذا اخرج
اخرج البعض وتاول البعض تاويلا لا يسوغ في الشرع وباع القراض
بالصحيح بيعا حراما بالاجماع ولم يسهل عليه فقيرا فتراني اعتد
بمزاحمته للناس في المسجد ليلة الرغايب او بكايه في مجلس المواعظ
هيهات ما هذه صفة من من ولا من عنده من الاسلام الا اسمه ولو حقق
الامر مع اكثر الناس افلسوا من الايمان فصل تفكرت يوما في نفسي

فعلمت ان

فعلمت اني مصنوع لصانع وثبت عندي بالدليل حدث المحدثات وانه لا
يجوز ان يكون المحدث احدث نفسه لانه ان كان احدثها حالة العدم فمحال
لان المعدوم لا يكون فاعلا او في حالة الوجود فالوجود مستغن بوجوده
ولما رايت المحدث موجودا في زمان دون زمان علمت انه لو لم يكن عن
محدث لم يكن وجوده في زمان اولى من وجوده في الزمان الذي قبله
او بعده ثم تفكرت في مبتدا الوجود فاذا النطفة قد استلبت من الدم والدم
قد استلب من الاغذية والاغذية قد استلبت من العناصر الاربعة الماء والتراب
والنار والهوى فنظرت في العناصر فاذا بها متضادات متنافرات فعلمت
فعلمت انه لا بد لامتزاج هذه المتنافرات من قاهر قهرها على الامتزاج
فلما فرغت من النظر في مبدا البدن رايته مركبا للراكب وهو النفس فرغت
فاذا بها جوهر عجيب لا بد ان يكون حيا ليدرك العلوم والحكم ولا يجوز
ان يكون عرضا لان العرض لا يقوم بنفسه وهذا صالح ان يقوم بدون
البدن وقد نطق الشرع بذلك واخبر بخلق الارواح قبل الاجسام
واخبر بكونها باقية بعد بلا الابدان فلما رايت ان بنا هذا البدن
بنا عجيب ثم رايت النفس منه فرقها علمت انه لا ينقض الا امر هو اعجب
من بنائه ثم نظرت في النفس بعد فراقه فاذا اصحاب الشرع يقول بالاعادة
هي في حواصل طير ثم وعد الكتاب بالاعادة للبدن والنفس فرايت

اقواما يستبعدون ذلك فلم استبعده لما سبق من علمي بجمع تلك المتنافرات
ثم قد رايت في مخلوق فانه مثل الزيبق يلقى في خزاين من الذهب لا يحصى متفرقات
في التراب فيجمعها والنار توقد على النحاس والذهب والفضة فيميز كل نوع الى جنسه
اذ كان هذا تحت قوة الناس فكيف بالقوة الالهية فلما جوزت هذا عندي لا عاد
مظنون فاذا الشرع قد اوجبها بما ضمن في القرآن من اعادة الخلق كقوله بلى وربي
لتبعثن ورايت العقل يراها كالواجب في الحكمة لان الحكيم لا ينشئ مثل هذا
الادمي الذي لا نظير له من الموجودات ليحيى اياما يسيرة بتنغص كثيرة ثم ينقضه
نقضا لا المعنى هذا لا يليق بالحكمة ولا بالقدرة ولا بالكرم فايقنت بالبعث ولم
يبق لي تردد فيه بل جرد فكري للعمل بما يصلح للبعث وانا اسال الله عز وجل التوفيق

فصل اعتبرت على اكثر الناس خلة مذمومة ولي فيها نصيب وهو ان
احدهم لا يكتم شيئا من البلاء وان اعوزه شي وعنده اشيا فاضلة عن الحاجة
شكى ولم يسعها وزنها وهب له العافية من مرض فاذا طرق بابه للعيادة اضطجع
فكانه يقول لهم بلسان الحال ما عوفيت وان فعل شيا من الطاعات لم يتقدر على كتمها
حتى يحدث بها فهذه الاشيا كلها معاملة مع الحق عز وجل فاظهارها رياء وشكر
وما كان السلف على هذا وانما فهم الله عز وجل كتمان المعاملات فلما راى صدقهم
في الكتمان اظهر عليهم من المدائح بالطاعات اضعاف ما عملوا شكى رجل الى الاحنف
وجع ضرسه ثم عاد فشكى فقال لقد ذهبت عيني منذ سنين ما علم بها احد

وكان حسان

وكان حسان بن سنان يشتري اهل البيت فيعتقهم ويعلمهم من هو دخل
رجل على الامام احمد بن حنبل يعوده فقال كيف انت قال بخير قال هل حممت
البارحة قال اذا قلت لك انا بخير فلا تحوجني الى ما اكره وكان الفضيل يقول
اشتهي مرضا بلا عواد وكانوا يتجلدون في المرض واظهار العافية فكان ابراهيم
اذا مرض ترك عنده ما ياكله الاصحاء وكان سفيان الثوري يقول ما اعتد بما
ظهر من عملي ومرض يوسف بن اسباط فنفدت نفقته فقال للامراة هل عندك
شي نبيعه فقالت هذه الحاسر فقال اذا بعنا مثل هذه ظهرت احوالنا وما لت
امراته فقيرة يوما فقالت ليس لي شي فقام اليها بشر الحافي فقال يا اخي الفقر
سر الله عز وجل الطه ستره وقرات بخط ابن عقيل قال حكى بعض الصلحا ان عبد
الصمد الزاهد كان يعامل خبازا وبقالا فكان يجتمع لهما عليه ديون
كثيرة فياتي الرجل من ارباب الاموال الى الخباز عبد الصمد فيقول له حسب
كم لك عنده فيحسبه فيبلغ المايتين او الالف فيعطيه ثمن ذلك ويقول له بالله
لا تعلمه من قضى عنه بل قل له رجل مسلم احب ان يخفف ثقل الدين عنك لاجل الله
فكان عبد الصمد يجي فيقول له الخباز ذلك فلا يسا له فيقول خفف الله ثقاله
واحسن جزاه وكذلك كانوا يفعلون مع بقاله فانظر الى هولاء كيف لم يراعوا
مطالعة المحسن اليه فنوعا منهم بعلم الله او التلذذ بفعل الخير فاف والله لنا
ولاحوالنا السيئة كيف نشكوا من ينفعنا ونضرنا الى من لا ينفعنا ولا يضرنا او نكى

لو عرفنا طريق المعاملة ما كنا هكذا وانا ندلك على سبيل من سلكناها فكيف
تعرف الطريق من لا يعرف الذي يعامله وانا اتوب الى الله سبحانه وتعالى مما كان مني من
ذلك وانا له الحفظ فيما بقي **فصل** هذا والله انفقت عمرك في تحصيل مصالح
دنياك وبالغت في الاستظهار بتحصيل العقارات والعقار ونظرت لنفسك في حال
الكبر والضعف واعددت ما يحصل لذلك الوقت ثم جهزت البنات واصبحت
البنين وبالغت في جميع ذلك وذهب العمر كله فيه افترى انت متى تجهز للرحيل
وانه قد يكون في جهاز البيت مموه بالذهب او مطلي بالفضة فينطلي على الناظرين
وما يصلح الجهاز كانت للآخرة الا الخالص من البهرج والى اليوم ما حصلت
شيا من ذلك ولا بقي عمر تحصل فيه لان الصبابة الباقية زمان ضعف
واستطراح للموت شعر • فضل الحي اليوم الا زفرة الندم • والله ان الابن
يشتغل بمالك عنك والبنت بزوجها ولو بكوا ما انتفعت ولو ناحوا عليك
لتضررت فبالله عليك اصرفه من هذا العقل الذي وحسن التدبير للدنيا
والنظر للاولاد طابقه الى مصالحك يا من كسى الغير وهو عريان واشبع
الناس وهو جائع فاقبل نصحي واستدرك باقي الذبالة واخرج الفتيلة
وقطر فضل زيت قد جمد ثم تسلب صعفا على الشيء ولو لم يكن الا اتفاق
اتفاقك لباقيه على التاسف فانها نعمة مرحم قد جرت عادة المخدومين
انه اذا عجز الخادم عن الخدمة قاموا اشواه واذا كبر قالوا الزم بيتك فاما

الخالق

الخالق سبحانه فانه قد رضي من العاجز بالممكن وان لم يطق ان يصلي قائما فجالسا
فان لم يطق فمضطجعا ولقد خفف الصوم عن المسافر واسقط شطر الصلوة
ودقايقه فلا تحتقر يسيرا من الخير في معاملة الكريم فانه يرى القليل ويضاعف
الحسنة **فصل** حضرت يوما جنازة فاذا اقبال الانسان على الدنيا غفلة
كثيفة مادة لان الادمي مركب من جسم ونفس فالجسم عن قليل حظ التراب
والنفس تنتقل الى عالم اخر ثم اذا اعيد لم يرجعا الى هذا الوطن بل الى محل
اخر فثبت انه ليس بوطن للانسان بهذا المكان من اسر الاشيا وهو كخروج السمكة
والضفدع من النهر يطلب الهوى فانه لو راه بعض حيوانات البر كالغزال فانس
به وقال له امكث عندنا لم يكن ولقال ان توقفت ساعة هلكت وكذلك لو
غاص الغزال في الماء لحظة فانس به الحوت وقال امكث عندنا ساعة فانه
لا يمكنه فكذلك ليست وطنا للادمي وانما هي معبر لا يحسن توطنه والمركب
مع قطعه اليم تضربه الامواج فهو على خطر الانكسار والغرق وركوب الادمي
الادمي الى الدنيا غفلة كثيفة ينهى عنها العقل من عقل وتدبر لان الدنيا
كالعشق يرى فيها الفرح فلا بد من مراعاتها فبذلك حفظ البدن متعين
فبان من هذا ان اخذ البلغة التي تحفظ البدن من الدنيا لازمة وانما المذموم
الركون الى فضول العيش القاطعة عن الاخرة الشاغلة عن الامور المهمة
فاما الزهد المشتمل على منع النفس حقها اللازم وما يحفظها فمذموم غير

ممل ود ولا بد للانسان في هذه اليقظة من ان يلذع نفسه بغفلة ما يكون بمقدار
يمكنه مع الاكل والشرب والنكاح ومن العجب احتياج العاقل المتيقظ الى استعمال
الغفلة فانه لا بد له منها كما لا بد له من حصول المصلحة فافهم هذا ولا تمل الى الغفلة
فتكون من ابناء الدنيا ولا الى اليقظة التامة التي اخرجت جملة المتزهدين الى
الساحات والمغارات فان اقوى الخلق يقظة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
واصحابه فبهم فليقتد فصل تاملت هذه المدارس المبنية للفقه والاربطة
للزهد فرايتها وان اشتملت على خير الا ان فيها دفائن لابليس منها ان اربابها
يتركون حضور المساجد للجماعة فيفوتهم هذه الفضيلة والسعي الى المسجد فيه ثواب
عن اجر لازم وعند الباقي فضيلة عظيمة والخطوات اليه بكل خطوة حسنة فاذا
صلوا في اماكنهم فاتتهم هذه الفضيلة ومن ذلك ان الغالب عليهم العزوبة
خصوصا الزهاد فقد فاتهم النكاح المسنون او الواجب ومن ذلك انهم
سلكوا طريق الترهب ولم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من
هذا شيء فان قيل فقد كان اصحاب الصفة قلت هم اولئك في المسجد ما خرجوا
ثم كان ذلك عن عوز وفقر شديد بخلاف من يقصد الخروج من مال الدنيا زهدا
وكم قد اخرج ابليس من القوم خلقا كثيرا قويت عليهم العزبة فخرجوا الى الفسق
فانعكس المقصود بالانفراد فعليك بسيرة الرسول واصحابه فالخير كله فيما كانوا
عليه وكل مبتدع بعدهم فهو ضال وثم اصل اخر عظيم ما ذكرته وهو انه قل

ان تبنى المدارس

ان تبنى المدارس والاربطة الا من مال سلطان ظالم وغاصب وجائر فالعجب
من ترك كسب الحلال وينفرد بزعمه للتعبد باكل الاموال الحرام والشبهة ويحتج بطلب
العلم او الزهد ثم قد يكون وقف المدارس للفقه فيتفقه الانسان ويبلغ المراد
في ستة وخمس سنين ثم يقيم في المدرسة عشرين سنة واكثر ومثل هذا لا يجوز له
ان ياكل من وقفها الا ان يكون معيدا فيكون معلما لا متعلما وكذلك قد
يكون وقف الرباط على الصوفية واحلا لهذا الشرط معهم تناوله لان التصوف
اخلاق لا خرق فمن لبس الخرقة وظن انه صوفي مع عدم التمسك باخلاق
القوم فقد اكل ما لا يحل وفي الجملة فهذه حالة تشبهها العوام هو كثير فاما
الانسان الى الرفاهة قيل فقد ترك وما هذه سيرة اهل العزائم فان القراء في
زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل
واما من اثر الدعة والراحة واقتنع بالاسم والصورة مع بعده عن المعنى
فهو ابعد ما طلب فافهم ما شرحته ولا تغتر بالمتشبهين فصل سال سائل
عن عذاب القبر فقلت الايمان به واجب فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يستعيذ بالله من عذاب القبر فقال السائل ليس مقصودي هذا ولكن هل
العذاب للبدن او للروح فقلت له هذا امر يكفي فيه الايمان به كما ورد
من غير تفصيل فقال ما اقنعني هذا فقلت اعلم ان الذي يوجبه النظر ان العذاب
والنعيم للنفس دون البدن فان الله تعالى يقول كلما نضجت جلودهم

بدلناهم جلودا غيرها فاخبر ان الجلود اذا نضجت كان ذلك سببا لبعد العذاب
عنها واخبر بعلمه بتبديل الجلود فقال ليذوقوا العذاب واذا كان نضج الجلود يمنع
وصول العذاب فكونه رميما اولى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهدا
في حواصل طير خضر فجعل نعيمها متعلقا بجسد يكون فيه ثم قد ثبت ان الا
دراك للنعيم والعذاب انما يكون بالحس ولا احساس للميت فقال القايل
فكيف يقول عليه السلام اعوذ بك من عذاب القبر ويقول انهما ليعذبان ويقول
القبر روضة او حفرة قلت المراد بذلك صاحب القبر وانما اشار الى القبر تعريفا
لصاحبه قال فما يقول في قوله ليسمعون خفق نعالكم فقلت جوابه من وجهين
ان ذلك يكون وقت السوال وحينيذ ترد الروح الى الجسد والثاني ان يكون
الاشارة الى صاحب القبر وهي النفس فيصل اليها خفق النعال العاقل لان ذلك الصوت
يدخل في خرق الاذن هذا قدر ما يوجبه النظر والاستدلال ولا يبعد في قدرة
الله تعالى ان يخلق في البدن حسا يدرك به النعيم والعذاب وهو جسم فان من
جعل في الحصاة ان تسبح وفي الجذع ان يحن وفي الجمل ان يسلم وفي الاخران ياخذ التراب
ويذهب بها والعلج في البيضة روحا وكرما فصل غلبت على الناس العادات
فصارت كانها الشريعة فاذا التفتوا الى الشريعة فيما اعتادوا والالتفات
اليه مما لا يعود بنقص في اغراضهم فلا يوجب حمل مشقة تصعب فان نظرت الى الولاة
وجدتهم يسوسون المملكة بما يوجب حفظها فيقتلون ويقطعون من لا يجب

الاموال

الاموال وينفقونها ولو نهاسا ولا يتملك فان وافق مرادهم المشروع كان المشروع
تبعا وان لم يوافق لم يبالوا ومنهم الجامع للاموال بخلا ومنهم المبذر فيها بطرا
وقد اعتادوا لبس الحرير واستعمال الذهب كانه ما ثم شرع ولا امر ولا نهي فاذا
رضوا عن شخص خلعوا الديباج والحرير والظلم قد صار في الولاة عادة والشريعة
مطرحة ثم جرت العادات بين العلما فخالطوا الولاة واعتادوا ترك الانكار عليهم
وربما لابسوا المحرم في صحبتهم ويسمون هذا مداراة وتقية وليس كذلك انما العذر
ان لو الزم بصحبة الجائر فيمتنع حينيذ الانكار بالقلب اذا لم يقدر على النطق واما
ان يزاحم على سددهم ويدعي عجزه عن الانكار فلا عذر له وانما سلم من هذه الاحوال
اخيار السلف من العلما مثل الثوري واحمد بن حنبل وقبلهما سعيد بن المسيب
خلق كثير قصدوا حفظ دينهم وانكروا اذا قدروا واعتزلوا اذا عجزوا فنظر الله
تعالى الى صدق قصدهم فابقا اذكارهم من بعدهم وان نظرت الى الجنود رايتهم
قد عمهم الجهل بالشرع وراوا اكل المقصود وتحصيل اغراضهم كيف اتفقت حتى ان
قايلهم يقول لا ينكر على جندي شرب الخمر ولا لبس الحرير وقد بلغنا عن الشامي قاضي
القضاة ان رجلا من الجند ادعى عنده على رجل فقال البينة شهود كل يقوم عليهم
الحرير فقال لا اقبل شهادة هولا لانهم يلبسون الحرير فقال المدعي فالسلطان
يلبس الحرير ووزيره نظام الملك يلبس الحرير فقال لا وهو لو شهدا عندي على باقة
بقل ما قبلتها واذا نظرت الى العوام رايت اكثرهم كالبهايم في الجهل بالشرع

همتهم الاحتيال على الدنيا لا تدري احدكم في الصلوة ركن انما همته البيع والشري
وفكره يعمل في عشر المبيع ولا يستحسنون من مجالسة مرتي ولا اصحاب امر ومن لهم
واذا اتفقت مع احدهم قطعة رديه جعلها الى الخلا وصرفها بعد المغرب واذا نظرت الى
العلما رايتهم مع العادات في رهبة الرياسة وعيبة النظر افا الفقها قد وضعوا
اوضاعا في الجدل يختصمون عليها ويتباهون بالعلبة فيها والحديث الذي تبني عليه
المسالة لا يعرفونه والمحدثون همتهم علو السند لانهم الحديث والغيبة عندهم تخرج
تحت الجرح والتعديل العضاض مع ما احدثوا من انشاد الغزل والمردان
الفارغ والصوفية مع ترقيع الخرق والتواجد والرقص ومن اي مطبق
جاهم شي اخذوه وقالوا هذا فتوح فلو قيل لهم ان ابا بكر الصديق قام لم كل شبهة
قالوا لا ندري ما هذا نحن قد بعث اليناه رزقنا على يد من كان فقد انالهم طلب
الراحة الى كل تاويل باطل وان تاملت النسا رايتهن مصيبات لحف الروح
مفسدات في حقه مفرطات في حق الحق وشرح هذا يطول لكن جملة ان
الشريعة قد اعرض عنها وكانها عندهم في مثابة شي قد كبر يستشيرونه عند
النوازل فان اشار بمقصودهم والا قالوا هذا خرف فاين طريق السلف الصالح
عفت وعفت اثارهم وتغيرت نسال الله العظيم ان يوفقنا لسلوك سبيل
السلف واتباع من مضى من المحققين وسلف وان يعيذنا من زاحمة هذا الخلف
وان يحفظنا من الزيغ والميل والحيف فانه اذا جاد لطف واذا عاد عطف

فصل

فصل عظيم ما تعم به البلوى اعلم ان الادمي مجبول على حب الهوى والشهوات
واللذات واعلى درجات اللذة الحسية النكاح وفي هذه الطريق من المخاطرات
الذي هو النفس ما لا يومن معه الهلاك فتارة تكون المخاطرة بالنفس من كثرة المباشرة
وكم من مفرط في الباه تعجل هلاكه لان المني النفس وخاير النفس وهو من اصول الحياة
لها فالمجامع يخرج اجود ما في البدن ويخلف الردي وتارة تكون المخاطرة من جهة
النسا فاما كون الباه الكثير سريع الاهلاك فانه يهد القوى الاصلية ويحل
الحرارة الغريزية وله مضار كثيرة قد ذكرتها في كتابي المسمى بلقط المنافع في الطب
وحكيت عن مالك بن انس انه قال انما هو نور عينيك ومخ ساقيك فاستكثر
من التزويج او الجواري باحث عن مذهبه حنفه وزايد من عقده حبله الذي يخنق
به لان الجدة لها اثر عظيم من جهة انما قرب ما لم يقهر وملك ما لم يملك ورويت
ما لم ير وتحصيل معنى لم يحصل ومن هذا قيل لكل جديد لذة ويزيدها حسنا
في العين تغطيه القبايح ولهذا اذا اطلع على العيوب مع تطاول الزمان زر
ذلك المطلوب في النفس ووقع الملل وقد قال الحكما العشق العما عن عيوب
المحبوب فاذا وقع الملل لهذا الشخص العليل المحرك للنفس فطلب غيره حرك
وبين هذا وهذا يذهب جوهر النفس ومن اعجب ما نقل الينا حال الو
بالله انا عبد الملك بن ابي القاسم الكروخي قال انا عبد الله بن محمد الانصاري قال انا
يعقوب قال اخبرنا ابو العباس احمد بن محمد بن الحسين الرازي قال حدثنا بكر

ابن عبد الله بن حبيب قال سمعت سعيد بن محمد ابن وهب يحدث عن المتوكل قال
كان الواثق يحب النسا وكثرة الجماع فوجه خادما يوما الى ميخائيل الطبيب فدخل عليه
وهو نايم وعليه قطيفة خز فوقف بين يديه فقال يا ميخائيل ابغني دوا للباه فقال
يا امير المومنين بدنك فلا تهدمه فان كثرة الجماع تهدم البدن ولا سيما اذا تكلف الرجل
ذلك فاتق الله في بدنك وابق عليه فليس لك من بدنك عوض فقال له لا بد منه ثم رفع
القطيفة عنه فاذا بين فخذيه وصيفة قد ضمها اليه ذكر من جمالها وهيبتها امرا
عجيبا فقال من يصبر عن مثل هذه قال فان كان ولا بد فعليك بلحم السبع فامر ان
يوخذ لك منه رطل فيغلى سبع غليات بخل خمر عتيق فاذا جلست على شرابك امرت
ان يوزن لك منه ثلاثة دراهم فاسعط به الى شرابك ثلاث ليال فانك تجد فيه بغيتك
واتق الله في نفسك ولا تسرف ولا تجاوز ما امرتك به فلهى عنه اياما فبينا هو
ذات ليلة جالس على شرابه ذكر فقال علي بلحم السبع الساعة فاخرج له سبع من الجب
وذبح من ساعته فامر فكتب له منه ثم امر فاغلي له بالخل ثم برد واخذ يستقل به على
شرابه واتت عليه الايام والليالي فسقى بطنه فجمع له الاطبا فاجمع رايهم على انه
لا دوا له الا ان يسجر له تنور بحطب الزيتون حتى يمتلي جمرا فاذا امتلى كسح
ما في جوفه وحشي جوفه بالرطبة ويقعد فيه ثلاث ساعات من النهار وان استسقا
لم يسقا فاذا مضت ثلاث ساعات كوامل اخرج واجلس جلسة منتصبا فاذا
اصابه الروح وجد لذلك وجعا شديدا وطلب ان يرد الى التنور فيترك على حاله

تلك ولا يرد

تلك ولا يرد الى التنور حتى يمضي ساعتان من النهار فاذا مضت ساعتان من
النهار جرى ذلك الما وخرج من مخارج البول وان سقي ما او رد الى التنور
كان تلفه فيه فاوقدوا تنورا واحبس فيه فاقبل يستغيث ويصيح احرقتموني
اسقوني ما وقد وكل به من يمنعه الما ولا يدعه يقوم من موضعه ولا يتحرك فقد
سقط بدنه كله وصارت فيه نفاخات مثل اكبر من البطيخ فترك على حاله حتى
مضت ثلاث ساعات من النهار ثم اخرج وقد كاد يحترق فاجلسه المتطببون
فلما وجد ريح الهوى اشتد به الوجع واقبل يصيح ويقول ردوني الى التنور
فاني ان لم ارجع فاجتمع نساوه وخواصه فلما راوا من شدة الالم والوجع
فرحوا في ان يكون فرجه في ان يرد الى التنور فردوه فسكن صياحه وتفطرت
النفاخات وبرد فاخرج وقد احترق وصار اسود كالفحم فلم تمضي ساعة حتى قضى
فاذا كان هذا من جنايات اكثار الوطي وجب على العاقل اجتنابه الا لضرورة
واما المخاطرة من قبل النسا فان المراة اذا هوي في الرجال كالهم فيها فقد لا يميل
الى الشخص وقد يكون منه ما يوجب نفورها كقبح في الصورة او شيب وضعف
قوة وغير ذلك وقد تكون مملوكة ذات ولد فتعلم انه لا خلاص لها الا بهلاكه وهذا غير
قليل وقد كان الحسن بن علي رضي الله عنهما تزوج نسوة كثيرة ودخل على ما تبين
فسقته السم احداهن فمات وقد سمعنا ورأينا من هذا الجنس كثيرا وحدثنا ابراهيم
ابن دينار الفقيه قال كان عندنا شيخ صانع وله غلام في الدكان يتعلم فنظرت امراة

الصانع الى الغلام فاحبته فطبخت يوما طبيخا وتركت فيه سما فلما قدمته لزوجها
طرق الباب رجلان من اصدقايه فاذن لهما فلم تنطق المراه فاكلوا فاما احد
الصديقين فمات من ليلته واما الاخر فما اطبته قال بعد اسبوع واما الزوج
فما زال يتقلب في فنون الامراض حتى انه قال لها يوما ويلك لعلك اطعمتيني فقالت
نعم قال ولم قالت اردت ان استريح منك ثم انه مات فتزوجت بغلامه فالعاقل
من نظر لنفسه واحترز مما يجوز وقوعه واثر السلامه على المخاطره والعجب
ممن يوثر كثرة النسا وينسى ما يحتوي عليه الكثره اما من تحريكه لاذهاب
جوهره واما من افاتهن ومنها شتات قلبه ومنها الاحتياج الى الكسب الذي
لعن خلله ومنها حفظهن من الافات وذلك يكدر العيش ويبعد فيهن الدين والعفه
ان لا يوثر لدنه على العار ومنها وجود التغاير عليه وهو اخوف الامور ومنها
الغيره من افعاله فربما اهلكته او اهلكته منهن التي يعرض عنها وهي ان لم
يهلكن بالسم افسدن بالسحر وربما سببت التي يعرض عنها في قتل حبيبته
فيكون بالقتل كما قال الشاعر • ما احطاتك النايبات • اذا اصابت من تحب •
ومتى جامعهن احترز منهن فعدم لذة العيش في المطعم ثم ينفصل بالنفار الدايم
فاذا اصعب عليه الجمع بينهن يطلق روح او باع واشترى لهم يا من خلة جميلة
من المقصوده والموهوم الوف فيتنغص عيشه وان جمع بينهن كان اصعب واصعب
للموجودات التي صبغت ثم اذا كان الرجل مع علوه في السن وعقله لا ينتفع بالوا

فكيف بالصبيه

فكيف بالصبيه الجاهله التي لا تصل نوبتها اليه الا في الاسبوع ولا اسبوعين فالعجب
لم كيف لا يفتش الاحوال • فان قال قايل فقد صدعتني بما طبعت عليه فكيف الحيله
فالجواب اني كشفت لك الحق وبينت لك الصواب واعلم انه ما خلق للادمي في الدنيا لذه
وانما هي معبر فاجهد في تحصيل امراه كما ينبغي واقنع بها وبجاريه فلا تغتر بامراه
تلمحها فتتزوج بها فاني سمعت شيخا كبير السن يقول وقد ذكر النسا انهن افات
ملففات فتفكرت فيما قال فعرفته وكذلك الرجل يرى المراه في ازارها ونقابها
فيعجبه ظاهرها ما يرى وربما كشفت عن وجه قبيح يتعجب الناظر فلا ينبغي ان يغتر
بذلك الظاهر فان من التعفيف انعقاد خلق وخلق من متصنع باظهار محاسنها
وستر معايبها ورب وجه كثير الجدري قد اثر فيه لم يتبين فيه للناظر الا بعد
عنه او لقلة تامله ولا طلبه فقد طلى بها وعمر فاذا مضت على الصحبه مده كشفت
عن عوار ذلك وربما غم حسن الظاهر لكنه مع تحقيق التامل يكون واسعا
او قبيح المبتسم او متشنج الاسنان او مكسورها وربما يعجب ظاهر قد
يكون قصيرا او يكون في الراس حزاز او يكون بعضه ابيض ولا يعلم ورب صدر
حسن الظاهر الا انه كثير السعه وشديد الضيق وكلاهما مستوحش ورب
ثدي يرى كانه ناهد ومع التامل يكون طويلا او كبيرا ورب بطن لا يرى قبحه
الا مع التامل ورجل حسن او كثير الشعر وربما كان شعره كالزرد ورب
اشيا لا تدرك الا مع المخالطه كالعرق والنتن وسعة الفرج فرب معان تقبح

الحسن بوجودها كسوء الخلق وقوة الشبق وعدم الصيانة وسوء الادب
وقلة الدين او القناعة الى غير ذلك ولا تقولن فان لم ارضها طلقتها فربما علق
بولد وربما يراها تجبه وتوجب المروه الصبر على ما يكره فيلقى اذا اشد بلاء وربما
• تراها تجبه فيوجب المروه الصبر على ما يكره فيلقى • سخريته واذيته فينبغي لمن
اراد النكاح المبالغة في البحث عن الخُلق والخَلق والاستعانة على ذلك بالنسا
المباطنات للمراه بعد ان يحتال هو في النظر اليها ومن كان متاخرا في طلب الكمال
والتمام فليس له مثل الجواري الا اني استحب لمن يشتري الجواري الصغار
اللواتي قاربن المراهقة فان المراهقة قد يعلق قلبها بهوى شخص قبله والصغير
لا يعرف ذلك وليطلب منهن السهلة الخد الصغيرة الفم الحسنة الثغر الجثلة
الشعر النجلا العين الفصيحة اللسان الرخيمة المنطق العظيمة الكفل المهتلبة
الاسافل الممتدة القوام البسيطة الجسم الدقيقة الانامل التي لا اثر لثديها
فان الكبيرة الثدي يبين اثره من الصغر وقد قيل لا يكون المراة حسنا حتى
يبيض منها اربعة اللون وبياض بياض العين والاسنان والاطفار
ويسود منها اربعة شعر الراس وشعر الحاجبين واشفار العينين ويحمر
منها اربعة اللسان والشفتان والوجنتان وثم ويتسع منها اربعة
الجبهة والعينان والوركان والصدر ويضيق منها اربعة خرق الانف
وخرق الاذنين ومشق الفم وثم ويطول منها اربعة الساقان والوركان
والعجز والركب وهو منبت العانة ويقصر منها اربعة حطامها وطرفها ولسانها نفا

وذكرها

١٢٥

وذكرها والفرق بين المراة الجميلة والمليحة التي كلما كررت فيها بصرك ازدادت
حسنا فينبغي ان يقدم المليحة على الجميلة والفرق يقع بالقرب والتثبت
وذكر اعرابي امراة فقال جلدها من لولو مع رائحة المسك وفي كل عضو منها شمس طالعة
ووصف اخر امراة فقال لها وجه عذر العاشق فمن وقع بامراة كما ينبغي
فليختبر عقلها فقد قالت هند بنت المهلب ما حلي النساء بشيء احسن من عقل
كامل تحته ادب باطن ولينظر في دينها فان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال
عليك بذات الدين تربت يداك ويستفيد في شرى الجواري الصغار فوايد
منها ان يستخص على الادب والسيرة والخصال التي يحبها ومنها ان التنعم بهن
الذكا قال بعض الشعرا • اطيب ما نلت من جوى • ضم الجواري المراهقات •
ومنها انه يامن حبلهن فيستمتع بهن امنا لذلك وان كان وطي من لم تبلغ غير
محمود فان العجب ولا باعها وان كانت بالغة عزل عنها سنة وجرب اخلاقها
وبعثها بالاداب ونظر الى صبرها في الغيرة عند اشتراء غيرها فاذا احمد
اخلاقها احسن طلب الولد من مثلها وقد قال بعض الحكما البكر لك والثيب
عليك وخاف الولد لا تقربها وليتخذ عجوزا اديبة يكون من قواعد بيته
ويامرها بملاحظتها وتعليمها الادب والتوقير وباعدها من العجائز ويقطع
الاسباب المفسدة لقلبها من مخالطة ابناء جنسها وسد الزيارات
ومنع الخروج فان النسا يفسدن النسا ويحدثهن بالعبث ويدمهن

المثالح عندهن ويذكرن الكثود وغيرها وليجعل تلك العجوز واعطه
لها تعليمها حق الرجل وتعظم عندها قليل النفقه وليحذر من دخول امراه حمق
الى عنده وان كان ولده ومن وقع بجاريه او امراه فرسه من غرضه فليرض
بها ولا يطلب الاعلى مما اليه سبيل فان وجد السبيل اليه كانت افاته اكثر من لذاته
ومنها ان تلك المراه ربما افسدت عليه ومنها وربما احست من نفسها بالجمال
الفائق فتراعنت عليه فطلبت فضل نفقته ومنها انها تعلق بقلبه تعلقا
يوذيه وربما اوجب ذلك انبساطها عليه واولادها فيذهب زمانه ومدا رانها
والذل لها والخوف عليها فربما العضته واحبها فهلك فصل فضي فراق صعب
التسلي وقد اخبرنا محمد بن المنصور قال حدثنا الحميدي قال حدثنا محمد
بن سلامه القضاعي قال حدثنا ابو اسلم الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا
عبد الرحمن عن عمه قال شاور رجل من العرب رجلا في التزوج فقال افعل
واياك والجمال الفائق فانه مرعى انيق فقال الرجل انما نهيتني عما اطلب فقال
او ما سمعت قول الشاعر • ولن تصادف مرعى ممرعا ابدا • الا وجدت به اثار ماكول •
فالاولى بالعاقل اذا وجد امراه كما ينبغي او جاريه ان يتمسك بها ولا يعبر بها
ولا يوذيها خصوصا ان كان شيخا او ليس بحسن الصورة واذا وقع برضه
فليحذر كثره الدنو منه والقرب اليه فان كثرة المقاربه يوقع على العيوب فيقع
الملل ولا بد من التغميض على العيوب ولا ينبغي ان يواكلها ولا ان ينام عندها
بل يجتمع

١٣٦
بل يجتمع بها في احسن ساعاته وساعاتها ثم يقع البعد فهذا ادوم للصحبه واطيب
للعيش وفي الحديث ان امراه عارضت عمر فحاجته في امر كان يدبره فقال ما لكن
ولامور الرجال انما المراه لعبة كان للرجل اليها حاجه اخذها وقد ذكر المتنبي نحو هذا المعنى
• وللخود مني ساعة ثم بيننا • فلاة الى غير اللقاء تجاب •
وليعلم العاقل ان المقصود من الشخص حسبه وحبه لا نفس الجماع فان الجماع يفسد
المحبه وكان للرشيد ثلاث جواري يحبهن ويقول فيهن •
• ملك الثلاث الانسات عناني • وحللن من قلبي بكل مكان •
وكان لابي دلف جاريه وكان يسميها صديقتي ويقول ملكتني وهي ملك يدي
ومثل هذا لا يتم الا ان يكون المراه مع حسنها عاقله ولا ينبغي للرجل ان لا
يحصل عنده الا في حاله الكمال ويدافعه عن الوطي الا على وجه العصيان ويوقعها
على ذلك اسباب البقا الحب قالت امراه من القدما •
• ما الحب الا قبل او غمز كف وعضد • من لم يكن صاحبه فانما يبغي الولد •
فاما ان كان شيخا لا يصبر مكثارا او ثيبا او كانت هي حرفا لا تبالي على اي
حال اتاها لم يصح وجود عيش لان المجنون والعاقل لا يجتمعان واطيب
العيش عيش عاقلين وربما طيبت الغفله عيش احمقين والعاقل لا ينبغي له
ان يضيع ماله الذي هو قوام بدنه الا لاحد سببين اما ان يكثر اجتماعه
فيتخفف منه وعلامه التخفف انه يعقب خروجه نشاطا او راحه وقوه وطيب

نفس واي يطلب ولدا وهذا هو الاصل في خلق الما فان غلبه الهوى لمحبوب
فليعلم ان ذلك يفسد المحبه ويزيد في الاذى لكثرة ما يخرج منه فاذا غلب فليبعد
ما بين الرمانين فاما اذا فعله عادة فانه يحصل قوته باخذ بهر دوسع جوهر
حينئذ بارحص ثمن حضوصا من قد جاوز الاربعين **فصل** فان قال
قايل اسمعك كثيرا تقول ان الله عز وجل لا يحدث له صفة فما وجه قوله ثم استوى
على العرش فقلت انما تحدث الصفات للمحدث فاما القديم فذاته قديمه وصفاته
وبيان هذا ان المحدث هو الذي يجوز ان يوجد ويجوز ان لا يوجد وذات
الحق وصفاته واجبة الوجود وليست من باب الجايزات وحد هذا ان المتجدد
محدوث ولا حدث للصفات كما انه لا حدث للذات فاما الاستوا على العرش
فمذهب السلف امراره كما جا من غير خوض في معناه ولا كلام مع اعتقاد الكل
انه لا يحدث له صفة فان تفكرت في معنى الاستوا قلت لك ان عقلت المستوى
عقلت معنى الاستوى فان لم يسعك ما وسعهم واحتجت الى زيادة بيان قلت
لك اعلم ان هذا اصل القوم حال لا وصف وقد شرح هذا المعنى ابو الوفا ابن عقيل
بما لا مزيد عليه فقال الشيء كل مضاف الى الله سبحانه وهي افعال ولنا اضافات
اليه سبحانه وهي احوال وقد ضل في ذلك طوايف من الحنابلة في الاصول
بغير خبرة في الفروع فجعلوا الكل صفات فضلوا واضلوا وقد تحرف السالمية
من القول بتجدد الاحوال ظنا منهم انها صفات فقالوا انها قديمه حيث ظنوا

انها صفة

انها صفة فاوجبوا على انفسهم القول بقدم العالم الذي كفرت به الفلاسفة فاتى
بالسالمية جهلها بالفرق بين الحال والصفة الى القول بان الله سبحانه لم يزل مبصرا ناظرا
الى الاشيا مع عدمها فقالوا مبصر لها قبل كونها ظنا منهم ان وصفنا له
بسامع كوصفنا له بسميع فقال لم يزل بصيرا مبصرا سميعا سامعا والفرق
بين الحال والصفة ان الصفات ذوات كما يقول في الجسم الاسود انه مجموع ذا
الجسم وذات السواد والاحكام كالاحوال فتلك الخمر ذات وحكمها التنجيس ثمن
والتحريم فالاحكام ليست بذوات ولا صفات فالمحدث وصفاته محدثه والقديم
وصفاته قديمه وجميع صفات القديم له لم يتجدد له شي منها كعلمه وقدرته
وحياته فاما الاحوال فمثل كونه سامعا لاصوات المحدثين ومبصرا لذوات
خلقه واستوايه على عرشه ومن التسميه نعرف المعتزله وكثيرا من المتكلمين
ظنا منهم اننا نقول في الاستوا انه وصف فقالوا العرش محدث فكيف يكون
الباري مستويا عليه وانما هذه الاشيا حال لما حدثت الاصوات كان سامعا
ولم يزل سميعا فالاستوى على العرش حال من احوال الله تعالى كسامع **فصل**
كم افسدت طريق المتصوفه والمتزهدين من بدن ودين فان العوام
يعتقدون فيهم ما لا يعتقدون في العلما فاذا تابوا وحجبوهم امروهم بالتقلل
والبس فضعفت ابدانهم وتغيرت اذهانهم وخرجوا الى امراض ربما اخرجتهم
الى التلف وتركوا احباب واحبات وان كانت لهم عايلة ضاعت وان كانت لاحدهم

روحه صارت الما وهذا كله خلاف الشريعة فاسمع من عالم نصيح ودع قول
الجهلة المتحرقين لا تمنع نفسك ما يصلحها وانت اعلم به ولا تعمل في تعليل غذائها
الذي لا قوام لها الا به بلى ان كانت عادتك الشبع فقلل متدرجا الى ان تعف
النفس على ما يصلحها وتحفظ قواها واياك ان تغتر بما تسمعه ان فلانا بقي
عشرين يوما لا ياكل فليس هذا من الشرع وان سمعته عن قوم صالحين فلك
اتباع العلم اولى وربما يكون بعض الصالحين قد فعله لسبب والمعنى وعليك
بطريقة الرسول واصحابه وقد قال احمد بن حنبل كان ابن عباس يواصل
وانا اكرهه قلت ولعله لم يبلغه النهي عن الوصال فان كان الذي يصلحك
ملذوذا فلا تنظر الى لذته بل الى منفعته ولا تقولن هذا فيه لذة فلا تتناوله
اذا كان حلالا نظرا الى منفعته واعلم ان لذاته يستخرج منك عبادة تشبه
السكر لا تخرج الا عند اللذات ولا آفة اعظم ان تترك ما ينفعك ليقال
زاهد فهو الهلاك والشرك الاصغر ثم ان الناس يتفاوتون في المطاعم
فلا امر البدوي بنعم الحضري بل كل انسان يحمل ما يطيق ويصلحه والسلام
وهذا الذي حذرت منه كان قدما الصوفية فانهم كانوا معرضين عن
الدنيا بالكلية لكن كانت عبادتهم بغير علم فاما اليوم فلبسوا على تلك
الطريق انما ايامهم ايام اكل وشرب وبعاد المطبخ حار والحمام مفتوح
والمطاعم الشهية والاغاني الطيبة والراحة الدائمة ومعاشرة اكابر اهل الدنيا

والكبر على الضعفا

والكبر على الضعفا فما عندهم من التصوف الا القميص فصل صغر في خلوة
خطرت لي فيها مناجاة روحتني جدا قلت فيها الهي وسيدي ان ابتليتني فبمن
يشفع لي لم اقدر على الكفر من انعامك في حقي باستخراجي من اصلاب الجهال وركز
حب العلم في حبة قلبي حتى انني منذ خرجا الا بتحريك ولا بتحريك طلده ثم
عصمتني في زمان الصبوة عن مخالطة ابناء جنسي والهمتني في حالة البلوغ واخماد
نيران الهوى الزهد في الدنيا ودوام الصوم وقيام الليل فلما ذهب رعاك
وادل الصبي بنفعه عن نيل المراد من العلم اقبل بي دعوا الناس اليك واقبل الخلق عليك
فقد رجع بسبب موعظي الى بابك الوف لا احصيهم فانا اتوسل اليك بذلك الا
واستجير به من ذل هذا الاعراض الهي وعزتك انما ينقطع الرجا من جهة تعلق
تاخري ولا من جو سواك سيدي بلغني ان بعض الشعرا مدح بعض خلقك فقال

اذكر حاجتي ام قد كفاني • حياوك ان شيمتك الحياء

وقال الخراز فاصبر لعادتنا التي عودتنا • او لا فارشدنا الى من نذهب

وقال بعض خلقك اني لاستحيي ان يكون ذنب لا يبلغه عفوي او جهل لا يسعه
حلمي وبلغني ان رجلا زور على ابن معروف القاضي الى بعض الوزرا على لسانه
قصة له شفاعة فيه فدخل ابن معروف على الوزير والرجل قايم والقصة بين
يدي الوزير فلمح القاضي على راس القصة ما قد كتب الرجل فاسقط في يدي الرجل
فقال القاضي للوزير ادن هذا الشخص على اوجال سعيت بعد كتابتي

للشفاعة فيه فانه الورث عليه وولاه وترك القاضي شغله الذي جا فيه توفير
الشغل لذلك الشخص فلما خرج قال القاضي للرجل ما كنا بالذي نخيب من
علق رجاه بنا فيا الهي وسيدي انت خلقت تلك الارواح وانت اكرم واكرم
والطف ومالي اليك وسيلة سوى انعامك علي ولطفك بي فعليك لا تحرمنيه
وبجودك لا تقطعنيه واكشف كربي فقد مسني الضر وانت ارحم الراحمين •

• لم يدع لي الذنوب عندك عذرا • طالما قد قبلت عذري دهرا •
• فاعف عني بلا اعتذار فاني • بالخطايا اقر سرا وجهرا •
• فثنى عتابي الى اعتقادك انظر • اي هفو وذاك بالعفو احرى •
• بين ذلي وبين عزك بون • يقتضي من التجاوز شطرا •
• ثم ان شئت فعاقب بما شئت • ولا تجعل العفو هجرا •

فصل انما ارسلت النذر لتنبه قبل الهجوم والمحذور وقد جعلت
مبادي الضعف نذيرا للموت فالعاقل من انتبه لنفسه اذا جاءت الكهولة
فانه زمان نقصان القوتين الشهوانية والغضبية ومن ضعف عرف
فتلك غنيمة ينبغي مبادرتها وزمان الغنيمة التاخير لان قوة الشباب
قد ذهبت وقوة الكهولة قوية لضعف المضاد فهي كساعات الصحو من كسر
الشباب قد ذهبت وينبغي للصاحي ان يتلافى من صحوه ما فرط فيه
ايام سكره وفي حال الكهولة يحسن الندم على الماضي ويصح الاستدراك

للماضي

للماضي فاما في الشيخوخة فانه انما يقع الندم بحسب الضعف لا والعمل لا استدراك
واعلى من هذه المرتبة من نهى هواه في حال الشباب فتلك مرتبة عالية ويليها تدارك
الكهول فاما الشيوخ فالمنافة للضعفاء نسال الله عز وجل يقظة تامة وتداركا
كاملا انه برحمته قادر من خلق عالي الهمة كان حبيسه دايم التعب لان العقل
لا يدع للجسم راحة كما قال الرضي • ولكل في العلى جسم عليه • وبلائي من تفاوت همتي •
وسبب هذا ان اشرف العقل على العواقب ونظره الى الفضائل كدا البدن بين طلب الافضل
وبين الحذر من نقص او عيب وانما يقع الراحة من باب الغفلة ولا غفلة لكامل العقل
فلا جرم ترا ابدانهم نحيلة ووجوههم متغيرة وبكاهم دايم فهم سادرون للخطرات
ويتامرون على الفضايل فهم يطلبون غاية العلم وغاية العمل فتلك والابدان كما قال
المتنبي شعرا • واذا كانت النفوس كبارا • تعبت في مرادها الاجسام •
وهولا القوم لا يصلح لاحدهم مخالطتهم الا ان يكون من جنسهم ثم بعد هذا فان
الاولى بهم ان يعدلوا من عندهم بما يوجب نوع سكون ومن الخوف بما يوجب نوع
رجا وليلطفوا انفسهم في ان يفسحوا لها في بعض المباحات وقد كان النبي صلى الله
عليه واله وسلم يمزح ويكثر النكاح ويسابق عايشة وكل ذلك ليعدل ما عنده من
شدة الجد وربما راى منهم هذا بعض الجهال فقال هولا اهل جد فما لهم يفسحون
ولا يدري ان الاشيا انما تعادل باضدادها فهو لجهله احوج الناس الى ذكر الموت
وهم احوج الناس الى نسيانه لانه حاضر بين اعينهم ابدا فقد نغص عليهم عيش الدنيا

وقد قال بعض الحكما ينبغي للعالم ان يترك الفكر وقتا ما لئلا يهلك بدنه شدة الفكر

فصل وقد ظن اقوام ان الزهد يرقى بصاحبه الى تغيير طباعه واحتجوا بقول عيسى بن مريم عليه السلام في الذهب والحجر هما عندي سوا ويقول حارثة استوى عندي حجرها ومدرها ويقول ابراهيم بن ادهم لا اشتهي الشهوات ويقول بعضهم ليس مصادفة في جنة من لم يتلذذ بصبره واعلم ان الامر على غير ما وقع لهم فان الله عز وجل لما امزجه الصحيح مشتاقة الى ما يشتهيه الادمي يكره مما حل في طباعها من حب وكراهة فاذا ادعا مدع تغيير طبعه لم يخل من حالين اما ان يكون كذابا او يكون قد حدثت به افة كما قال عمر بن الخطاب لرجل ما يمنعك من النكاح الا عجز او فجور وانما اراد عيسى بن مريم عليه السلام ان الذهب والحجر عندي سوا في اداء الحقوق وفي الاعراض عنهما على سبيل الزهد فاما ان يكونا سوا من حيث الطبع فلا فان ذلك عاهة لا يمتدح به وكذلك قول حارثة وكذلك قول ابراهيم بن ادهم لا اشتهي لانه لما علم انه مسئول عن كسب ذلك وانه معوق له عن الفضايل لم يستهيه من جهة الدين لا من جهة الطبع واما من يلتذ بالالم كما قال عبد الصمد وقد قصده رجل يوم عيد بما افقال له بالله عليك دعني التذ بفقري فانه لا يعني من جهة الطبع اذ الطبع يكره الفقر وانما يعني من جهة ما يتعلم بفضل العاقبة وتحقيق ما قلنا ان يعقوب عليه السلام تالم لفقد يوسف فبكا وقال يا اسفى وايوب قال مسني الضر ونبينا

عليه السلام

عليه السلام يقول ان العين لتدمع وقال عند النزع واكرباه فما تغير الاشيا في الطباع وانما يتحكم اقوام عواقب الامور كلها كما يلتذ المسافر بالارباح فينسى تعب السفر ويلتذ المريض العافية في شرب الدوا والمرفيفرح بذلك طاير جوا وان كانت معاناة الالم لا تنكر فافهم هذا ولا تغتر باقوام شطحوا في الدعاوي فلو مس احدهم مرض لاستغاث وما اهول القول وما اصعب العمل

فصل نصيحتي لاصحابنا الحنابلة اعلموا وفقكم الله تعالى انكم اصحاب نقل واتباع وامامكم الاكبر احمد بن حنبل كان هذا شانه فقال وهو تحت السياط كيف اقول ما لم يقل وقال لبعض اصحابه لا تقل في مسئلة لم تسبقك فيها امام وكان يقدم الحديث الضعيف على القياس كل ذلك ايثار للنقل والاتباع ونهى ان يقال لفظي بالقران غير مخلوق فاذا ثبت ان الاتباع كان شعار له فاياكم ان تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه ثم تقولوا يكلم فقط في التلاوة والمتلو والقراه والمقروا وبلغكم عنه انه قال الاستوى من صفات الذات ومن صفات الفعل فمن اين اقدمتم حتى كلمتم بهذه الاشيا وقال بعضكم ينزل بذاته وقال الاخر ينتقل اذا نزل وقال الاخر يتحرك وقال بعضهم يوصف بيد زايدة على الذات وهذا كله ابتداع وهو اقبح الاشيا ممن ينكر البدعة ثم قلتم في الاحاديث تمر على ظاهرها فظاهر القدم الجارحة وهذا قبيح وانما ينبغي ان يقال تمر كما جات اي تقرا ولا يقال فيها شي فافهم فرق ما بين الكلمتين وهل هلكت النصارى الا بالاخذ بالظاهر

فافهم

فانهم لما قيل لهم في عيسى روح الله اعتقدوا ان الله صفة هي روح وحلت في
مريم فينبغي لمن تتبع طريق السلف ان يمر الاحاديث على ما جاءت من غير تفسير ولا
تاويل ولا يفهم منها ما فهم من الحسيات فاما من قال استوى على العرش بذاته
او ينتقل في نزوله فقد اجراه مجرا الحسيات تعالى الله عن ذلك وما جاءت هذه
المفسدة الا من قبل الزيادة على النقل والقول بمقتضى الحس والا من قرا الاية
والحديث وسكت سلم وينبغي لا يهمل ما ثبت بالعقل وهو الاصل فانا بالعقل
عرفنا الخالق وحكمنا فيه بالقدم وعلى غيره بالحدث فاصرفوا بالعقل عنه
ما لا يليق به من تشبيه او تجسيم وامروا الايات والاحاديث كما جاءت من غير
زيادة ولا نقصان وقد سلمتم ولا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح
ما ليس منه ولا تقولوه ما لم يقل فلقد كسبتم هذا المذهب شينا قبيحا حتى
صار لا يقال عن حنبلي الا مجسم ولو وقفتم على ما وقف عليه صاحب المذهب لم
يتطرق على المذهب شين ثم زينتم مذهبكم بالعصبية للتزيد وقد عرفتم
من صاحب المذهب جواز لعنه ولكن خالف بعرف نسال الله لنا ولكم
الاصلاح فلقد كثر فسادكم **فصل** قد ثبت عند العقول النيرة عظمة
الخالق وانه المالك القادر فينبغي مع علمها ذلك ان تذل للقضا به وقدره
غير متعرضه ولا مستخطه لان المالك يفعل في ملكه ما شا فاذا انزل المرض
والنكبة والموت وجب على العاقل تسليم الامر الى المالك بمقتضى علمه بملكه

وما شنعا

وما شنعط قضاه من عرفه قط الا تراه يقول للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
فلا وربك لا يومنوا حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
مما قضيت ويسلموا تسليما الا تراه جعل شرط الايمان زوال الحرج من قضايا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يريد زوال الحرج في قضاياه واقداره جلا
والله لا يتحقق الايمان بالله الا بالرضا بالقضا لعلم المقضي عليه انه مالك يفعل ما
ان شهادة العقول له بذلك توجب تسليم الامر اليه ولو قطع واهلك ولم
يعد ولم يجاز ولم يثب اي ابليتكم واحمل الاثقال عليكم ثم اميتكم ولا يثيبكم
لكان ينبغي للعقول ان تقول لا اعتراض عليك في ملكك ثم ان علمي بعظمتك وقدرتك
توجب ذلي لك وانقيادي لامرك وقد روي انه يقول لملك الموت يوم القيمة
منهم لا يحيى ابدا ثم ان مطيعي الجن يصيرون ترابا فانه اذا اعادهم ثم
لاظهار قدرته قال كوني ترابا فتكون فلو انه فعل هذا يا بن ادم لكان ينبغي لك
ان يسلم لامره ويحقق طاعته لانه اهل ان يطاع اما لكونه مالكا او لكونه قادرا
عظيما قد ادهش قدرته العقول في تحمل الابدان على الذلة والانقياد له
فكيف ولم يفعل هذا بل وعد بالنعيم من ساعة الموت فقال الذين تتوفاهم الملئكة
طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة ثم وعد بحسن المصير بعد الموت وقال
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون وقال
نبينا صلى الله عليه وآله وسلم نسمة المومن طير تعلق في شجر الجنة اي تاكل وقال

وقال القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار ثم وعد بنجاة المومن
من الكرب في شدايد القيمة فقال يوم يحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقال نبيه صلى
الله عليه وآله وسلم القيمة نزهة المومن ثم اظهر حشمة المتقي عند ورود النار
فهي تناديه جز يا مومن فقد اطفى نورك لهبي ثم وعده كلما يقر به عينه حتى
الحاق ذريته به فقال تعالى واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم ثم ذكر
ما اعد له في الجنة فاكثر من ذلك في القران وجمع الكل في قوله وفيها ما تشتهيه
الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون وقال على لسان نبيه عليه السلام
يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر ثم الخلود الدايم في جواره والوعد الكريم برويته ولقايه وسلب
الاعراض وما لم يخطر على القلوب من حسن عطايه فوجب طاعته وامتثال
امره ولو لم يعد بعد الموت حشرا لازما في العقول الموضع ملكه والاعادة وهذا
الخير كله مع خلود الابد استرجاح من فضله فالويل لمن لم يعش معه ولم يمتثل
امره ولم يعلم قدر نعمه والخسران العظيم لمن اثر خلافه وتجافا عن طاعته فلو لم
يكن في مخالفته بعد الاقدام في محا الدنيا فكيف والعقوبة الدايمة بمخالفته
واعظمها اعراضه نسال الله عز وجل ان يجعلنا ممن اقبل اليه وقبل منه ولم
يعرض عنه ولم يعترض عليه انه قريب مجيب **فصل** واعجبا من غفل
يقوى حتى يبلغ الى مرتبة اثبات الاله واصلاح امر الدنيا وحفظ البدن



والاختبال في المعاش بصنوف التصرف ثم يقهره الهوى فيقف مع الحس الناقص
والاسفا الجوهر يسع بغير ثمن يدخل الى هذا الكون ويجلي عليك عرايس الموجودات
ويعرض الارباح ويحرك للخدمة ويقرب الى باب الملك فيصير كملك الى الهوا كالبهيمي
كانك لا تدري ما قيل فيخرج اقبح حالا مما دخلت اترى لو عرفت الحبال العاندكرت
اترى لو اعدت النار للحديد ماذا افلحت يا نفس من سوء حوان يهيم له
النادب مضي النهار وهمتك جمع الحطام ويذهب الليل على جفنك في المنام
وغاية امرك قضا وطر من شهوة يحل مصحف بين يديك ما لك مع قوام الليل بضاعة
ولا لك مع الصوام تجارة ولا في اهل المعرفة نصيب واحسرتا على ميت وهو حي
وعلى دفين وهو يمشي على وجه الارض وعلى جماد يتحرك **فصل** طالما تقيان نبينا
على حرفها الزهاد والقصص فترى الزهاد لقلة علمهم يبنون امورهم على الاحاديث
الضعاف والكذب والتي لا اصل لها فربما رايت الزاهد لا يزيد على جبة صوف
وبنى على حديث يروى من ترك ثوبا باحسانا حبره امه من الحور العين وهذا حديث
لا يثبت فلو بلغه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس حلة اشتريت له بسبعة وعشرين
بعيرا وان تميم الداري اشترى حلة بالف درهم كان يصلي فيها بالليل القصر عن
هذا وربما قال فقد لبس عمر ازارا فيه اثنى عشر رقعة وكان علي يلبس الثوب الدون
ويقول هو اجدر ان يقتدي به المرء المسلم فهذا الايثار كان من القوم فعلوا
هذا في بعض الاوقات وكان هذا اعادة لهم لا يستمرون بها ولا يتحرا بدانهم عن

خلها كلوها عادة لانهم قصد واما يفصده المتزهد من لبس ثوب مصريه
شهرة ويعجز بدنه عن حمله ولا انكر القنوع باليسير وانما النهي عن شهرة او حمل على
النفس ما تعجز عنه وربما رايت الزاهد لا ياكل تفاحة ويقول الدنيا مذمومة فيحمل
على نفسه ما تعجز عنه ويحرمها قواها وقد كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
ياكل الحلوى والعسل والدجاج وغير ذلك وقد كان جماعة ممن يتبرك بهم من الزهاد
يحملون على انفسهم فوق الطاقة كما روينا عن فلان انه بقي اربعين سنة يشتهي
باذنجانة فلا ياكل ويقول تركته لله وعن فلان انه بقي سبعين سنة لا يضع
جنبه الى الارض وعن فلان انه نظر الى امراة فلطم على نفسه فقعرت واشياء
يكره ذكرها عن قوم ظننا بهم حسن ولكن الشرع لا يحابي فيه هولا عصاة الله
تعالى بمنعهم نفوسهم ما يصلحها والاضطجاع والنوم وغير ذلك ثم قد جعل في
النفس ميل الى ما يصلحها فتارة تميل الى الحامض وتارة الى الحلو فهي اهدى
الى مصالحها فلا امنعها الانسان ذلك منعها حقها وقد قال
عليه السلام ان لنفسك عليك حقا وهل سمع عن رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم واصحابه مثل هذا وانما قل علم اقوام فظنوا ان في نفس
الترك قربة وانما القربة بترك ما شكل في كسبه او لما يخاف عاقبته فافهم
هذا ولا تغتر بقول معظم في النفس من الزهاد قل علمه والطريقة
الثانية طريقة القصاص فانهم لقلة علمهم يروون الاحاديث

الموضوعة

الموضوعة ويستميلون بها قلوب الناس ويرسمون احوال يخرجونها مخرج
المدح فتر العامي يميل الى ذلك فيفسد عليه بدنه ونفسه وربما قالوا من اشترى
شيا الى شهر فهو من طويل الامل ويروون ان شعيبا استاجر موسى عشرين سنة
ويقولون من قال هذا الطعام يضرني فقد اشرك ويروون ان رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم قال اما انك اكلة حتى تعاودني فالان حين قطعت ابهري
ويذمون من يجمع المال ويروون ما كان لطلحة والزبير وشرح هذا يطول
الا اني اقول المحقق في هذا رفض فضول العيش الشاغلة عن الطاعة المورثة
للعجب المؤثرة في النظر والغفلة فاما حرمان النفس حظوظها التي بها يكون
القوام فليس من الشريعة في شي وانما هي رهبنة سرقتها طباع الزهاد من عيسى
عليه السلام وليست من شريعتنا فاذا اردت تحقيق هذا فتامل على الرسول صلى
الله عليه واله وسلم وعلى صحابته وانظر هل سمعت عنهم مثل ما ابتدعه الزهاد من
تقليل المطعم والاقتصار على حلق الخبز من غير ادم وانما حدثت بدع فان
قلت فقد كان عمر لا ينخل الدقيق قلت هذا شي لفقه القوم فلم يؤثر عندهم فان
كنت الفت الصوف بحيث لا يؤذيك فلا امنعك انما امنع مترفا يدخل في طريقة
الزهد فيحمل على نفسه ما لا يطيق او قاصا حرض الناس على مثل ذلك ويبنيان
جميعا على احاديث واهية والصحيح منها قليل وله فقه ووجوه نسال الله
عز وجل الفقه الذي به يخلص المستنبط ويطلع على بواطن الامور بمنه وكرمه

فصل تاملت وقوع الشدايد بالمومن ووجه الحكمة في ذلك فوجدت
المراد اقامة القلب على باب الرب سبحانه وتعالى فالشدايد توجب اللجا والتضرع
والاستعانة بالمبتلي وكلما اشتدت ادام اللجا وقوي الانقطاع اليه عمن سواه فاذا
كشف الشدايد اوجب لك الكشف قيام القلب على نا الشكر ولولا الشدايد ما عرف
اثر زوالها فان العافية لا يعلم مقدارها الا عند المرض كما قال القايل •
• ولولا الهجر ما حمد التلاقي • فبان بهذا ان النعم في الشدايد اكثر منها في السلامة
لان الطبع يشرح في تادية السلامة غافلا عن المنعم فان ذكره فبقلب غافل وان
شكره فلا عن حرقة والبلايا ترجح انزعاجا والشكر على زوالها توجب قلة حضور
واخلاص حمد هذا مع ما يدخر من الاجر على البلا للمومن فسبحان من في
طي اعسافه اسعافه ونعم الشي يوجب اقبال العبد على معبوده فادل البلا
نعم فافهم هذا وقد زال التانف بالنوازل • فصل واعجبا ممن يعترض
بعقله الناقص على تدبير الحكيم التام الحكمة اذا ثبت انه مالك وحكيم لم يبق
للاعتراض عليه وجه هذا لو كانت قوى العقل تدرك كل شي وتعلم وجوه الحكمة
في كل امر فكيف وهو قاصر لذلك يعجز من ادراك بعض المخلوقات فسلم ومن هذا
شانه فكيف يعترض على الخالق واقبل النصح ولا تعترض عليه بحال ان شئت لكونه
مالكا وحكيما وان شئت لعجزك عن ادراك حكمته هذا موسى مع علو قدره
خفي عليه مقصود الخضر في افعاله فقام منكرا للحال فلما بانت له المصالح

في تلك

في تلك الافعال سكن وقد كان الخضر في مقام دون موسى وموسى في مقام
كامل فاعتبر حالك مع الحق فالامر عندك بالعكس لانك في مقام نقص وفي
نقص وهو البري عن النقايص اولا يستحيي من سلم روحه الى الطبيب نصراني
الحكيم يتحكم في قطع جلده وتعبيرا دويه تخاطر بنفسه تسليما لعلمه ذلك وظنه
ثم لا يستسلم لحكم باريه وخالقه لقد ناقضت في فعلك اقبح المناقضة والله لو
لم يطلع على سر تكليف ونزول بلا قط لوجب التسليم للمالك الحكيم اما لكونه
مالكا او لكونه لا يعبث فكيف وقد اعلمنا بوقوع الثواب عند النوايب وما اخلانا
من عوض عن المفقود ولا من جزا عند الالم وقد يكون البلا عقابا بالذنب فيبين لنا
بالعقاب على التحذير مما عاقبنا عليه والتخويف من عقاب الاخرة عليه فمن فهم
ما شرحته سكن للاقدار سكون مسلم مستسلم فصل ما اكثر من يغلط في
الاصول بقول القايل لو انتفى الكلام ثبت ضده وهو الخرس وهذا انما يكون
في المدركات واهل التاليف فاما ليس بمولف فلا يثبت له النفي لامتناع
ضده وبقول القايل الله سبحانه في السما وعلمه في الارض ويريد ان ذاته في
السما على ما يعقل هو فماذا يصنع بالعلم والعلم صفة لا يفارق العالم
افتراه يعني ان نفس علمه في الارض كلا وانما المعنى ان علمه محيط بمن في الارض
فقد اوجب الدليل تاويل احد اللفظين فان امر اللفظ الثاني على ما جا في القران
من قوله اامنتم من في السما لم يكن لاحد يرد عليه وان فهم منه ما يفهم من الاجسام

فذاك محال في حق الاله فالمتحصل من هذا انه ينبغي للعاقل ان يرى الايات والاشياء
كالحاجات ولا يفهم منها ما يفهم من صفات المولعين المخلوقين فذاك محال على
الخالق **فصل** من قوة الغفلة النظر الى صورة الاشيا لا الى معانيها ترى
الناس اذا راوا حضرة الربيع انبسطوا في الفرح واللذات وقل من ينظر الى قدرة
المخرج للرطب من اليابس وللغض من الميت وان يتذكر بذلك بعث الموتى بعد
البلى كما بعث الاغصان بعد المحل وان يستدل بذلك على ما وعد به من نعيم
الجنة فيشتاق او يفهم خطاب الكل بلسان الاشارة الى الصانع بل
تراهم يشربون الخمور ويستعملون الصور ويقابلون النعم بعصيان المنعم
وكذلك عند زيادة دجلة لا يذكرون به الطوفان ولا يخافون الغرق بل يركبون
السفن للمعاصي واللهو وكذلك يخرجون الى المقابر في ليالي الجمع فيجتمعون على
الحرام من اطلاق الابصار فيما لا يجوز لهم فقعود على الرمم ناسين من تحتهم
من الامم وهذا من اعجب العجايب انهم لو كان لعبهم في ليالي الجمع على شاطي الما
او عند الخضر كان اقرب حاله وانما يجعلون ذلك بين القبور ولا يخطر على بال احد
منهم ذكر بال ولا انه عند القوم بعد لنا لا فيما هو من غفله ما اكثرها
وكذلك يفعلون في ليلة نصف شعبان فيخرجون بحجة الزيارة للقبور فيجري
كل قبيح من الرجال والنسا فهولا في صور الايام ومعاني الانعام وكذلك يحبسون
الطيور لطيب النغم وذلك سفه وبطر من احدهم سماع اصواتها ولو فهموا ان

تلك الاصوات نياحه

تلك الاصوات نياحه على فقد الفراخ والاوكار لكانوا الى البكا اقرب منهم الى الفرح
ولقد فهم هذا بعض المستيقظين فقال شعرا •
• اقول وقد ناحت بقربي حمامة • ايا جارتي هل تشعرين بحالي •
• تعالي ترى روحا لدي ضعيفة • تردد في جسم يعذب بالي •
وقد منع اصحابنا من حبس الاطيار وتموه سفها قالوا ابكي ذبحها لحاجة الاكل
وما هو بعاقل ان يعذب حيوانا مثله ليلتذ هو وقد حكي من كثرة ممارسته
الصيد ان بعض الكلاب اذا راى الغزال قد قصر لمرض ورى عنه الى غيره وهذا
خلق مليح وهو ترك الميل على الضعيف فنوبا الادمي القاسي القلب كيف يرى المحسن
متابع على حسنه ولا يعين عليهم ومن اعجب ما يرى في محابس الاطيار الذين
يلعبون بالسماني فانه لا صوت طيب ولا لون مستحسن وهم يبذلون الرغايب
فيها ولقد غفل اكثر الناس عن الاخرة فصاروا في معاني البهايم **فصل**
اكثر الناس مع الهوى المجرد وان قيل لا تلتفتون في موافقته الى عقل ولا الى شرع
ومن اعجب الاحوال خروج قوم الى قتل السبع يتعرضون له فربما قتل بعضهم وربما
جرحه والمقصود اظهار الشجاعه ولا يبالي بالمخاطره بالروح ولا بعقاب الاخره
والموهوم الجاهل هواه عن ان جهاد الهوى خفي عن الناس فقد لا يعرف عن الريا
ومن ذلك مشي السعاده في اشد ايام الحر يمشي احدهم ثلاثين فرسخا كل يوم فيخاطر
بالروح ليقال ما اجود ما فعلت ولينال عوضا من الدنيا فهو يترك الصلوة ويخاطر

بالنفس لذلك كما قيل • وكل امرء قاتل نفسه • على ان يقال الدانه • واعجب منه الذين يتعصبون
له وينفقون عليه الاموال ويخرجون في نصف النهار فيمشون الفرسخ والفرسخين
لتلقيه ولقد قال لي بعضهم ادع الله فقلت يا قليل العقل هذا لا يخلو من ان
يكون كافرا وهو مذهب احمد لترك الصلوة او ما سعا عندنا في الفقها لترك الصلوة
ومخاطرته بالروح فيما قد نهي عنه فعصبتكم له تعينه على هذا ومن اعان عاصيا
فقد عصى فقال بعضهم هذا من اهل السنة وغدا يعدو ساعي الرافضة قلت
ما نريد ان يكون منا من يعصي الله ولا خير فيمن يرضى باضافة هذا اليه ولو
ان الناس اعرضوا عن مثل هذا ما سعى احد فسعيهم في المعصية له يوجب
سعيه وحمله على نفسه ولقد تكلمت بمثل هذا مرة فقال لي بعض اخواني قد
شاع هذا عنك فلا تفعل فان اكثر صدور اهل الدنيا يتعصبون لهم فربما
قالوا هذا يومنا فقلت واعجبا لزمان لا يمكن فيه قول الحق وكم قد سمعت عن
شيخ كبير السن ممن يتزيا بالعلم انه يتعصب له ويدعوا له بالسلامة ولكنهم
شيوخ الاسنان صبيان العقول ما ادبتهم الشريعة ولا ذاقوا طعم
الاسلام انما هم مع العادات نسال الله عز وجل ان يجعلنا **فصل** رايت كثيرا
من الخلق يحرفون في امورهم المحتقرة جريا مع العادة فاني حضرت يوما في املاك فقدمنا اطباقا فيها حلاوة فرايت خلقا يملون كامهم منها
فقلت هذا حرام محض لانه انما قدم ليوكل لا ليحمل وهذا عرف فيها بطي

حقيرا

حقيرا او هو عظيم فان الاخذين لو قيل لاحدهم خذ فوطه رجل من راسه
بباب الدار قال لا يحل لي ولا افعل وانما جروا في هذا مع العادات ولكنها عادات
الجهلة والعجب ان الناس قد اختلفوا هل يجوز اكل الطعام اذا قدم او يفتقر الاكل
الى اذن من صاحب الطعام وقالوا لا يجوز للاكل ان يرمي الى السنور بلقمة وكان
ابن سيرين اذا دعي الى طعام شرب شربة سويق قبل ان يحضر ويقول اكره
ان احمل شدة جوعي على طعام الناس وهذه التحريفات تقدح في الدين ومن هذا
الجنس ان يرى الرجل قوما قد دعوا فيدخل معهم ولم يوذن له فان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاه رجل في جماعة من اصحابه فتبعهم رجل فقال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا قد تبعنا فان شئت اذنت له والا رجع وهذا
الذي ذكرته انموذج ما يفعل من الاشيا وهي عظيمة في باب المعاصي **فصل**
ينبغي للعاقل ان لا يعمل شيا بفورته لا في الغضب ولا في الرضا ولا في حال اصلا
يوجبها فوره فان الانسان لا يكون حينئذ معتدل الطبع ولا يرى الصواب
حينئذ ولا يبين له ويكون مثل العاشق لا يهتدي الى الراي الاصوب فاذا سلا
عرف قبح ما كان فيه وكذلك الغضبان فانه قد يفعل بفورة الغضب ما يندم
عليه اشد الندم وكذلك السكران وكذلك المطروب فانه قد يهب ويعطي ثم
يندم وههنا يحسن الورع في حق المعطى فانه ينبغي له ان يتورع حينئذ عن الاخذ
لان المعطي مغلوب واذا افاق ندم ومن ههنا قيل لا يقضي القاضي

اثنين وهو عصيان وذلك لخروجه عن حد الاعتدال وهكذا من راى رايا
لسبب اقتضاه فانه ينبغي ان يحمل فكره فيما راه في احواله المختلفة ليحكم فيه
بالاصوب عند اعتدال مزاجه ولولا هذا الذي قلته ما نصبت المجالس
فان الانسان قد يعجبه الشي فيسره وقد يحرص المالك بالبيع ملكه عن يده ولا
يحاول السلو عنه فاذا سعى خروجه من يده طلبه وقد يبذل المشتري لفوة
رغبته في الشي فوق ثمنه فاذا سكن لهيب الرغبة ندم فجعل الشرع قدر المجلس
قدرا للنظر والتامل وقد قال بعض الحكما خير الراي خير من فطيره وكذلك
قال الله تعالى وشاورهم في الامر وذلك يعد اشيا منها ان يسكن العازم على
الشي بفورة العزم الى ان يمضي زمان المشاوره ومنها انه ربما رأى الشي
بعين هواه والمشاور لا يرى ذلك فيحكم المشاور بالاصوب لبعد هواه في المشورة
بحلاوة صاحبها ومنها ان اجماع الارا يوجب استنباط الفكر فتظهر كل فكرة
بما عندها فيتبين الصواب والحق اذا ظهر لم يخف فيحصل من هذا انه لا ينبغي
لمن عرض له امر لسبب ان يقدم دون ان يتوقف لينظر في عواقب الامور لعدم سكون
فورة الهوى والسلام **فصل** سمعت عن بعض القدما انه قال اذا
ولي اخوك ولاية فاقنع منه بالسلام فبحثت عن السبب فاذا به ان الغالب
في ذي الولاية انه يتكبر بها على اخيه فلا يصلح له ان يطلب منه ما كان في حال الفقر
والرياسة سكر حتى ان خمارها يبقى في الانسان بعد العطلة فربما بقي الاولاد

فيريد

فيريد ابن الوزير الذي قدمات ابوه ان يعامل بما كان يعامل به ابوه وهو وزير
وهذا كله اثر خمار الولاية فينبغي ان يجتنب صاحب الولاية لان الغالب فيهم
ما ذكرته وانما علمهم على التكبر تعظيم الرياسة عندهم وانما عظمت عندهم لعظم
قدر الدنيا في اعينهم واما طلاب الآخرة فعندهم لعلمهم ان هذا فلا تغيرهم ولاية
الدنيا بل يزدادون بها تواضعا وانما همهم في مراتب الاخرة عليها بينا فنسوا
ومن هذا ما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه لما ولي الخلافة سمع
امراة تقول كان يحلب لنا والان ما يفعل فقال بل افعل وخرج الى السوق
بعد الخلافة ليتجر وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدخل الى بيت عجوز يكنس
ما تحتها وكان ابو هريرة يحمل الحطب على راسه وهو امير المدينة ويقول طرقوا
لاميركم وكان عمر بن عبد العزيز يقول لبعض اصحابه اذا رايتني قد زغت
عن الحق فخذ بتلبابي وهزني وقل ما تصنع يا عمر فهولا قوم هانت الدنيا
عندهم فلم تعظم ولايتها لديهم وما احسن ما قال بعض السلف من تكبر في
ولايته دل ان الولاية اكبر منه ومن تواضع دل على انه اكبر من الولاية **فصل**
كنت اتعرض باسباب لتحصيل اشيا فيجيب الظن فيها ولا يحصل المقصود ثم
يحصل المراد في اوقات من غير تعرض بسببه فتفكرت في ذلك واذا به من جنس
قول يوسف اذكرني عند ربك وقد جاء في التفسير انه قد قيل له ذكرت
مخلوقا ونسيتني وكذلك قول لوط لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد

ولو شرحت ما جرى لي في عمري لطال فنا قرتني نفسي يوما وقالت التعرض
بالاسباب من جملة الشرع وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس الدرع
وقد قال عز وجل خذوا حذركم فما وجه لوم النفس اذا وقفت مع المشروع
فقلت لها لا تهرجي علي فاني لا انكر عليك التعرض بالاسباب وانما انكر عليك
المساكنة للاسباب ومن هاهنا تدهين وكان القلب يعرض عن المسبب بمقدار
كونه الى السبب فتقع العقوبة وعلامة ذلك انه لا يتبع الانسان في السبب
بمقدار المشروع لان المشروع في الاسباب ملابستها صورة فاما مساكنتها
بالقلب فعلى ذلك تقع المواخذة ولا يواخذ الا المتيقظ كما وخذ يوسف
على انني تلمحت لنفسي معنى ادق من هذا وهو انه سبحانه وتعالى يريد ان لا يبقى
عليه بقصد ذلك الميل وان تكشف بيني وبينه كل حجاب فيريني مع اجتهادي
في الاسباب بطلانها لا ارى المسبب وحده فكان يقول لي يا عبدي اما رايتني
قد دللتك على كل دليل حتى انني اخلق اشرف المخلوقات من احسن المواد ومن يخلق
مثلك من تلك النطفة المهينة ينبغي ان يكون التلمح لقدرته والتعرض لفضله
مع البراءة من الميل الى الاسباب فقد علمت ما جرى للمتيقظين عند نظرهم الى
السبب ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيا ولقد نصركم الله
ببدر وانتم اذلة فسبحان من دل عليه بكل دليل واخرج الخواص من جملة
العوام فكشف الحجب وقطع تاثير الاسباب بالله ان يرزق عبده الموحد

الامن حيث

الامن حيث لا يحتسب فاذا سعى ان يكون الوقوف مع الاسباب لامتثال امر الشرع
مثل ان يتدرع في الحرب لقوله تعالى خذوا حذركم ويسعى في طلب الرزق لقوله
فامشوا في مناكبها وقوله وابتغوا من فضل الله ويكون قلبه مع المسبب وحده
من غير تلمح للسبب فان شكر السبب فلامر المسبب كما قال ما نفعني مال كمال
ابي بكر وانا احكي عن نفسي قل ان اميل الى سبب رجوته رد شيا الا وعطف ثم
ياتيني مقصودي من غير سبب وما ذاك الا من لطف الحق سبحانه فما ادري على
النعمتين اشكر حراستي من الميل الى السبب ولا التي على المسبب بعزل السبب
جل المنعم علي بما لا استاهل والمعلم لي ما لم اكن اعلم

فصل من الخطا العظيم
افتتاح المحدث بما حصل من اجزا الحديث من غير اشتغال بالفقه فانني رايت
بعض مشايخ الحديث يرى عنده في الاجزا احاديث فيقول بها ويعمل وهي اما
منسوخة او متروكة او جات بمعنى او ضعيفة النقل ولقد قلت مرة لبعض اصحاب
الحديث يكره ان يجهر بالقراءة في تطوع النهار فقال معي حديث ابي قتادة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعنا الاية بالنهار احيانا فقلت سبحان الله ما اقل
هذا الفقه فان قوله احيانا دليل على الاخفات وانما العادة قد جرت
ان المصلي خلف الامام يسمع منه النغمة والاستعادة والاية وهذا كله
لا يسمى جهرا قال فما بلغنا حديث يوجب حظر هذا الذي تقول قلت وهذا ايضا
قلة فهم فاني ما قلت انه محظور وانما قلت مكروه لانه قد جا في الحديث صلوة

النهار عجمي من لم يفرق بين محظور ومكروه فانه لا يفهم دينه واعلم ان المحدثين
في اول الزمان كانوا الى الفقه اقرب فكان الحديث يحثهم على فقههم وجا اقوام
جماع همتهم الرواية لا الدراية فتراهم يحتجون بما يروون في الحديث وان مخالفا للاجماع
وبالعكس من هولا فقها زماننا فان همتهم الجدل فهم مع قلة معرفتهم وجنايتهم
على الاسلام ايضا عظيمة فكم قد خالفوا في فتواهم بالقياس احاديث صحاحا
واعلم ان الحديث كالاساس والفقه كالبنا ولا بنا بلا اساس ولا ينفع
اساس بلا بنا وفي الناس من يجمع بين الشيئين الا انه يفوته المقصود منهما
وهو تحقيق العمل بهما فيظن ان المراد العلم ويغفل عن معاملة الحق عز وجل
به وربما سامح نفسه في الهفوات ظنا منه ان ما صنع من العلم يحميه ولا
يدري ان الحجة عليه اكد وان عقابه في الذنوب اكثر قال عز وجل من يات منكن
بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ونسال الله عز وجل توفيقا
للجمع بين العلم والعمل ونورا في ابصار بصائرنا يهدينا الى المراد من العلم
والعمل انه قريب مجيب **فصل** من فضيلة الحزم النظر في الحال الاتي المال
فان كثيرا من الخلق ينظرون الى عاجل الهوى ولا يلتفتون الى ما تجني عواقبه
وذلك في كل شي من مطعم ومشرب ومنكح وغير ذلك ومن هولا قوم يركبون
البحر فيرون باعين الامال الارباح وينسون خبث المركب وينسون
الغرق ولا يتفكرون في ان فعلهم ذلك مخاطرة بالروح التي هي مراد الدنيا كثير

من الناس

من الناس يكسب قوت يوم بيوم وينسى انه قد يمرض فينقطع عن الكسب
ويحتاج الى النفقة وانه قد تحترق داره وقد يغلو السعر وقد يجري كاشيا البيت في
الحساب وقد يطرقه الكبر ويحتاج الى من يخدمه ويذهب زمان قوته وكسبه
فالعاقل من نظر في العواقب واعد في السلامة ما يصلح للعطب وفي القوة ما
يصلح للضعف ومما وصف به عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان قد اعد للامور
اقرانها فمن قدر على كثرة الكسب اعد منها وادخر ومن كان كسبه قليلا فليدخر
قليلا منه فان القليل مع الزمان يجتمع فان تدهمه نائبة وجدت عدة واهم
من جميع هذا ان يدخر لنفسه عملا صالحا يجده وقت حاجته وان يتهيا
لطارق لا بد منه ولا يدري متى يفجاه وقد قيل في جملة ما ذكرته

يمثل ذو اللب في نفسه … مصائبه قبل ان تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه … لما كان في نفسه مثلا
وذو الجهل يامن ايامه … وينسى مصارع من قد خلا
فان تدهمه صروف الزمان … ببعض مصائبها اعولا
ولو قدم الحزم في امره … لعلمه الصبر حسن البلا

فصل ينبغي للعاقل ان يعلم ان النكاح ياخذ خالص ما في البدن ويترك
الكدر وكم قد راينا من دام عليه واسرع تلفه وانحلت قواه فينبغي للعاقل بنيته
ان يقلل منه لا سيما اذا كان فعله يضعفه مثل ان يكون بارد المزاج او

فاياه واياه واولى من تركه من كبرت سنه الا انه سفع بالترك من امعن في
السن كما ينفع الشاب اذا تركه انما سبع حفظ الجوهر من الاصل فمن وفق للصواب
اذخر جوهرا في شبابه ومن زمان بلوغه ورفق بنفسه ونظر في مزاجه
فان كان حارا رطبا فعل في اوقات وان كان باردا يابسا خافا فذلك اصلا
فاذا اضطر فعل ذلك في كل شهر مره فيبقى جمرة الجوهر من الشباب فينفعه
في الكبر وكلما ارتفع السن فليقلل فاذا بلغ الاربعين فان كان مزاجه حارا
رطبا وهو ياتوق الى ذلك فعله في كل اسبوع مره وان لم يكن مزاجه صالحا
ففي كل شهر او شهرين وكلما علت السن لعد فاذا بلغ الستين فينبغي ان يهجره
الا ان يكون سليم المزاج فيباعد ما بين الفعلين ما استطاع فهذه وصيه
لمن يوثر بقا نفسه وقوته وشبابه ويريد تاخير الشيب عنه ويختار سلامة
العقل والذهن فاما اذا امعن الانسان في ذلك واستفرغ جوهر القوه
في زمان الصبي والشباب ثم تركه في حال الشيخوخه فانه وان اثر قليلا
الا انه قد ذهب خالص الجوهر وسار الحايط وهذا الذي ذكرته اصل
قد اغفله كثير من الناس غلبت على البابهم شهواتهم فاريتهم ما لا يرى فالله
الله من ترك التلمح للعواقب والميل الى عاجل الهوى خصوصا اذا علمت
مضرته في العاقبة ولو كانت الدنيا موضوعة للالتذاذ لم يحصل منها حظ
الادمي الشريف لعذر فان الجمل ياكل اكثر منه والعصفور يجامع اكثر منه

وانما الدنيا

وانما الدنيا بلاغ ولا يصلح الوطي الا لامرين احدهما طلب الولد ولذلك وضع
والثاني دفع الما المحتقن اذا كثر اذى **فصل** من الغلط استرسال الانسان
الى صديقه او خادمه او امراته باطلاعه على اسراره وما يخاف عاقبته ان ظهر
فانه قد يتغير الصديق والخادم والزوجه فيكونون اعرف بموضع المضره
لكثرة المخالطه كما قال القايل • احذر عدوك مره • واحذر صديقك الف مره •
• فلربما انقلب الصديق • فكان اعرف بالمضره • فمن جرت له هفوه من هذا
او فات فلا ينبغي ان يبارز هولا بالعداوه بل ينبغي ان يداريهم ويحافي نفسه
ما فعلوا في حقه فان وجد مضرا يوما اما فعل او ترك وان لم يجد صبر ولام
نفسه على تفريطه الاول ومن قلة الحزم مبارزة العدو بما في النفس فانه تحرض
له على اخلالات الحرب وربما غفل الانسان فاصيبت مقاتله واكثر الناس
على هذا يبالغون في عداوة الاعدا ويزعمون انهم يستشفون بما يفعلون
ويقولون ولا يعلمون انهم يوججون نارا ويسامون وربما اثر فعلهم ذلك
اضعاف ما نفروا منه ولا ينبغي ان يحتقر العدو وان صغر فان البقه تودي
الفيل وانما الحازم يجتهد في احتقاره ويعامل الناس بظاهره معامله مجامله
حتى اذا وقع التباين يوما لم يجد المعادي هفوه يتمسك بها فان فرط امر
من امور الهوى وفات فطريق الحزم ان لا تظهر للعدو ما في النفس بل ان قوي
الحزم مزيد في اكرام العدو ويقصد بذلك كفه عن الانبساط في الباطن

ما الاحتيال على الاذى وحبس لسانه عن كلمه ومنها اعاده الاحسان صديقا
فان قدر الانسان على الصفح والعفو فهو مرتبه الرجال كما قال بعض السلف
اني لاستحيي ان يكون ذنب احد اعظم من عفوي او خطا خاطي لا يبلغه
حلمي ولا امر الانسان مع عفوه ان يعود الى صداقه ذلك الشخص لانه قد عرفه
بالتجريب وانما يصفح في الظاهر ويستفيد بما جرى عرفان ما لم يكن يعرف
وان كان الانسان لا يقوى على الصفح صبر الى وقت امكان المجازاه فاما
المستعجل في مقابله العدو فعلم كم كيف يودي ومنبه له على الاحتيال في
الكيد وهذا كله يبين مقداره بقدر قوه العقل والذكا والفطنه وتلمح
العواقب **فصل** ليس في البلايا اشد من ابتلا العقل وعنده يبين
حال الرجال اذا نظر العقل الى حكمه الصانع وحسن تدبيره في المخلوقات — الرجال
اذعن له واقر بالحكمه والقدره ثم يرى اثار عفوه عن المذنبين وحلمه عن
الجاهلين واجابته للداعين وستره للعاصين فيعجب من سعه الحلم
والعفو واللطف فاذا تلمح النقض بعد الابرام والشده بعد الرخا واستلاب
الاحباب وايلام الاطفال وانعكاس الاغراض وذبح الحيوان وشده النزع
على الموتى وبلا الاجسام في اللحود ثم يعلم بالعذاب الخارج عن الوصف للعصاه
وبالخلود للكفار كاد العقل يتزلزل الا ان يثبته خالقه فيعلم انه كان حكمه
نفيسه الا ان فيها ان تتلقى معرفه الحكم وليس فيها قوه الاعتراض على الفاطر

لا محاذره

لا محاذره من جمله مواهبه وذره من بعض بحاره فان خاض العقل في
التعليل قهر وغلب لانه يقول قضى وعاقب وبنى ونقض وقد كان قادرا
على ان لا ينقض والم وابتلى وهو غني بالعواقب وكلف وهو غني عن التعبد فالواجب
على العقل ان يعلم ان هذه الاشيا تكاليفه ففرضه فيها التسليم لعلمه بنقص
المخلوق بالاضافه الى الخالق وعجزه بالاضافه الى قدرته وجهله بالاضافه
الى علمه فان قنع بالتعليل الاقناعي قلنا ابتلى ليثيب وعاقب لاجل المخالفه
وان ارتفع فهمه عن هذا فقال قد كان قادرا ان يثيب لا بابتلا وان يعفوا
عن من اخطا قلنا له اصلح الاشيا لك الاستطراح على باب التسليم لانه قد ثبت
حكمه بما اظهر من ترتيب هذا العالم وتدبيره وقد ثبت ملكه للكل فاذا
كان مالكا والعيب عليه مستحيل وقد عجزت عن تعليل افعاله وجب
عليك الاستطراح مقرا بالعجز عن درك ما لا تبلغه وليس هذا بعجيب فان موسى
عجز عن ادراك تعليل فعل الخضر والخضر انزل مرتبه منه فكيف والامر
عندنا بالعكس فهذا الاصل اذا تحقق تلمحه زال الاعتراض وارتفع التاسف
بالاقدار حتى في ساعه النزع **فصل** ما رايت اشد ما نقصت الدنيا
في عيني ما لا وقع اصلا فلا الكدا وامرح فيها لا بمال ولا بولد ولا ببلوغ غرض
ولقد اخلقت عندي فصارت كالثوب البالي فلو بسمت فيها كان عن
تكلف شديد ولقد كانت تعجبني كثيرا وكان اشتهي الاشيا عندي دار على

دجله وبساتينهم فيه وراحه انا هاهنا فرحه فلما رايت الاقران يرحلون
ويستلبون على غفلة منهم حتى فرغت المحال والدور ممن كنت اعرفه وبقيت
كالطاير يعني في المحال والدور ممن كنت اعرفه وقد سبب اقرانه يستوحش
لهم تارة ويراقب فتح الباب اخرى فلو اقام ما طاب له ولقد هان على الموت
كثيرا وان كان لا يهون لاني رايت السادات والاخوان ومن كان يطيب
العيش بهم ومعهم قد ذهبوا وانا على ارتقاب ما اتاهم صباح ومساء وارى
معاول النقص تعمل في من داخل توهن القوة وتغير الحال فشهوة الطعام
التي كانت شديدة ضعفت وشهوة النكاح وشهوة التقدم في الدنيا تقوى
مع هذا قوة العقل وحدة النظر وجودة الفكر وانسلخ زمان الصبى المعوق
عن ذلك الذي كان كالسكر الشاغل صاحبه على فكره فصرت لو تلمحت بستانا
كاني ارى المقابر ولو رايت دجلة كاني ارى حفرة لعلمي بان الايام تدفعني اليها
وانما تصانعني مصانعة بغرور الامل ثم الوحدة عن القرنا والاحباب
الذين بهم يصفوا العيش ويطيب الدنيا امر الكل وكلما ذكرت من فارقني
من اهلي وولدي واقراني وجيراني لم يطب لي عيش تارة لفراقهم وتارة لقرب
الرحيل اليهم ثم التفت الى خيمة البدن فاراها تنقوض فالضعف يقوى
والقوة تذهب فما بقي للدنيا عندي وقع اصلا ونعوذ بالله من قلوب
منطمسة الا ترى ما رايت فهي اخر شرط والمهما في اول قدم وما سبب ذلك

الا قلة العلم

الا قلة العلم وضعف الفكر فلما قوي علمي وفكري تنغصت علي لذة الحيوة وانا
اسال الله عز وجل ان يجعل اقبالي على منزل النقلة لاصلح ما يصلح وان يعيذني
من غفلة تؤدي الى ورا الذي هو قريب محبب

فصل

ينبغي لمن رزقه الله سبحانه
تفطنا ان يبادر شبابه قبل الهرم وصحته قبل السقم والبدار في دار الشباب
على اضرب منها مبادرة المجاهدة للهوى فان الشباب شعبة من الجنون فمتعبد
يحصل فضيلة عجب ربك من شاب ليست له صبوة فاما الشيخ فليس معدود
الى المجاهدين لانما غايته حفظ الجسم ومنها الاستكثار من الطاعات فان الشيب
مقعد فمثل الشاب كمثل المقيم بمكة ينبغي ان يستكثر من الطواف فاذا اذا خرج
لم يقدر عليه ومنها حفظ المال والاجتهاد في الكسب ليحصل بذلك الغنا
وقت الحاجة والضعف فينفق على نفسه في كبره ويرشو من يخدمه من اهله
لئلا تعدوه كلا وقد كان الصاحب ابن عباد اخذته علة القيام فكان يضع
كلما قام مرة في مكان قيامه عشرة دنانير فياخذها الفراش الذي يلي
خدمته لئلا يتبرم به وينبغي للشاب ان يحصل من العلم في زمان الشباب
ما يرتاح اليه وقت الكبر وان يدخر من قوته ما ينفعه في كبره وذلك بتقليل
النكاح فانه يحفظ الاصل ويمسك القوة ويبقي سواد الشعر فاذا احس
بالضعف وابتدا به الكبر فليعلم انه بدار مستعجل فليقبل على الاخرة وليعمل
لها ما يمكن فاذا راى توقانا الى النساء يحمله بالرغبة في المال ثم يحسن الخلق

وتجويد اللباس وكثرة النفقة والخضاب ومن حفظ نفسه في الشباب
بمراعاة الاشياء في بقاء سواد الشعر بقي له اسوده كثيرا وابلغ ما حفظ قلة
الجماع واكل الغذا المسمنات وهجر المبلغمات كالسمك واللبن والادهان
بدهن الشونيز والزنبق ودهن الاس ومن طلا شعره في كل اربعة ايام بالقطران
محصا ثم صبر عليه ست ساعات وغسله في الحمام بقي له سواد شعره ما عاش فان
غلب الشيب استعمل الخضاب وليجتهد في تحسين اخلاقه مع المراة فقد انبانا
احمد بن الحسين بن البنا قال انبانا القاضي ابو يعلى محمد بن الحسين قال
كان ابو الوفا العاري قبيح الخلق واثار الجدري في وجهه فابتاع جارية
ليتسرى بها فظهر منها البغض ولم يمكنه من نفسها فشكى ذلك الى بعض
اصدقايه فقال له انها ظهرت على اقبح ما فيك وهو وجهك وخفي عنها
احسن ما فيك وهو صوتك فاذا كان الليل فدعها واصعد على سطح
دارك واقرا وجود ففعل فصعد السطوح بالدعا له والاستعاذه
فاصغت الى تلاوته فعلمت في قلبها فاكبت على قدميه تقبلهما وجعلت
تتودد اليه **فصل** كانت اعمال الصالحين كلها في ليل الكتم فصارت
اعمال زماننا في نهار الريا اكثرهم ان صدق فليراه الناس حتى ان من يخرج
الزكوة يحتال في اخراج ما يخرجه بلغني ان فقيرا بعث اليه عني فلما علم به قال
لدان على زكوة وما معي ذهب افتاخذ عرض قال نعم فاخرج له منديلا وخلف

انه باع اخاه

انه باع اخاه بعشرين دينارا ثم قال انا اخذه بعشرين دينارا قال نعم
فلما ذهب ليخرج صاح به وقال لا شك انك تبيعه فقال نعم قال فبعنا اياه
فقال احد فقال بخمسة دنانير فرماه على الفقير ومضى **فصل** لا يعمل
يتعمل للناس الا من عظم قدرهم عنده وقل في عينه النظر الى الحق فهو يتصنع لهم
ما لا يعمله في طاعة الله سبحانه وانما يتصنع لمعظم اعتبر هذا في الحيوان فان
الهره اذا خاصمت كلبا نفشت جلدها وعظمت نفسها تعوي بذلك ضعف
حالها فاما السبع فانه يفترس وما يعر احتقارا للفريسه ويعد من الحاجه
الى التصنع **فصل** قد الفنا كلام السلف المحدثين في لم يرضوا ان يقتدي
بهم وحد عمر خلافه وقد كانوا اعرف بالاحوال وذلك انهم يتصلعون مقاربة
السلاطين والامرا وقد عرفت في الشرب والحال كان عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه يدعوهم الى العمل معه فينفرون مع علمهم انه لا يريد الا العدل
وكذلك قال الحجي حين قال من ياخذ الخلافة بما فيها فقال من سلت الله انفه
وقد عرف نفور سعيد بن المسيب عن عبد الملك وامتناع عطا ابن ابي رباح
وطاوس من اخذ اموالهم وهرب سفيان وما جرى لاحمد حين اكرمه المتوكل
فحلف ان لا يحدث لئلا يبقى رهينة عندهم وما نفر القوم جزافا انما كان
للنفور اسبابا منها ان الطبع لا يملك والميل الى الدنيا في جبلة النفوس فاذا
خالطهم الانسان احتقر عيشه واحب ما هم فيه فتحركت همته لطلب الفضول

ومنها انه اذا خالطهم سكت عن انكار منكر يراه عندهم ومنها ميل القلوب اليهم
لموضع احسانهم وقد روينا عن بلال بن ابي برده انه بعث الى مالك بن دينار
مالا فاخذه واشترى به رقابا فاعتقها فجا اليه محمد بن واسع فقال قبلت
من هذا الظالم فقال سل اصحابي فقالوا انه اشترى بها رقابا فاعتقها فقال
محمد بن واسع انشدك الله هل قلبك اليوم له كما كان قبل ان تقبل فقال لا ثم
قال مالك بن دينار انما نعبد الله مثل محمد بن واسع لا مثل الحمار مالك بن دينار
وقال قال سفيان ما اخشى الا من اكرامهم لي والقلب ضعيف وبعيد صلاح
القوم وما قرب المتقرب اليهم وقال قد قال بعض السلف لو دعوك لتقرا عليهم قل هو
الله احد فلا تفعل ومن الغلط قول الداخل عليهم انما اعظهم واشفع في مظلوم
فهو وان خلص شخصا استدابع فكر نفسه والخروج الى القرى ستغطي من
من اهلها اسلم من الاخذ منهم لما بينا ولان خبايا هم معروفه وعسفهم
للخلق ثم يستخدمون العالم ويطلبون منه التردد اليهم فما رأينا من دينهم
شيا الا وقد اخذوا من دينه اكثر ولقد رأيت جماعه ما ولوا وحملهم الفقر
على مخالطتهم فمنهم من هلك ومنهم من تغير دينه ولقد رأينا من اعتز لهم
ما فاته رزق بل عاش بلذه للقناعه وعز للصون وربما نال منهم
مع انقطاعه عنهم اكثر مما نال المتردد اليهم وقد قال الرشيد جينا
مالك بن انس فاسمعنا بعلمه وجانا سفين بن عيينه فلم نسمع به وقد

عرفتم

عرفت قصة الفضيل مع الرشيد ثم بعد ضيق الرزق مع البعد عنهم
افلسنا نعلم انه خير الدين وان الرزق المقدر لا يتغير فحفظ الدين اولى
من كل شي والسلام **فصل** ينبغي للمومن ان يتفقد ايمانه عند نزول
البلايا والافات كما يتفقد حايط المايل يوم المطر وجذع سقفه المكسور
عند هبوب العواصف وان المومنين يمشون عند العافيه على جاده
الاستقامه فاذا هبت زعازع البلا اختلطت الجواد فليحذر المومن ان يحدث
وامانه في تلك الحروب فربما وقعت سلبه فنزعت ايمانه حتى احسن
بزعزع صاح بالنفس ويلك ان الاله مالك وحكيم وعالم بالمصالح ومجاز على
الصبر واشد الشدايد عند نزول الموت ومفارقه الدنيا يثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت **فصل** تاملت قول النبي صلى الله عليه واله وسلم فراش للرجل
وفراش للمراه وفراش للضيف فرايته حثه على حكمه ورايت اكثر السلاطين قد
وقعوا به فان الادمي كله عوره فاذا نام الزوجان لم يومن وجود ما يكون
شينا في النفوس ولهذا قالت عايشه رضوان الله عليها ما رايت من رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم ولا راه مني وقد قال بعض الحكما اذا شيت ان
يبلى حبيبك فدعه ينام الى جنبك فانك اذا وجدت منه ريحا قبيحه
سلوته وسبب الحبر ان الانسان يتخايل من حبيبه الكمال المنافي للنقايص
فلهذا يحسن الانفراد وليس المراد ان لا يقع مضاجعه انما يكون في وقت

واولى الناس بالتحرز المراه فلا ينبغي ان يطلع منها الرجل على مكروه وكذلك ينبغي له

فصل صفيت لي خلوه فسالت مولاي شيا من المناجاه فصلح لي الخاطر ما هذا القدر حتى يساله فقلت اظنها رفاقتي بين يدي مولاي الى ما جبلني عليه من الحاجه زاده وتعظيم له كيف لا وهو يعلم باطني

فصل من الناس من طبعه الكرم فلا يكاد يمكنه يمسك ما يحصل له كما كان الزهري يقول وقرنا مالا ففرقه وحدث الكرم لا تسعه التجارب وهذه محنه اهل الخير اذا كان مع احدهم شي انفقه فاذا جا وقت فاقه احتاج فيتغير فيتشتت همه فينبغي لمن هذا حاله ان يجاهد نفسه بحبس شي من المال وسلمه الى غيره وينفقه عليه لان لا يتشتت فيحتاج الى الارذال فان الانسان قد يرزق رزق شهر في يوم فاذا انفقه لقي المضض طول الشهر وانما يفعل ذلك لانه لا قدر للدنيا عنده وانما البخيل هو الذي يحبها فيجمعها فغايه همته الدنيا والمومن المسقط عنده شغل قد استوى حجرها ومدرها ومن الغلط ان يرى الانسان سهوله حصول المال له مثل ان يجري عليه جرايه فيسكن الى ذلك وينفق على قدرها متكلا على ان الشهر الاخر لي مثل ذلك فلو انقطع ذلك السبب تحسر وكذلك يقع لاكثر الفقرا في زمن الغلا فان احدهم اعتاد ان يكسب القيراط فيكفيه فيبيت ولا شي له فاذا دهمه غلا لم يكفه القيراط تحير فينبغي ان يكون

الكسب اكثر

الكسب اكثر من النفقه حتى ان طرقت حاجه او تم له مرض قام المدخر وما وكذلك ينبغي للعاقل ان يشتري في الرخص لئلا يحتاج الى مضاعفه الثمن في الغلا وكل هذا انما يحصل بسوره العقل والنظر في عواقب الامر فنسال الله عز وجل توفيقا يحصل لنا كمال النظر في مصالح دنيانا واخرانا التي هي اهم انه قدير كريم

فصل سال سايل عن قوله عليه السلام لو وزن خوف المومن ورجاوه لاعتدلا فقلت المومن تعلق الخوف الحق على عدله والرجا على فضله والامران معلقان بالحق فيقع التساوي فلا ياس لكثره الفضل ولا طمانينه لوقوع الحكم بينا هو سي نقص ويعطي حرم ويعافي اسقم ثم يعكس الاحوال فيبني المنقض ويعطي المحروم ويعافي السقيم ليكون الانسان على رجا الفضل وخوف من عدله وعدله تصرفه في ملكه على مقتضى مشيته اليس قد اسقط شطر العباده الواجبه له على المسافر رفقا به ثم اوجب قطع اليد من سرقه خمسه دراهم عقوبه له فلا ياس من فضله من ذاكر رفقه ولا اطمانينه لخوف من هذا فعله

فصل قالت النفس يوما حدثني عن الرضا بالقضا كيف هو وكيف يحصل وبين البلا والطبع مباينه الاعدا وكيف ارضا بما يسخط النفس ويا باه الطبع وكيف يقال لي لا تسخطي فرقه المحبوب وحصول المكروه فاجبتها انك ما كلفت حب المكروه ولكن احضري الفكر تعلمي ان هذا الفعل من مالك حكيم مثيب فاذا عرفت ملكه سلمت له واذا رايت حكمته سلمت اليه واذا ذكرت ثوابه

استسلمت لطلب الاجر استسلام راكب البحر لطلب الربح فلا تعتقدي ان الاحبار ما نالهم الم البلا ولولا ذلك ما ارتفعت اقدارهم ولا تسمعي قول القصاص في ان القوم تلقوا البلا تلقي مشتاق فلم يجد والم المايل وحدت الطباع الم وصابرت النفوس المكاره فكانوا عند ملاحظتهم ملك التصرف وحكمة المقدر وثواب المبتلي كنسا هدات يوسف يوم اخرج عليهن فلا تدري ما تقطع ولا الم

فصل الصانع المتقن يظهر عجايب صنعته ليستدل على عايبه في سر الحسن اتقانه وحكمته ولله سبحانه في هذا الادمي ودايع هي صبر على مكروه لتوقع محبوب ورضي بقدر المالك تسليما للحكم فلو بقي ادم في الجنة كانت شيا ما يربع في اعراضه من غير اظهار جوهرهم فاهبط الى الدنيا حتى ظهرت منه بدايع الودايع وظهرت منه مثل الخليل يضجع ولده للذبح وخلق يطول ذكرهم وشرح ما جرى لهم من الصبر على البلا والرضا بالقضا فلو بقي ادم في الجنة لم يظهر تلك الجواهر ولا كانت تطيب الجنة لانه من لم يعب لم يعرف قدر الراحه ولهذا لا يعرف المعافى شرفا لعافيه حتى يذوق البلا ولهذا جا في الحديث يفتح للعبد في قبره باب الى الجنة وباب الى النار وذاك لزياده نعيم المومن في زيادة حسرة الكافر وفي هذا المعنى يقول الشاعر

والحادثات وان اصابك بوسها • فهو الذي انباك كيف نعيمها •

فصل تاملت قوله عز وجل لقد خلقنا الانسان في كبد فنظرت في التفسير فقالوا في شدة يكابد شدايد الدنيا والاخره فرايت ان الادمي معرض للمحن الدالة

المتصل

المتصل فان لم يكره الله عز وجل بالحنو والا اتصل التعذيب فانه حين يكون في بطن امه يتاذى بروايح المطعومات الى ان تناول الام فاذا وضع سقي المرار وحبس بالقمط وعانى الشدايد في حله وشده وضربه وما كوله ولقا البرد والحر ويارة يحبس البول وتارة يمتنع الغايط وتارة يسهل فيعاني من كل ذلك شده فاذا الف الثدي فطم فعانى الفراق الصعب للمالوف وكلما دب وقع وكلما قام سقط فاذا استقام مشيه جاه الحصبي والحمى والجدري والختان فاذا اسلم وتهيا للعب مع اقرانه حمل الى معلم القران والخط فحصر وحبس عن اعراضه وضرب فاذا قارب البلوغ حمل الى الدكان وتعلم المعاش فبيناهو كذلك ان عجم من باطنه ثوران الشهوه فعانى شدتها حتى تزوج فابصر بين يديه حتى جا ولده فحمل من همومهم وغمومهم والكد عليهم انسا نفسه فبيناهو منهمك في الكد على العايله قد استغرق ذلك وشغله عن نيل شهواته لاح الشيب فتنغص العيش وانقطعت الامال وعلم قرب الفراق لكل محبوب فاخذ في احتلاسه فلا وقع في تيار الضعف فمله اهله وقلاه محبوبه وتضجر منه ولده هذا وفي طي مراحله التي ذكرناها من الغموم والهموم والحسرات على فوات الاغراض ما يزيد وينقص على مقدار علو الهمه ونزولها ثم في مفارقه للوالدين والاولاد والاقران والاخوان ما نغص طيب العيش فاينفتح عينه ليبصر راحه الابد التنغيص قد طرقت ذلك المحن فالمشكي من شاكي الدنيا او مال اليها بقلبه وهل هي الا معبر او يوم زرع وحاري فليصبر على مدة المشقه وكان قد انصرمت فكل الخاسر من باع الباقيه لهذه الفانيه



النقصة والسعيد من عرف الدنيا حق معرفتها وانها قنطرة للعبور فتأهب
للجواز واستظهر في الزاد للرحيل الى النعيم الدايم الذي لا يبقى معه اثر لما لقي •

• ولا خير في عيش امرئ لم يكن له • مع الله في دار القرار نصيب •
• فان تعجب الدنيا اناسا فانها • متاع قليل والزوال قريب •

فصل تاملت الخلق فرايت المراد منهم العلماء والعباد فتاملت العلماء فوجدتهم
يسهرون ليلهم ويظمون نهارهم ويقاسون الفقر والذل حتى اذا نالوا العلم
دام في الاغلب جوعهم وحاجتهم فكان غاية امرهم ان يدفع يوم بيوم وربما سنح لهم
على اثنين او ثلاثة يتبعون العالم براهم فيتقطع فواده بفقرهم وذلهم واما الزهاد
فعلى مقاساة الفقر الشديد وانما كان هذا الاعراض الا انه تامل الفطن الامور راى ان
العلماء هم الناس وان افتقروا وان الزهاد هم الملوك وان انعكست اغراضهم
وقلوب الملوك ترتعد لهيبة الزهاد واجلال العلماء فالعاقل من تبع الدليل
وسار في المحجة وان كانت وعرة فان هو مال عنها فما ينفع بدلالة الدليل وصار من
حزب الجهال فليصابر العالم والزاهد بيد الدنيا فستفضي به الى رياض العز
والله الموفق لمن يشا **فصل** رايت الناس اذا راوا زاهدا وقفوا على يديه يقبلونها
ويدهشون منه وقد كان ابن سيرين اذا مشى في السوق كبر الناس وسبحوا
وكان بشر الحافي اذا مشى وقف الناس في الطرقات ينظرون اليه فنظرت في
السبب في هذا واذا به ذل الضعيف للقوي كما ان الانسان اذا راى تركيا تاه

سيفه وقد



سيفه وقد اقبل اليه ولا سلاح معه ذل واستخذى وتضرع لعلمه بقوة ذلك
وضعفه هو وقوة الزاهد صبره على ما انهمكوا فيه وسبب الصبر استهانة المحمول والقوة
عليه وصبر الزاهد بالقلب لانه راى عيب الدنيا وخاف عاقبتها فحمل هجرها فقوي بالعزم
عليه وضعف القوم عن هذه القوة فهم يذلون للزاهد ذل الضعيف للقوي ولهذا
المعنى يحب الناس من حلم القادر على المجازاة لانهم يضعفون عن ذلك وانما تشرف القوة
وتمدح اذا قمعت قوة مذمومة فالبخل مذموم والكرم قوة يدفعه والجبن مذموم
والشجاعة قوة تدفعه **فصل** الصبر عند ثقيل يحتاج الى حامل ولا حامل له الا العقل
يرى العواقب ويعلم ان الجزع وان ارتفعت به النفس والشكوى وان طرحت ثقلا
عنها لا ينفع بل يوذي وصبر المومن على المصايب يحصل من جهة العقل تارة ومن
طريق الشرع في التسليم للقضا والعلم بثواب الصبر واجر المسلوب الا ان الله تعالى
يفيض على بعض المومنين من الصبر ما يزيد على الجلد وذاك مجرد فضل وانعام
خارج عن حد الكسب كما قال الفضيل يوم مات ابنه وقد ضحك ان الله تعالى احب
امرا فاحببته فمثل هولاء ان فهموا بما وهب الله لهم من الصبر الخارق عادة الطباع
فصل العاقل من اجتهد في حياته ان لا يموت ذكره كالحلم وسعى في سبب نعامه
وفضول المنافع اليه وذلك انما يكون بفعل الخير من بنا القناطر والوقوف
والاجتهاد في طلب الاولاد والاصدقا المستغفرين له وتصنيف كتب العلم وتحقيق
التقوى بشغل اكبر من الكل فامن يرى قبر معروف وبشر واحمد يعلم انه لا محلوا

احدهم كل يوم من زاير وزوار يستفتح احدهم الزيارة لقراة ايات يهديها
اليه فهذه بركة التقوى وهو ادوم من كل شي فان لمعروف تحت الارض من
من السنين ما يقارب الابعا به وكانه اليوم دون حديد والهدايا اليه متصله
فعلمت انها القطع انه ما افتنى شي اجود من التقوى فاذا افتنى الناس الاصدقا
يقصدون ذكرهم بعد موتهم وخلافتهم في اولادهم واهلهم فافتن مولاك فانه
يذكرك ويذكر الناس بك وقد سمع بعض الاعراب يقول عند الكعبة كلاما هو
لدحاجة وحاجتي اليك ان تذكرني اذا نسيني اهل الدنيا فبالله عليك احضر
قلبك واقبل نصحي ولا تنفق عمرك باطلا في حب ولد ان لم يتمنى موتك لم
ينال به او زوجه ان لم تسر فقدك اسرعت العوض او صديق يداجيك لما
يرجوا منك فاذا غبت عنه نسيك بالله عليك لا تحجبهم بتفريق دينك وتشغل
بهم عنك واقبل مني ولازم من تحب ملازمته فقد اوحى الى بعض انبيائه انا بدك
اللازم فالزم بدك لازم طاعته وتوفر على مراضيه وانظر احب الاشيا اليه
فاقبل عليه ولا تظن ان امرك بملازمة المحراب فقط وربما كان السعي على
الوالدين والولد اولى وتلمح غاية ما تقدر عليه من افضل القربات اليه ولا اعرف
طريقا اقرب اليه من العلم فانه يدل عليه العالم نفسه ويدل المريدين الطالبين
والدلالة عليه احب الاشيا اليه فانها طريقة الانبيا واذا اشتغلت بالعلم فكن مانعا
وما تحب واياك ان تقف مع صورة العلم بل تلمح المراد منه فانه ما يصرف سرك حلاوة

العلم اوقد

العلم اوقد معناه احرك عنك وسلبك منك واقامك بين يدي مليكك فيه تسمع
وبه تبصر فيا طوبى لك ان نلت هذه المرتبة فان ما دونها حسران **فصل الرجل**
حق الرجل من يكون فيه قوة يقطع بها تغلب فاذا مال بطبعه غضب مثل نفسه خالية
من غضب او قد سكن غضبها ثم نظر فيما اغضبه وفيما غضب له وفي عاقبة
بطشه بالمغضوب عليه وفي ثمرة عفوه ثم اقدم على ما ينبغي ان يقدم عليه وكذلك
اذا قوى شبقه وعرض له محبوب ممكن مثل نفسه خالية عن شهوة او قضاها
فحينئذ تبين له عيب المحبوب وعيب الفعل وقبح العاقبة وكذلك عند شره الاكل وقوة
وقوة الظما وغير ذلك مما تدعوا اليه الطباع فمن كانت له قوة لا تقهره فهو الرجل
فان اعطى النفس من ذلك ما اعطاها من المباح الذي لا يندم عليه في العواقب
قدر حاجتها وقد بلغنا ان رجلا كان اذا راى الناس حدس رؤيتهم ما في طباعهم
فصور اصحاب جالينوس له صورة جالينوس فلما راها قال صاحب هذه الصورة
من حالته كذا وكذا وهو شديد الشبق مع علمهم بامتناع شيخهم عن هذا الامر فلما
جاوا اليه اخبروه بالحال وقالوا في وصفك كله الا في هذا فقال لهم اما الشبق
فكما قال واما الصنعة فكما علمتم واعلم وفقك الله انه ما ابتلى احد بلا هو اعظم
من ابتلا ذي الهمة العالية فانه يميل بطبعه الى كل مستحسن ومرغوب فيه وروى
طريقه صعبة وقادحة في الفضل فيصير مما يشتهي بقوة تلك القوة التي مدحناها
وسعى الفلق الى المشتهى فامامن غلبته شهواته ولم ينظر في عواقبها فهو اضعف

واقرب الاشيا شبها به البهائم نعوذ بالله من ضعف البنيه وخلل التركيب ونساله
امداد التقوى بعونه انه قريب مجيب **فصل** اكثر الناس مع العادات لا مع
الشرايع حتى ان صلواتهم عاده وصومهم عاده وما يستوحشون من مخالفة
الشرع بعد موافقة العادات فلو طلع الفجر وهو يتسحر لتصوّق الماء دعى بالويل واتّهم
واستغفر ولا يتحاشى من غصب فبان انه خمر رمى به على جهل من غير جزع وهذا
استدلال على هذا عقوبته حد وليس على افطار رمضان وقل ترى احدا يسال
عن الربا او يستوحش من فعله او يهجر من يفعله او ينكر على من ضاع دست الفضه
لاسه او على من قدم وقت الاملاك مجمر الفضه بل لو قدمه في مجمر من الطين
قطعته الالسن ومن يلطم ويحرق عند المصيبه لا يلام ويقال حجاد من يعلم
اثر في قلبه وهذا معذور بل لو بكى من غير لطم وتحريق احزنه الملاوم وان
لم يرث المعزا وحصل الذين يرثون بالاشعار التي تهيج البكا وقالوا ما كان للميت
عليه من الحق ان يعمل له عزا ولكن ما يصغى الانسان الامن نفسه ومن استحب
الامرد وقالوا هذا غلام والام تعاون ولدها على بعضه مجلس لخمر على الفوا
فلا ينهاه والمحتاج الى ايسر نفقه يرهن داره ويودي الربا فلا يلام ومن معه عشرون
دينارا يستر هو دارا فيأخذ الربا ويقول هو لا يذهب مني فاحتاج الى الناس
ويخطب الجيد فيقال ان وجوه هذا رجل كريم ياكل ويشرب ويخطب صاحب الدين
فيقال انه حسن الخلق للاخلاق بخيل والويل عندكم لمن عاد ثيابه قبل شهر مضى

من المصيبه

من المصيبه او صعد السطح او خضب بحليها الحنا يعيش احدكم خمسين سنة
او سبعين سنة لا يعرف اركان الصلوه يكسب احدكم من كل ربا ومحنه فاذا نزل به
الموت دوى الوارث وكشف محتم لمن ذاك كسبه حجرتا سه ما عندكم الا اسم الاسلام
وانتم عبّاد العادات لا عبيد الشرايع واعظم ما انتم فيه انكم اذا عرفتم قلتم من اين
دهينا وهذا اقبح من الاول لانهم ما علموا ان ما فعلوه قد حرم **فصل** ما زال
ابليس يحسن لي السفر ويقول تنظر الى البلاد وتعتبر وتنفع الخلق بمواعظك
فقلت له انك تسرحو امي في اربعا انا اعرف مقصودك وذاك انه اذا ثار قدر
فلي في القلوب قبول وقد شاع ذكري في البلاد وظاهر الحال كثرة الفتوح واقبال الناس
علي وانا في بلدي ادفع الزمان بمقدار وهناك لا امن كثرة الدنيا ومتى تدافعت
دفع الماء في الحلق لم يومن الشرق وقد عرفت من نفسي لموضع فقري الى لا اهدي
ما يجور لي قبوله وغايه امري الى لا اسال الدنيا فاما ان ارد المباح فلا اقوى لي
ولو بعث الى امير بلد شيا تاولت واخذته والظاهر من الامير التخليط فيقع التا
والتفسح في المباح فيعدم نور القلب الذي احده اليوم فلا ابغي اصلاح عمري
بفسادي وقلت هذا رجا حتى اراد سيدي خذلاني اخرجني وما دام لطفه شاملا
لي لا ابرح وقد مضى اكثر العمر وما اخرجني بلا اجري العوهرى على الشدائد وما عرفني
من ابا جني من تهره عن الطلب من الناس والتعرض لهم تراهتي ايحسن
ان اعرض المركب للغرق وقد قاربت الساحل لا بد ابيت في دخول الشط خوفا

ويل

من صدمه الحافه اللهم هذه نيتي ان وفقتني فارحمني
واختم لي بخير يا مقلب القلوب **فصل** كل شي
حمل منه مخلوق ذل له وقد قيل له ما وضعت يدك في قصعه
احد الا وضعت خدك له انما انت من الذل المنفوس
الابيه وتالله لو كان الخلق لا يمنون بالعطايا لكان ينبغي ان لحظ الارتفاع
عليهم لكان المساواه فلا يرضى بالتساوي بل يطلب العلو فكيف وهم يمنون
قولا وفعلا الا تراهم لو سكتوا عن القول حتى على العاقل منهم واعتقادهم اذلاله
وقد نبه الشرع على الغنى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لئن
ياخذ احدكم حبلا ومدية فيحتطب ثم تبيعه خير من ان تسال الناس اعطوه
او منعوه واقبح الاحوال السوال فانه كد للوجه العزيز بذل السوال في حال
مخاطرته لانه لا يدري ايحصل المقصود ام لا وقد بين عليه السلام وجه الانفه
لمن له انفه فقال اليد العليا خير من اليد السفلا ولا تنكر ان علو الجنس
مامادو الانفه الا ترى بين السما والارض فرق من جهة الذوات او من
جهة علو مسافه كلا بل لان السما في مقام المعطي للارض تارة ماناع
شمسها وقمرها ونجومها وتارة بنزول القطر المخرج لنبات الارض والارض
كالمحتاج والسما كالغني المعطي فخذ من هذا اشاره ان لم يكن له انفه **فصل**
لقد شرف الادمي بالعقل على جميع الحيوان وبتدبير العقل استسخر الحيوانات فالعجب

له كيف

له كيف يخالف تدبير العقل في بعض الاحوال فيكون الحيوان اصلح حالة منه وليس الكلب
الصايد يحبس الصيد مع جوعه على مرسله خوفا من عقابه وحذرا من سلب نعمة افلا ينتبه
هذا العقل فيراعي حرمته ويحفظ نعمته ويخاف ان يعاقبه المنعم عليه بانبساطه في حرماته فواعجبا
فواعجبا هو الذي علم الكلب ان يحبس مع شهواته فيخالف
الكلب المواضع تعليمه هواه و فعل فعل العقلا ولا عقل
معه فتترك مع الشهوه فكيف نسي هذا المعلم وكيف
نشا العقل في موافقه الهوى ان النمله لتدخر من صيفها شتاها
ثم يخرج المدفون فتهويه خوفا عليه فما الذي ادخرت
لقبرك وانت نظرك في تصحيح عملك ان الفار ليحذر من المصيده
جهدها وان لم يكن لها خبر باطن الامر وان العصفور من شدة الحب يطول
حومه حول الفخ ورجح السلامه هذا الكلام لمن يرى الخطيه فيسرع ابن بيت العقل
وقد ذكر الحكماء ان الابل تاكل الحيات فتعطش عطشا شديدا وتمتنع من شرب
الما خوفا من ان يدب السم في جسمها فيهلك فتقف على الغدير وهو مجهود ذبيح
ولا يشرب هذا الهام فذهب لما امانه وانت لا تصبر عما يضرك ان البهيمه لتنقاد
لسايقها حتى اذا جاءت الى الساقيه فضربها لتقفز رايت قوتها كما يرى العاقل حاله
العواقب ونظرت هل في قواها ان تطفر بالحمل الذي عليها فان وجدت القوه
وافيه بذلك طفرت وان احست بضعف اخذت بالحزم فلم تطفر وكلما ضربها

ما نحته عن الاستجابة لمراده وكانها في حالة معاناتها الضربة فستحر من عقله وتحاطبه
بلسان الحال ها انا صابرة على الضرب شفقة على حملك وقد كان حقك ان تشكرني
اذا حفظت مالك الذي حملته وحفظت نفسي التي هي لك ثم قد راني اشفقت على
نفسي لا على مالك فما ينبغي لك ان تلوم المحتزر فاذا قهرها بقوة الضرب فطعنت
فطعمت ووقع الحمل ووقف يتحسط فيما جرى ولسان الحال يقول انما كان
على الصواب **فصل** من العجايب انك تريد جريان الامور على دار التكليف
والمستمر على اغراضك فاذا انحرم امر عن مرادك صح الباطن والظاهر وعجبا
لا لكونك مملوكا صبرت ولا التسليم الحكم الى الحكيم سكنت ولا للتقين باجر المصيبة
تسليت ولقد بحثت عن سبب قلق النفس في مثل هذا الحال واذا بها تريد
عاجل الدنيا فيقلق لفوات مرادها منه وتوثر ان يكون ما يتعلق بالتكليف
سهلا كخمس صلوات وصوم شهر وتقتصر على السهل في التكليف ولا الصعب
هيهات والله ان اهون التكليف الوضو والصلوة والصوم وانما تكليف
النفس الصبر على فقد المحبوبات ومقاساة المكروهات ورب مكروه في اثر مكروه
ولربما طال زمن المكروه والطي برحلة واله فاذا بلغت التكاليف العظم ووقف
الانسان موقف المضطر راجيا لنجاح مراده ردو البلا بلا اجر كاخذين باحين
في اخر شوط من الصبر بعد فراق يوسف تلك السنين ومن جرا هذا على قوي
الايمان ووفق لحله حمله ولم يقطع رجاه اتصال البلا وفي الحديث الصحيح

نحن معاشر

نحن معاشر الانبيا اشد الناس بلاء الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان
كان في دينه قوة شدد البلا عليه فمتى انعم الله عز وجل بمعرفة وايمان ويقين
قبل البلا فقد اعطا الزاد قبل السفر فهان الامر وانما المحنة الكبرى حب الدنيا
والتحسر على فوات الاغراض منها وضعف الايمان واليقين فيا تى البلا على
قلب غافل فالذرة منه جبيل وكم قد اخرج البلا مومنين الى الاعتراض والكفر طلا
نالوا ما ارادوا والتحق بمصاب الدنيا مصاب الدين اللهم رحمتك يا كريم ولطفك
يا رحيم لا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم **فصل** من اعجب الاشيا التصنع للخلق وانما هي ايام ويمضي المتصنع والمتصنع
له ويصير الكل رميما ولا يطن ظان اني اشير الى كل شي فيقول فامشي بين الناس
ولا ابالي على اي حال رويت فما المراد ذلك بل التزين والتحسن للناس في مثل هذا
الحال الايمن فان الانسان يصفف عمامته ولو كان المراد تغطية الراس لغطاه
كيف اتفق ويلبس القميص احسنه الى خارج وهذا شي قد وضع في الطباع والصانع
قد خلق الانسان جزينا فقوس حاجبه ومد قامته وزينه بانواع الزينة الباسه
الجنس بالجنس ولا يراه جنسه ناقصا معيبا وانما الذم من تزين وتصنع في باب
الدين للخلق فاظهر لهم ما ليس عنده من التخشع وراقبهم في انكار منكر وفي
الجمل من اسخط الله برضاهم فربما كان قصده استجلاب ثناهم فينسى العذرا
واقبال قلوبهم اليه فينسى مقلب القلوب فلا ينسى التصنع لهم الا عن غفلة

عن صانعهم ومن اشتغل بالدون فانه الاعلى **فصل** اشتد عجبي ممن
يرى الحال الحاضرة ولا ينظر في العاقبة لنا جار يزيد على سبعين سنة لا
يكاد يستقر في البلد بل في الاسفار دايما فاذا قدم بعد سنة او سنتين فكانه
يستوحش من بلده فلا يقيم الا اليسير بقدر ما يجمع متاعا ثم يخرج فامراته حايم
فيها واولاده كاليتامى وهو ضعيف البدن كبير السن غير انه قد غلب على قلبه
حب المال ولا يتركه هوا ينظر الى المراد منه وهل يراد المال لنفسه او للمعاني التي
فيه فاذا لم يكن له وطن ولا زوجة ولا يمتع بولد ولا خادم مع كبر السن فما
المقصود من المال وهذا لا يكون الا من نسيان العواقب والنظر في الاخرة وهذا
داب ركاب البحر فانهم ينظرون الى الارباح ويبصرون المركب ولا يتفكرون
في الغرق وهذه محنة العصاة فانهم ينظرون الى عاجل اللذة ولا يتفكرون في
العقاب وهذا داب اللصوص فانهم يرون اخذ المال ولا يتفكرون في
اخذهم وقتلهم وهذه محنة الشجعان فانهم ينظرون في قتل محاربيهم ولا
يتفكرون في قتلهم وكل هذا نشا من ترك ملاحظة العواقب ومن لاحظ العواقب
ملاحظة قوية لم يصف له عيش اصلا على ما سبق ذكره في مواضع فلا بد من نوع
تغطية على النفس بمقدار ما يطيب العيش نسال الله عز وجل ان يسلك بنا اوسط
الامور مع سلامة الدنيا والدين انه سميع قريب **فصل** اشتد عجبي ممن
لا يبالي ببعده عن الوطن واعلم ان هذا الكدر في طبعه فان الصافي يتشبث

المالوف كا

المالوف ولا مالوف كالوطن وقد قرن الله عز وجل القتل بفراق الوطن
فقال ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم وقالوا
ما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وكانت الحكماء تقول الارض
ظئره ودار مهده والغريب كالغرس الذي زال عن ارضه فقد شربه وهو ذاو
لا ينمى وذابل لا ينضر وفطرة الفطن مجبولة بحب الوطن ولهذا قال بقراط يداوى
كل عليل بعقاقير ارضه ولما غزا اسفنديار بلاد الخزر اعتل فقيل ما تشتهي قال
شمة من تربة بلخ وشربة من ماء واديها واعتل سابور ذو الاكتاف بالروم
وكان ماسورا في العدو فعشقته بنت ملكهم وقالت له ما تشتهي قال شربة
من ماء دجلة وشميما من تراب اصطخر فغبرت عنه اياما ثم اتت بماء من الفرات
وقبضة من شاطيه وقالت هذا من دجلة وهذه من تربة ارضك فشرب بالوهم
واشتم التربة فنقه من علته وقد انشدوا في هذا اكثر وقال بعضهم

• تقر بعيني ان ارى في مكانه • ذرى عقدات الاجرع المتقاود •
• وان ارد الماء الذي عن شماله • طروقا وقد مل السرى كل واخد •
• والصق احشاي ببرد ترابه • وان كان ممزوجا بسم الاساود •

وقال آخر
اذا ما ذكرت الثغر صبت مدامعي • واضحى فؤادي نهبة للهماهم •
• حنينا الى ارض بها اخضر شاربي • وحلت بها عني عقود التمايم •
• والطف قوم بالفتى اهل ارضه • وارعاهم للمرء حق التقادم •

وقال بعضهم عسرك في بلدك اعز عليك من يسرك في غربتك وانشد
لقرب الدار في الاقتار خير • من العيش الموسع في اغتراب •
وكانوا اذا سافروا حملوا معهم من تراب ارضهم يستشفون به وانشدوا
في ذلك نسير على علم بكنه مسيرنا • وعقد زاد في بقا المزاود •
ونحمل في الاسفار منها قبيضة • من السادي البادلح الوالد •
وقال الاخر • احب بلاد الله ما بين صارة • الى ... ان ... سحابها •
بلاد بها نيطت علي تمائمي • واول ارض مس جلدي ترابها •
وقال الاخر • كم منزل في الارض يالفه الفتى • وحنينه ابدا لاول منزل •
نقل فؤادك حيث شئت من الهوا • ما الحب الا للحبيب الاول •
وقال الاخر تمتع من شميم عرار نجد • فما بعد العشية من عرار •
الا يا حبذا نفحات نجد • وريا روضه غب القطار •
وعيشك اذ يحل القوم نجدا • وانت على زمانك غير زار •
شهور ينقضين وما علمنا • بانصاف لهن ولا سرار •
فهذه صفات الطباع السليمة وهل هو هذا الفهم كل شي فات المومن بالف
ويولع ... بالغ في الالف قول المتنبي • خلقت الوفا لو رجعت الى الصبا •
لفارقت شيبي موجع القلب باكيا • فاما الطباع التي لا تالف صديقا
ولا وطنا ولا اشيا فخاسسه قاسية وان الرفق بالطبع ليالف حتى الهر وحشي

لفقد

١٦٣

لفقد طاير يكون عنده والسلوة باسد من قساوة القلب وحسا الطبع
فانه ليس من صفات الصالحين ولا اخلاق المتقين **فصل** قال ابن ...
طرق الفضايل من فرفاد افضل الاشيا العلم والعمل قل ان يجمع العلم
احد الا ويعجب بنفسه ويحتقر من دونه ولا بعد المتزهدين والاعتزال في كلام ولا
يكون له في صفا القلوب حظ ولا مع اهل الورع نصيب هذا الغالب
من الغالب عليه العلم واما الزهاد المنقطعون فلهم افات منها الانقطاع
عن العلم الذي هو افضل ما هم فيه لان العلم افضل من العبادات واذا كان سعي الجوارح
فاصلا فما ظنك بالعلم الذي لا يحصل الا سعي القلب وابصار اهل الفكر
ولولا قلة علم المتزهدين ما اثروا الزهد على العلم ومن قلة علمهم قول
الزهد وهل المراد من العلم الا العمل وهذا قول صحيح ولكن معناه
العمل واحب العلم ثم ان طلب العلم او في عمل كما بينا ولقلة علم المتزهدين يلعب
بهم الشيطان ولا يمكنه ذلك في حق العلما فقد يدخل على المنفرد من باب
احتقار الناس وقصورهم عن ما انفرد له والانفة من رؤيته الخطايا وربما
درجه الى استعمال هيبه توجب خشوعا يكون تاثيره تقبيل اليد وربما اراه
ترك عيادة المرضى وتشييع الجنايز خوفا من التخرز من المخالطه ولبس البعد
ما يخرج عن اتباع السنه وقد يتوقع المتعبد الجاهل حصول جاه عنده
ربه في الجاه غايه ونيل الرهبانيه وكرامات يرتقبها فان لم يتح من هذا

شي ما نقف في باطنه انفه الاجير الذي لم يوف حقه وكل هذه الافات سببها قلة العلم
ولقد رأيت لكثير من العباد دفن كتبهم لانه علم ان العلم نور يستضاء به في طريق
المعاملة فاراد ان يمشوا في الظلم فاتبعوا الاثر تقاة من المؤمنين وربما بلغ
من سمع كلامي هذا ان بعض العلماء كسفيان الثوري دفن كتبه ولتعلم ان ذلك
لسبب وهو انه كان يكتب عن الضعفا فاختلط الصحيح بغيره فدفنها
لهذه العلة فمن دفن كتبه بغير معنى صحيح فقد خالف الشرع واضاع المال فاسمع
نصحي واحذر من سبيل الرجلين العالم الذي اقتصر على الجدال في الفقه طلبا للرياسة
او نال القضا فلم يراع سوا منزلته او زخرف المواعظ فضيق اعين شبكته والزاهد
الذي يتقلب في جهالته ويتقون تقبيل يده واعتقاد بركته ويعمل برايه دون
شرع الله وسنته وعليك بطريق السلف الصالح فانها سبيل الاستقامة ومنهاج
السلامة فتلمح من الاثار اثارهم واسمع من الاخبار اخبارهم وسل الله سبحانه وتعالى
الاعانة على اتباعهم انه قريب مجيب **فصل** في الشهوة بكثرة احمال النفس
وشرح هذا ان من قد فقد احمال النفس اظهرها الله عز وجل ومن قصد علاها
حفظها وكلما قوي احمال الانسان لنفسه زاد اشتهاره بين الخلق بالخير كالعود
كلما تقت الثياب عليه اجتمعت ريحه فاذا فتح له باب يسير جاء الريح وفي
الحديث من تواضع لله رفعه الله وفي حديث اخر ما من ادمي الا وفي راسه حكمة
بيد ملك ان ترفع وضعه وان تواضع رفعه وهذا الامر قصد الاحمال رضى
بنظر الحق اليه وحده فتخصصت له العبودية اذ قد جمع همه في مراضي مولاه

تحسب ومن اراد ان يذكر بالخير فقد جعل لنفسه حظا من التعبد فهو من جنس
والمسك الاذفر الخالص لا يكون كالمغشوش ولهذا المعنى رفع الله الذين بالغوا كالمعشوش
في احمال انفسهم هذا ابن المبارك يقول لا يكتب كلامي ومن انا حتى يكتب كلامي
وهذا احمد ابن حنبل نهى عن كتابة كلامه فقل ان تقع مسئلة الا وله فيها
نص لانه سرد مجموع ذكر نفسه جمع ذكر ربه لئلا يقع في السلك شرك فجمع له
الحق ما ليس لاجله بيد البركة فصار مذهبه مدونا اكثر ممن تدوين من دون
مذهبه بنفسه فالله الله في قصد الاحمال فانه الكبريت الاحمر وكان احمد بن حنبل
يقول ما رفع الله القوم الا بالاخلاص وقال ما رفع الله ابن المبارك الا بخبية كانت
له وقد روينا عن ابن المبارك انه قاتل في صف الكفار فقتل خلقا منهم وهو معطي
الوجه حتى لا يعرف وكان يبكي ولا يدري به فقد قلت عمري من اراد اقبال
القلوب اليه بالمحبة فليقصد وجه الله بعمله فان القلوب بيده وايضا المسيس
الى المسيس من جملة صنعه عن قاصة منتروايح الاخلاص وجر الناس طبيعة
في مستنشقاتهم فاحبوه وان كان لا يلتفت اليهم شغلا بمن اشتغل به نسال الله
عز وجل اخلاصا نعرفنا به انه كريم مجيب **فصل** اسال الله عز وجل ان يمن
علينا بحب العلم والتشاغل به فانه النور في الظلمة والهادي في الضلالة كم قد
سمعت عن جماعة من الزهاد المذكورين والصالحين المشهورين انهم
كرهوا اكثر كتابة الحديث والعلم وحثوا على التعبد حتى ان بعضهم يقول

ليس في طلب الحديث من زاد القبر وبعضهم يقول انما يراد العلم للعمل وغير
ذلك ولا حيلة اسمي من قال لان القلوب قد عشقت لمحبتهم وهم اهل الجد
لقوة دينهم وكثرة عباداتهم لكن لقلة علمهم قالوا زهاد واهل الدين لا اهل العلم وهل عرف
الله الا بالعلم فان قالوا المراد معرفة الواجب قلت والمندوب والمستحب والمكروه
والمحرم والادب وما يقرب الى الله تعالى وما يبعد منه وهل يشمل العلم الا على هذا
اترى لو تشاغل الناس بالتعبد كما فعل وهيب المكي فحلف انسان بالطلاق او مات
رجل ثم مات ورثته فاحتاجوا الى قسمة التركة او غير ذلك من دقايق الفقه
من كان يوضح شرع الله وحكمه في تلك المسايل او لو جا كافر فقال بينوا الي بالدليل
وحدانية الاله او ذكر نصراني شبهة او يهودي او دهري اما الذي كانت يحسنا
عبادة بشر الحافي ووهيب المكي وقد ارتفع علي من هدين كالحسن البصري وسعيد
ابن المسيب وعطا ومجاهد والثوري ومالك واحمد ابن حنبل والشافعي بالعلم
او بالتعبد هيهات والله لمسئلة رايتها الشافعي ووقوع عليها فعل الناس
بها او فتوى افتاها احمد وذكر دليلها او حديث طعن فيه يحيى بن معين او صححه
فيبقى حكما او نوعا افضل من تنفل المتعبد خمسين سنة وهل يختلف الناس في ان
نفع العلم يتعدى ونفع العبادة لا يتعدى وهل بعث الانبيا الا بالعلم والبلغ
من جميع هذا قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم
فبدا بنفسه ثم ثنى بالملايكة وثلث باولي العلم وليس من قلة علم خلق من

المتزهدين

المتزهدين دفنوا كتبهم واقبلوا على التعبد فلو علموا ان هذا لا يحل ما فعلوا
وانما دفنها قوم من العلما كالثقفيين لانه كان فيها ما لا يصلح من الرواية عن
كذابين وضعفا واختلط الامر عليه فاما اذا لم يكن بالكتب افة فهي علم نافع
ومال ولا وجه لتضييعه اصلا فالله الله ان يفتي رجل بما لا يعرف او ان يقبل مستفتيه
ممن ليس من اهل الفتوى او ان يوثر صوم او صلاة او حج على التشاغل بالعلم الذي
لا يعرف الحق الا به ولا يتم بالجاهل سواه وقد قال الفقيه وقل من برع في علم
ولم يقل ربي نعبد الا ان التعبد فعل الجوارح وتحصيله القلب والقلب اشرف وقد
بدا الله تعالى بالعلم فقال فاعلم انه لا اله الا هو واستغفر لذنبك **فصل** تامل تلبيس
العادات على الناس التي مالت بهم عن الشرع فاذا بها قد عمت جماهير العلما
والمتدينين فمن ذلك اني رايت ايمة المساجد يوقدون ليلة الجمعة النيران الكثيرة
الخارجة في الحد ويتباهون في كثرة ذلك فيجمع في هذا امور كلها منكر قبيحة
منها كثرة النيران تشبها بالمجوس ومنها اضاعة المال حتى انهم يوقدون النار
على منارة المسجد ومواضع سنطوا بها وليس في ذلك الا الريا واللعب واضاعة
المال ومن ذلك انه كلما كثر هذا كان سببا لاجتماع الناس الموجب للفساد واللعب
فان تلك الليلة يخرج الصبيان والنسا ويمشون في الظلمات لاجل النظر الى ذلك
ويعلم ايمة المساجد بهذا وهم يبالغون في الايقاد مع علمهم لما يتضمن ذلك وما
رايت من يتحاشى من هذا لا اهل مدرسة ولا اهل مسجد ولا صاحب زاوية

حتى ان بعض الصبيان ختم وكان ابوه صاحب مال وجاه فاستعار له
انوار الذهب والفضة وعلقت تنانير وسفن فيها النيران موقدة وبجم
ملاحي الذهب والفضة يوقد فيها العود ومونسات ضرب فيها اما المورد وهذا
التي غلب فيها العادات وحب اللعب ويطوي الكل عليها وربما احتجوا بان
عمر نور المساجد بالمصابيح والجمع والسنة في المسجد ليس بقبيح لان المراد
الضوء وانما يذم ما يخرج الى الافراط والتفريط والطوقات التي تقرب من المسجد
ولقد رايت رجلا من المشايخ القراء ختم في رمضان فعلوا له ما خرج عن الحد
وكان يمد الحبال في الشوارع من دار الى دار ويعلق في ذلك الحبل وكان يجلس
بباب ابرز فعلق له من اول المطفر بالى باب ابرز ومدت الحبال بين كل
ترسين وجعل على ظهور الترس نيران كبيرة وخرج الصبيان والنساء وخرج
الوالي يحفظ الناس وجرا ما شا الله من كل قبيح بين القبور وعند الموتى
فلما فرغ الشيخ من الصلوة مشى بين يديه حمال قد حمل على راسه طبخير الارز
وقد ترك في وسطه هردي فصبطويل وعلى راسه شمعة وكنت اذ ذاك
صبيا غير بالغ فرايت ذلك وتعجبت منه وقلت اترك هذا الشيخ الكبير
للصبيان في اللعب شيئا الا وقد زاحمهم عليه وربما اعتقد الحمقى ان في هذا
زينا لدين الاسلام وبوا للكفار وهيهات فان الدين لا يزين بما نهى عنه
ولذلك يزخرفون المساجد والمصاحف ويزعمون ان هذا تعظيما للشرع

وقد نهى

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن اضاعة المال وقد كان الامام
احمد بن حنبل يخرج لصلوة التراويح وبيده سراج فيتركها على درجة المسجد
ويصلي وهكذا كان السلف حتى قل العلم وغلب الهوى وصارت العادات شرايع
حتى ان بعض الحمقى اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول ازعجوا
اعضاكم بالصلوة عليه ورايت بعض ايمة المساجد اذا ذكرت رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم فصلى الناس عليه غضب من كونهم لا يرفعون اصواتهم
خارجا عن الحد فقلت سبحان الله ما اجهل هذا يقول النبي صلى الله عليه واله
وسلم وقد سمعهم يرفعون اصواتهم بالتكبير فقال اربعوا على انفسكم فانكم لا
تدعون اصم ولا غايبا انما تدعون سميعا قريبا ولما رفع ابو محذورة صوته
بالاذان قال له عمر اما خفت ان ينشق من نطاولك فالحذر الحذر من عادات قد
استولت على الناس وسالكها المتزينون بالعلم والزهد لقلة علمهم فصارت
عندهم كالدين وسكت العلماء عن انكارها لبرودة الاسلام في قلوبهم وغلبة
العادات عليهم نسال الله عز وجل قوة في الفهم واليقظة واتباعا لطريق السلف
الصالح في مناهج الهدى انه كريم مجيب **فصل** رايت من القصاص من اذا تاب
على يده قال له انا تايب لا اعود ابدا فرايت هذا خطا كالنجم على الغدر وقلت
لو قال عازم ان لا اعود كان اصلح ومن اين لنا القطع على الاقدار وما زال
هذا في نفسي حتى اخبرنا يحيى بن علي قال حدثنا ابو بكر الخياط قال حدثنا الحسن

ابن الحسين ابن حكمان قال حدثنا عمر بن احمد بن حرصه قال حدثنا ابو بكر محمد
بن حمد السلمي قال حدثنا محمد ابن ابي مروان عن عيسى ابن يونس قال حدثنا عبد
محمد بن كعب الديلمي فاتاه رجل فقال يا ابا عبد الله ما تقول في التوبة قال ما
ما احسنها قال الامر اني ان اعطيت الله عهدا لا اعصيه ابدا قال فقال له محمد
ومن حينيذ اعظم جرم منك تتالى على الله ان لا ينفذ فيك امره **فصل**
جرى بيني وبين اهل الحديث يوما كلام في الاصول فقلت الصواب مذهب السلف
وهو امرار الايات والاحاديث كما جاءت من غير تفسير ولا تاويل وانا انكر على
جماعة من اصحابنا انبسطوا فتكلموا باراءهم وفهمهم وحملهم اياه على ما يعلمونه
من الشاهد كقول بعضهم استوى على العرش بذاته فقال لي انه قد نقل عن
جماعة من اصحابنا هذا فكيف قلوه قلت لانه حملوا ما سمعوا على المفهوم
عندهم فوقع الغلط وذلك انهم لما سمعوا استوى فهموا ان المستوي الذات
قال لي فهو غير ذاته قلت لا فان القران قد صرح فقال ثم استوى على
العرش الرحمن فنحن نقول هو استوى على العرش ولا نفسر هذا فاذا قلنا
ذاته على العرش فقد فهمنا من كلامه ما يفهمه من استوى زيد على السرير
وكذلك يلزمنا في قوله ينزل ان نقول ينزل بذاته فيفهم من ذلك ان يخلو
منه مكان ويمتلي به مكان فاذا كان في السما لم يكن على العرش وهذا الاجل
اعتقاده وما يوقع هذا الاحمل الكلام على مفهومنا من الشاهد وهذا

هو التشبيه

هو التشبيه وانما الصواب ان نقول كما قال ولا نفسره ولا نعلم معناه فما دهي
من دهي الا من هذه الجهة وهي حمل الايات والاحاديث على ما نفهم من الشاهد
وقد تخلص من هذه المحنة جمهور السلف المتقدم فكانوا يقولون امروا هذه الاحاديث
كما جاءت وكانوا يمنعون من تفسيرها ثم جا قوم بعدهم فلم يرتضوا طريقهم
فاخذا يسمعون الكلام الذي انطقهم به فهم الاوصاف وحملها على الشاهد فمن
الغلط القبيح ما ذكره ابو بكر بن خزيمة وكان من كبار الايمة في كتاب التوحيد
فانه ذكر الاحاديث فلو سكت عنها وشى من قبله من الايمة لسكت عنده وايتها
ولكنه اراد التوسع فضاق عليه الخناق فقال في قوله تجري باعيننا الرب عز وجل عينان
يبصر بهما وانا اتعجب من ابن له هذه التثنية ثم قال ان لربنا اثبات الرجل لله سبحانه
وتعالى وان رغمت انوف المعطلة قال الله تعالى الهم ارجل يمشون بها فاعلمنا
ان من لا رجل له ولا يد فهو كالانعام • ولقد طال التعجب من هذا الرجل المنبسط
في الكلام الذي يلزمه ان يثبت اذنا ايضا • وقد حكى الخطابي عن بعض شيوخهم
المحدثين انه قال ان قال لنا قايل كيف ينزل قلنا ينزل كيف شا فان قال
هل يتحرك قلنا ان شا تحرك وان شا لم يتحرك قال الخطابي وهذا خطأ فاحش
لان الله تعالى لا يوصف بالحركة لان الحركة والسكون متعاقبان في محل واحد
وهما من اوصاف المحدث والله متعال عنهما ولو جرى هذا الشيخ على طريق السلف
لم يخرج به القول الى مثل هذا الخطا الفاحش قلت وقد ذكر ابو بكر بن الانباري في



المشكل في تفسير قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فقال اهل واصحاب
الحديث يقولون ياتي الله كما شا انتبا بالا زوال ولا تنقله ومحظور علينا ان
يقول كيف ياتي قلت وهذا الرجل اراد ان يجعل الحق وصفات الله سبحانه وان يمتنع
من تاويله فرمز الى التاويل وما يدري لان صفات الذات لا يدخل تحت التشبيه
ولا الكيفيه ولو اجاكما سادل على تاويل الايه وقد جا بعد هولا اقوام منهم ابن حامد
فقال الاستوى مماسه والنزول انتقال وهذا كله تشبيه وجهل بالخالق وحمل
لاوصافه على الشاهد وقد نسي هذا المسكين صفات الله لا تتجدد ولا يجوز عليه
الحركه ولا السكون وكل هولا جهال بالله سبحانه وتعالى وما اخوفني ان لا
يصح لهم ايمان ولا وقع لهم عمل لانهم عبدوا صوره مشبهه الصور فكانوا
كعباد الاصنام تعالى الله عن اعتقادهم المبني على جهلهم وقال بعض مشايخهم
لما خلق الاشيا حلها بصفه التحت وصار الفوق له وهذا قول جاهل بما يجوز
على الله سبحانه لان التحت والفوق لم يعرف الا بوجود الاجسام وانما يقابل
الاجسام فاما من ليس بجسم فلا يقابل الاجسام ولو نوقش هولا الجهله
وقيل لهم اذا ارتفع شخص الى العرش ثم ارتفع فوقه فعلى قولهم انه يصادم الذات
اذ لا فرق بين الجسم المرتفع والعرش الملاصق وقال بعض الحمقى منهم لوه
انه على العرش ما قال بعضهم هذا من الوصفين ما فيه من الاجسام ونحن
نبرا الى الله تعالى من اعتقاد الجهال المشبهه ومن لا يعرف الله سبحانه وتعالى ولا

ما يجب له

ما يجب له ويستحيل عنه فان قال قايل فظاهر الاحاديث على خلاف هذا قلنا لجواز ان
مراد الشرع كان الاثبات فذكر ما يوجب الاثبات من قدم ويد وسمع وبصر ونزول
واستوا وحدث القوم بما يانسون به ويجوز للعرب ما يعرفونه كقوله تعالى بل يداه
مبسوطتان ينفق كيف يشا ومعلوم انه لم يرد النعم المعلومه الخارجه عن يده
وانما اراد اخراج الاشيا بالقدره كما يخرج المنفق وقال هل تاتي بشي البينه هو دله
وقال ربها الاحد فتر يو الي كف الرحمن في العلا فهو المقصود من هذه الا
وجا قوم من شرح ما علموا ان شبت قلوب جمعت بقصد الاثبات فامروا
بالامساك عند ذكر الصفات وهذا هو الاجود ولما علم الحق سبحانه ان ما قد ذكر
ربما اوجب تشبيها محى ذلك من القلوب بقوله ليس كمثله شي فمن خرج عن سمت
السلف الصالح وطريقهم وفهم من اوصاف الحق سبحانه ما يفهم من صفه الشاهد
فهو المبتدع المشبه حقا وقد قال احمد في قوله يا تيهم الله ياتي امره وهذا
لانه فهم ان الاثبات مستحيل عليه فاضاف ذلك الى امره وقال وهو معكم
بعلمه وانما تكلم في الشي اليسير من هذا لنفي التشبيه ولم يران يكثر الكلام
في ذلك فسد الباب فامر بالتسليم فنسال الله تعالى سلامه في عقايدنا من الشكوك
والشبه لنعرف ما يجب له ويجوز ويستحيل ونفهم رموز الشرع ومقاصده
في الخطاب ونسلم من ظنون المشبهه المتوهمه الذين فهموا من الخطاب ما فهموا من
الشاهد فتكلموا وصنفوا فمنهم من يقول الاستوا صفه ذات ومنهم من يقول



صفة فعل القدم عندهم بعض للقدم يوضع في النار ولو سلموا المنقولات
كما فعل السلف لكنهم تكلموا على مقتضى فهمهم الشاهد فهلكوا والله ولي الذين
امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون **فصل** اصلح ما
فعل العاقل حفظ دينه والتقلل من الدنيا والاقتصار على البلغة فان مثل
الموغل فيها كمثل الملقي نفسه في البحر ثم اذا ندم لم ينفعه ندمه واذا
اراد ان يتخلص بالسباحة لم يملكه واني رايت رجلين كانا في بداية امرهما
على غاية ما يكون من الزهد والصلاح وانكار المنكر فالح عليهما الفقر
فداخلا السلطان بنوع تاويل وقبلا منه لمكان الحاجة فما زالت الامور تترقى
بهما الى ان حكي عنهما استحلال القتل للمسلمين بالتاويلات الفاسدة وكلاهما
اهلك عاجلا فانا نعطب بهما وقلت لنفسي اياك والتبرم بقلة الدنيا فانك على طريق السلامة
كما قال الشاعر ان السلامة من ليلى وجارتها • ان لا تمر على حال بواديها •
ولقد كنت اتعفف عن اموال السلاطين وابالغ حتى انه كان بعض الولاة يبعث
لي شيئا فلا اتناول منه ويحضرني عنده فاصبر على العطش ولا اشرب عنده ثم لما
الح علي الفقر والعائلة فقبلت بتاويل شرعي لاني رايت ان ما في يده يستحقه
انما هو في بيت المال وعرفت ذلك الرجل انه يتنزه عن الظلم ولا يحبه فاخذته
احسنت فاكلت فوجدت على قلبي ظلمة لا امنعها وترامت بي الى ان حرمت

قيام الليل

قيام الليل ودمعة العين فصرت اقاتل في استرجاعه فلما ذهب ذلك الشخص
عرفت عيب ما كنت فيه كمن خرج من المدينة فاحس بما كان فيه بعد الخروج وما
زلت اتلافى امري واندم على ما كان مني حتى جبت العافية في قلبي بعد اشرافه على
التلف وتعقب اثار تلك الامور ولم تزل فكان من لطف الله تعالى سلب ذلك
الشخص بالموت فتركتني تلك الاشياء لاني تركتها وما افسدت من كسبي الا الذي
على حالي فالحذر الحذر من فساد التاويل والتعرض للدنيا السحارة الخادعة
والله الموفق **فصل** تاملت التشبيه في شأن حرف العلماء بالله سبحانه وفي امر
الجاهلين به فرايت ذلك من باب المعرفة به وبصفاته فان العلماء المحققين
علموا انه كما لا شبه لذاته ولا مثل لصفاته فرحمته ليست رقة وانما يفعل بمقتضى
مشيئته في الخلق ولا يحاكي نفسا ولا شخصا وهذا الذي قوى انزعاج العالمين
به فاما الجهال به فقالوا هو رحيم وهو اكرم من ان يعاقب الموحدين له وحملوا وصفه
بالرحمة على ما يعقلون من صفات الخلق وظنوا انهم اذا وقعوا في النار
يستغيثون فيرحمهم كما يرحم المخلوق وكانت رحمته كرحمتنا ما اجاز قطع
عضو ولا اذاق مؤمنا كاس الموت فثبت عند العلماء ان صفته لا كالصفات
كما ان ذاته لا كالذوات فقوي قلقهم حتى كان الحسن البصري يبكي ليلا ونهارا
ويقول اخاف ان يطرحني في النار ولا يبالي فافهم هذا الفصل وحققه فهو
الذي ازعج العلماء والغفلة عن ذلك هي التي ورطت الغافلين والسلام

فصل ما رايت اشد فتنة للعمر من سماع الحديث فانه اذا وقعت شهوته في
القلب طلب العوالي من الاجزا وطلب التواريخ والاسما والكنى والضعفا
واحوال الرجال في القدح والتعديل الى غير ذلك وكل ذلك شهوة تميل اليها النفس
مع ما يتضمن من الحكايات والملح فلا يزال الانسان يكتب ويجمع ويسمع والشي
كثير وكلما جا تضاعف الى ان ينفتح المحدث عينه بعد خمسين سنة فيرى اشيا قد
فاتته من الاحاديث والاجزا ومع هذا فقد فاته الاهم الاكبر وهو الفقه ولا
يكاد يدري معنى الحديث ولا يفهم فقهه لما قد استغرق من كتابة الاحاديث
وهذا شي لا يكاد يملكه فان طالب الحديث اذا راى جزا عاليا او فيه احاديث
يستحسنه لم يصبر عنه فالمستيقظ لنفسه يحذر من ذلك مثل ما يحذر المسالح
الوقوع في السور وياخذ الاطراف وما لا بد منه ويسرع الى الفقه الذي
هو مقصود الحديث وانا اقبح من هذا ان يتشاغل طالب العلم بمسايل الفقه
ولا يدري ما الحديث فيبني الاحكام مقلدا ولا يعرف الحديث الذي عليه مدار
الحكم ولا يعرف تاريخا ولا حالا من احوال الرسول صلى الله عليه واله وسلم واداب
اصحابه فهذا يكون كالاعمى مقلدا لغيره واقبح من الحالتين ان يتشاغل
الانسان بالفقه والحديث ويترك المقصود بهما وهو العمل واقبح الاحوال
الثلاثة ان يقف مع صورة العلم فلا يثمر له المعرفة بالمعبود ولا الانس به بل
ربما اورثه اصحابنا وكل ذلك انما يحصل بتوفيق الاهي والهام رباني وذلك

فضل الله يوتيه

فضل الله يوتيه من يشا **فصل** اذا وهب للعبد نظر صحيح تامل الصواب
بدليله ولم يقلد احدا ولم يجر على نمط واحد فانك ترى خلقا من القدما
عرهم النسب والشرف وتشاغلوا بمفاخر الاباء وتجوفوا بذلك على الفقرا
واحبوا الولايات والتقدم والرياسة وترى خلقا مالوا الى الزهد فاثروا الذل
والفقر وراوا المباحات كانها محظورات فصاروا كالزمنا في باب العطلة
وترى اقواما مالوا الى صورة العمل واقواما وقفوا مع صورة العمل
والتعبد وقوما تشاغلوا بجمع المال وكل يحتج على شاكلته والصواب
من ذلك انما يلهمه من رزق عقلا صحيحا ونظرا سليما فهو يتبع الافضل
ويعطي لكل شي مقدارا مما يصلح الفضل له واذا اردت ان تتامل من جمعت
له الفضايل كلها فهو نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم بينا تراه في النجم يقول
انا سيد ولد ادم تراه في التواضع يقول لا تفضلوني على يونس وبينا
هو ينام ويستريح اذا هو يقوم الليل حتى ورمت قدماه وبينا هو يقول
ما لي وللدنيا اذا هو يطلب المستحسنات للتزوج وبينا هو يحث على
العلم اذا هو يحرض على العبادة الى غير ذلك من الفنون المتضادة فهذا
هو الرجل الكامل الذي لم يقف مع انبساط سليمان ولا مع زهد عيسى بل
اعطى الاحوال حقها فاعرف من ما اشرت اليه **فصل** تامل ما يكون
من الرجل بين المعطي من صغر الطفل وذاك ان الطفل يخلو له ذهن

وعقل على مقداره فاذا رايته يقول للصبيان انا الامير فاعلم حسن
همته فكذلك تلمح جميع احواله فانها تدل على عواقب اموره وقد كان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ياتي وهو صغير الى مجلس جده عبد المطلب في الحجر
فيقعد في صدره فيقول عبد المطلب دعوا ابني هذا شانا وقد كانت الشجاعة
تعرف في ابن الزبير من صغره حتى انه كان يوما يلعب مع الصبيان وهو صبي
فمر رجل فصاح عليهم ففروا ومشى ابن الزبير القهقرى وقال يا صبيان
اجعلوني اميركم وشدوا بنا عليه ومر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو
صبي يلعب مع الصبيان ففروا ووقف فقال له ما لك لم تفر مع اصحابك
قال يا امير المؤمنين لم اجرم فاخاف ولم تكن الطريق ضيقة فاوسع
لك وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابن مسعود وانه ليرعى غنما فقال
علمني يا رسول الله فقال انك غلام معلم ودخل رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم المتوضا فوضع له ابن عباس طهورا فلما خرج قال اللهم
فقهه في الدين وقد كان الشبلي يرى ابن سمعون وهو صبي فيقول ان لي
شيء في هذا الصبي من العجائب ولو ذكرنا هذا لطال وقل ان يكون
احد ممن راس الا ورياسته من الصبي تتربى وكذلك المرد يكون من الصغر
يبين عليهم الاحوال وانما هي اخلاق موضوعة في الخلق وغاية الرياضة
ان يكف شرا ويستجلب على الكره خيرا والطبع اغلب قال ابن مسعود المخلق

الى اربعين

الى اربعين يوما ثم يعود الى خلقه الذي هو خلقه فان قال قائل فما
هذا حيلة قلت ان عكس ما ترى من نفسك من علامات الادبار فذاك اقبال وان
لم يمكنك فلا أقل من سؤال من يقدر على غيره

فصل

تاقت نفسي الى بعض الاغراض
المباحة فاقبلت اسال الله سبحانه ذلك فصاح بي هاتف من نفسي ويلك
وقد فعلت ما فعلت من الذنوب اما سمعت قول بشر الحافي ربما مددت يدي للسؤال
ثم اقبضها واقول مثلي لا يسال ما ابقت الذنوب لي وجها فغاية امرك ان يكون سؤالك
اعوانا لك على خطئك فاما ان تسال الالحاح فيكون كمترخص في سفر المعصية فسكنت
الى هذا الخاطر مدة وصرت لا اجاسر على السؤال واقول مثلي لا يسال ثم انبعثت
لي فكرة فقلت من ضرورة وجود الآدمي حاجته ولا مسؤول سوى الخالق سبحانه
فانه ان كان لا يسال الا من لا ذنب له فذاك باب قد علم ثم رؤية السائل انه لا ذنب
لي اوحش من الذنب لانه يرى انه مستحق ومتساهل وتطفف وربما كانت ذلة
المعترف بذنبه ابلغ في الاجابة ولي بالانبيا اسوة فان سليمان عليه السلام
مع وقوعه في الفتنة قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
وما اقتصر على الغفران ولا وقف مع ذل الخطا لانه لمح كرم الكريم فراى الذنب
محتقرا بالاضافة الى كرمه وانه لا مسؤول سواه فسال ومن هذا القبيل جماعة
من الصحابة خرجوا فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه في اول يوم من رجب وكان
القتال محظورا في الاشهر الحرم ولم يعلموا انه اول يوم من رجب فعيرهم المشركون

فنزل عذرهم يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه الاية فلما راوا انه قد اقبل عذرهم
قالوا فهل لنا اجر الجهاد فنزلت هذه الاية التي بعدها ان الذين امنوا والذين هاجروا
وجاهدوا فقد تحصل لي من هذه الملاحظة انه ينبغي ان تعظم الذنب عند المذنب
لمكان تعظيم الناهي فلا ينساه ابدا ولا يسكن حتى يعلم الغفران ولو علم بقا الحيا
مما جنى كما قال الفضيل واسوتا منك وان عفوت وقال الشبلي احشرني
اعمى فاني عن تراك ومع هذا فلا ينبغي الوقوف مع هذا الاطلاق حتى يكون
مانعا من سوال الكريم بل ينبغي ان يلمح فضله فيمحى نفس الذنب وينفع الطلب
وقد كنت تارة الح في ذنبي فاقول مثلي لا ينطق بسوال الا ان يقول اغفر لي ثم الحت (آلمح)
كرمه وفضله فقلت وعزتك ان شدة خوفي قد زاحمني الياس واني انف
لكرمه من هذه الحالة وهاتان الحالتان تجتمعان عند النظر الصحيح واليها
اشير بقوله لو وزن خوف المومن ورجاوه لاعتدلا الا انه قد يغلب وقتا
عملا وحالا لا اعتقادا فيميل الانسان الى مقتضاه فيغلب الخوف فيبكي ويحزن
ويحرس ويغلب الرجا فيطمع ويونس والميل الى احدى الحالتين حظ محمي
فصل من الغلط العظيم ترك الاحتراز في كل شي واهمال الحذر من كل
ممكن مثل ان يتوانا الانسان في الاستظهار بالزاد والما ويقول معي ما
يكفيني الى المنزل وينسى انه من الجائز ان يتعوق في الطريق وكذلك من
يخرج ماشيا الى مكة ولا يستصحب اجرة الحمال ظنا منه ان سلامته وقوته تدوم

وينسى انه

وينسى انه قد يمرض فلا يدري ما يصنع وامثلة هذا كثيرة ومن اظرفها ان يبدو
الانسان بالطلاق الثلاث لغضب قد اعتراه وخصومة وينسى ان تلك العثرة
قد تشكل وربما امتنع الامر عن حيرة لا يمكن تلافيها ولطف فمن هذه الحالات
يبادر بطلقة ثم تقع خصومة فيضيف اليها اخرى فتبقى الزوجة معه على طلقة
فلا يمكنه اذا جرت خصومة ان يتصرف ولا ان يوجه بتطليق ولا ان يذيقها
طعم فراقه الا بالبت فان لم اليها ميل تاذى بالبت فهو يحذر ذلك فيتوقف وان
كان لها اليه ميل باست به بعد البت فربما الحت في اداه فيحصل من هذا انه
لا ينبغي ان يكون التاديب والفراق الا بطلقة واحدة فان هي ارعوت
وصلحت كما ينبغي راجعها والا تركها ولا ينبغي ان يعقد الاسر الا لاثبات للمعنى
الذي اشرت اليه فليفهم ما ذكرت وليعمل عليه ومما يلحق بهذا الفصل ان
يشتري الانسان جارية فتعجبه فيسكن اليها وهذا لا ينبغي في اول الامر لان
لكل قادم دهشة ولكل جديد لذة ولا يامن ان يطلع على اسرار له يكره امثالها
ثم يكرهها فيبيعها ويشتري غيرها فتحقد عليه فتفشي اسراره ويكون
قادرا على اذاه ومن الغلط ان يطاها في اوائل الامر طالب للولد فربما علقت
منه فان لم تصلح له اخلاقها او بانت له عيوبها لم يمكن ان يتخلص بل
ينبغي للانسان ان لا يروعه جمال في بداية الامر وان يتحرز من الجواري المشتريات
والنسا المنكوحات وليدم على الاحتراز سنة فاذا راى بعد السنة ما يصلح من خلق خلق



طلب الولد ويوطن مع الاحتراز الممكن ايضا فان القلب ينبو بعد سنين والاحتراز
في الممكنات لازم ومثل هذا انبساط الحال الى صديق وغيره وهذا فصل
نافع يدل على مراقبة العواقب والاحتراز من الممكنات والله الموفق فصل والله
لقد عجزت عن شكر مولاي وسيدي بظاهر نعمه الظاهرة فعظيمة تفوت
العد وكذلك نعمه الباطنة الا انها اطرف واعجب اذا تاملت بدني وجدته
صحيحا واعضاي سليمه وخلقي معتدلا ولي ادراك وفهم وذكا وهمة حركت
الى طلب المعالي في العلوم وخدمة المعبود واجتناب الرذايل من الاخلاق
والدنايا من الاوساخ ولو ذهبت اعد من هذا المعنى لطال وانما مرادي
الاشاره الى ما يغمض ويدق فمن ذلك انه زوى عني فضول الدنيا وكم حتى
اذا انفدت النفقه او قبيل النفاد بعث بمقدار ولو اتسع لي المال لتوسعت
في المطعم فتعلو عن الشهر والخير ولربما اوجب امراضا للبدن وهو يحمي
ويجلب قدر ما يصلح والنفس تتوق الى فضل مطعم وتحتج بانه يقوي البدن
لطلب الخير وذلك من كلام الهوى وزخرفه وكذلك تطلب الاكثار من النسا
والجواري ولا سبيل الى ذلك لعدم المال وقد بانت لي مصلحة العدم لحفظ
القوة التي انفاقها على العلم والعمل اولى ومن ذلك انني كنت اشتغل
بالوعظ واجلب الناس الى باب الله تعالى فاتفق انقطاع المذكورين
كلهم فاوجب لي انفرادي خلوتي من الفوايد والتصانيف والبحث بالفكر

عن عيوب الناس



عن عيوب الناس التي كانت مغطاه بالمخالطة التي كانت تشغل عنها فلا ادري
كيف احمده سبحانه اذ اتى لي مصالحي وساق لي قدر كفايتي وحماني عن فضول
الشهوات ولم يسلطها فغلوب الطبع وترك الهوى بهذه فصل على قدر الهمم تتعب
الجسم كما قال المتنبي واذا كانت النفوس كبارا • تعبت في مرادها الاجسام •
الا ان علو الهمة يختلف فمن الناس من همته في الشرف والعلو والسلطان وهي
نفوس الملوك ثم لا يبالي اكثرهم مع تحصيل مراده بفوات الدين وهذه رفعة ادون
من حضيض فانه لا خير في لذة من بعدها النار وكذلك تعلو همة التاجر في
كسب المال ولا يبالي من اين كسب ولا ينظر في عمر السريع الفناء كيف ضاع
في تحصيل حجر لا يراد لنفسه ونظايرها كثيرة وانما الغرض الكلام في
طلاب الاخرة وعلو هممهم فيقول في القوم من تعلو همته ويقل علمه فيرا
كثيرا من العلما تعلو همتهم في طلب الحديث ويعانون الاسفار البعيدة
لنيله وقوما في طلب الفقه والنظر وقوما في طلب القران وقوما في طلب
العربيه الى غير ذلك ولو فقه هولا لعلموا ان الاقتناع باحد هذه
العلوم دون غيره دون فان شرف الهمة يقتضي تحصيل الكل فاذا لم يكن فالمهم
من الكل وترى قوما علت هممهم وقل علمهم فظنوا ان المقصود التعبد
فانعكفوا على الصوم والصلوة ورفض الشهوات وحملوا على الابدان فوق
الطاقه وظنوا ذلك الغايه وكل هولا بمعزل عن المقصود وانما المقصود

العلم والعمل ثم هما مقصودان لمعنى آخر وهو معرفة الحق عز وجل بهما ومعاملته
وذلك بالقلب قبل القالب وبالسر قبل الظاهر فلا ينبغي لذي همة ان يقصر
عن فضيلة يمكن ولكن لما كان العمر قصيرا اوجب استلاب المهمات من العلم والعمل
والمعاملة فترى المستيقظ يملا الزمان ويبالغ فلا راحة له الا ما هو فيه من طلب
الفضائل المقربة الى ربه عز وجل حتى انك ترى العالم يناول الفقه بيد والكتاب
في يده الاخرى يعجله بفضل العلم وتراه في حالة بطالته يدير لسانه بالذكر لئلا
تذهب لحظة في غير شي وان سكت فقلبه يجول في الفكر وقد كان كبار العلما
من اهل الهمم ينافسون في طلب الفضائل ويستقصون ما يمكن حتى ان عمر
ابن الخطاب جمع كل ما يقدر عليه من الفضائل وقد كانت قراه القران
يصعب عليه فاجتهد حتى انه حفظ البقره في ثنتي عشرة سنه وما ترك
القران مع صعوبته عليه لقوته ثم صبر عن اغراضه التي ينقص حظه من
الاخره وهجر كلما يخاف عاقبته وقام بالعدل حتى في نفسه واهله ثم لمح
ما يفوته من الفضائل وانتهب كل ممكن حتى تزوج ام كلثوم بنت
علي عليه السلام لكونها من فاطمه عليها السلام نظرا الى قوله عليه
السلام كل حسب ونسب ينقطع الا حسبي ونسبي وتلهف على حالة لا
يصلح يصح له كقوله لولا الخلافه لكنت موذنا وكذلك نقل عن بعض السلف
انه نظر في مرضه الى قدميه فقال ما اغبرتا في سبيل الله فتلهف على الجهاد

كيف فاته

كيف فاته وهذه حالة من استوفى كل ممكن وتلهف على الفائت وقال احمد بن
بشر الحافي لو تزوج تم امره وهذا كله لان القرب من الله عز وجل على مقدار الجد
والاجتهاد في تحصيل ما يقرب اليه والدنيا دار سباق فمضمار اجتهادها دوام من
رياضه وعلو الدرجات الباقيه مبني على اساس هذا العمل في الايام اليسيره ومن
وقع في بريه بكر حمل ما يعجزه لعلمه بحلاوة عاقبته ما احذق ما اهل البطاله فلا
ينبغي ان يضيع الكلام في شرح احوالهم فاني قد تجنبت شرح حال المتوسطين
وانما اشرت الى الكاملين • لا سالوني الاعراض اليهم • فاخر الركب الى مهم حير •

فصل ألمت بي شده فبالغت في الدعا وكررت طلبا للاجابه ثم رايت
الامر كلما جا اشتد وكان ابليس يقول لي الاجابه بعيده منك لانك تطلب امرا بعيدا
في العاده فقلت له ويلك انما اطلب من قادر ولعل مصلحتي في قلقي ودعاي
• ان كان سركم في ضري • فسلام الله على صبري • واقول ايضا •
• ان كان يوجب صبري رحمتي فرضا • بسو حالي وحل الضنى بدني •
ثم تفكرت في موانع الاجابه فرايت معظمها الذنوب وعلمت ان اخوه يوسف
اخرت اجابه ابوهم في قبول توبتهم عشرين سنه ليعلموا مقدار ما فعلوا ونظرت
في ذنوبي فرايتها اعظم من ذنب فرعون فقالت لي النفس ويحك كيف تقول
هذا ولعله ليس في ذنوبك شي من الكبائر فكيف تجعلها اعظم من ذنوب فرعون
الذي ادعى الربوبيه فقلت لها والله لقد ثبت عندي انها اعظم من ذنوب فرعون

لان فرعون لم يثبت الها وانما كان يقول ما علمت لكم من اله غيري فما
مار علي هذا غير ان خطاه كان من جهة ترك الاستدلال على وجود الخالق
فاما انا فاني عرفته بالادلة القطعية وصير في العلم ومعاناته كان من الخواص
المشاهدين ثم خالفته بعد ذلك كالمعاند غير انه يعلم من قلبي اني لم اقصد
قط الخلاف ولكن غلبات الهوى تنسي ومع هذا فالاعتراف يمحو الاقتراف
فنهضت عند هذه الفكر فصليت ركعتين وقلت الهي قد كنت عزمت
علي زيارة قبور الصالحين والاستشفاع بهم اليك فرايت ان كرمك
لا يحتاج الى تشفيع فاما ذنوبي فاني مقر بها وامتناع اجابتي لاجلها
لا استهوله بل اعرف باني لو قطعت كان بعض حقي ولقد هالني خوف نوحي
لمكان معرفتي لعظمتك غير ان هذه الفادحة العظيمة ليس لها سوى
فضلك الهي جاز حال بعض خلقك فقال الهي اليك حوجته فقال الطلب
لها رجلا واراد ان مثل فضلي لا يستنكر لصغار الامور وهذه
العظائم لا يحلها الا كرمك الهي قد عرفت بذنوبي التي صيرت نفسي
عندي احقر من كل حقير وارتني عظمتك فوق كل عظيم وانا انا وانت
انت فبغناك عني وفقري اليك ارحمني الهي لا تشمت بي ابليس فاني كلما
دعوتك السنين وقال الحكم تقول ولا عتب الهي خلقتني من ضعف
فلذلك قل صبري على المكروه الهي قبيح بمثلي ان يتجلد وانت تعلم

قلة صبره

قلة صبره الهي كم اشغل نفسي بذكر الموت وقرب الاجل عما انا فيه من بلايا
النفس وما تدعوه وقد اظهرت ما في باطني من قلة صبري وقد فوضت
اليك جميع امري فانظر الى بعين لطفك فيما يجري من القضا يا كريم فصل
ما رايت معوقا عن الخير مثل طول الامل وقد يقوى عند اكثر الناس حتى انهم
يقطعون على البقا فيقول احدهم سافعل كذا بعد سنة وينسى انه قد يختطف
كما اختطف نظراؤه في العام الماضي ومن قوة الامل القبيح ركوب البحر
في طلب الارباح مؤملا السلامة والظاهر الهلاك وليس تاجر البحر في مقام
امل السلامة في مقام قطع على النجاة فهو مخاطر بماله ونفسه وكان
الهلاك عنه بمعزل وما تزال الامال تقوى عند خلق كثير حتى يحملهم على ارتكاب
الفواحش مع كبر السن تاميلا منهم للتوبة بعد انتهاء العمر يائسين ان
مرض الموت قد يطرق غفلة وقد تقوى الامال حتى ربما استدت في المرض
ولقد راينا من قد اشفى في مرضه وهو لا ينفق على نفسه مع كثرة ماله مثلا
للحياة ولا يوصي بشيء ولا يتصدق بحبه ومنهم من يقول اذا امت فافعلوا خيرا
ان يتصدق فعافى فيفقد ما تصدق به حتى لقد رايت ابن ثمانين سنة
وله مال طويل كبير يقول اذا امت فعد فواعدني بشئ ولم يسهل عليه ان
يخرج شيئا وهذه الفصول في الامل يطول شرحها وانما المقصود التحذير
من امال لاهل الخير يصد عن المهم مثاله ان طول الامل يحمل على تعلم

العلم ونسخ الكتب والسفر في طلب الحديث فينبغي ان يوخذ قدر البلغه
ويعبر الى حالة اخرى ومن اعظم خطا طالبي العلم انهم يسوفون بالاعمال
وربما قصروا ورخصوا لانفسهم من ركب القبائح اما لظن ان العلم يدفع عنهم
وهذا غلط لانه الى ان يحاجهم اولى او للتشريف بالاماره والعاقل من
اعطى كل لحظة حقها من الاستعداد للموت وصحح المقاصد في طلب العلم فان
المقاصد اكبر الاعمال ولم يشغله ما يطلبه عما هو فرض وقته واصلاح
حاله فان اصلاح الحال كالفرض وفضول العلم من باب الفضل فليلمح ما اشرت
اليه ويقس عليه ما لم اذكره • فصل ما رايت اطرف من حال اقوام
يبرحون انفسهم في المعاصي بما يغضب الخالق سبحانه لصلوة ركعتين او بصوم
يوم او بصدقة وقد علموا ان المخلوق لا يرضى في معاملته بالمصانعة فكيف
الخالق الذي لا يقبل من العمل الا الخالص الصافي ولقد رايت خلقا من الظلمة
يغصبون الاموال ثم يتصدقون ببعضها ويبعثون الى فقرا مكة والمدينة
بالظن هذا يدفع عنهم وذاك الذب الظن او لطلب السمعة وهو الغالب
عليهم فرايت رجلا كان يظلم الناس ويطرح عليهم البياعات ويبالغ في
اذاهم ثم يعطي اقواما من العلما طلبه والمتزهدين ويزودهم للحج
فتحج منه مرة وعجبت من الآخذين منه مرات افترا ما نفعهم ما علموا
ولكنهم ظهر من افعالهم هذه انهم انما تركوا ما لم يقدروا عليه

الحرام فلما

الحرام فلما قدروا اخذوا ولقد رايت اقواما من المتصوفة يخالطون الظلمة
ويصادقونهم مع علمهم بحالهم فالشرط في صديق الصوفي متكبر على الفقرا
فما رايت اطرف من صوفية زماننا وزهادهم ولقد رايت بعض المتزهدين
يزور الظلمة فيهش اليهم فانكرت هذا وقلت من قد شاع ظلمه فالانكار
عليه يكون باجره فما رايتم يوافق فلمحت خبث النفس ديه وهي حبها
لزيارة الكبرا وان يقال فلان يقصده الامرا والكبرا وان كان هو ما يريد
هذا ولكن مداراته لهم يتعلق بارادة نفسه لذلك وكذلك امتناعه من ان يخرج
الى السوق فيشتري حاجة يظهر له النفس ان هذا للانقطاع عن الخلق
ويبطن عنه زينة الجاه عند العوام بالعزلة فالويل كل الويل لمن يعامل من
يعلم السر واخفى ثم يقصد البهرجة • فصل ينبغي للعالم ان لا يعمل عملا ولا
ينشر علما الا بنية صادقة وربما ظن ان نشر العلم لا يكون الا بصدق فليس
كذلك فانا اذا نظر الطالب الغلبة او حدث وصنف او فعل شيا ظاهره
الخير وفي باطنه نيته فاسد فليعلم ان ذلك بهرجة الدراهم لا ينفق
فالويل لمن عمله كل زايف وقد كان بعض الفقها لا يصنف كتابا ولا يناظر
في مسئلة حتى يتوقف وينوي ويصحح القصد فان لم يصح له لم يفعل وصار
اليوم احسن احوال العلما نشر العلم كيف اتفق وباي نية كانت فاستتر
طريق الاخلاص على المريد السالك لخلوها عن دليل فوا اسفا على ايام القوم

كيف لم يدركها وعلى علماهم كيف لم يرهم شعر •
• كفى حزنًا ان الدار الصب ان يرا • منازل من يهوى معطلة قفرا •
• ولكن فاتني ان ادرك الديار بطرفي • فلعلي ان الديار بسمعي •
فصل من نعمة الله عز وجل على خلقه انه اوضح الدلايل وكشف البراهين
ولم يجعل الشبهة قادحة في الدليل وان حدثت ولم يزل لكل الشبهات
لئلا يتعطل العقل عن تكليف فانه كلف دفع الشبهة وعين الحق من
الباطل وبين هذه الجملة بشرح حال وهو انه لو قدر لدجال الخاطر مثل
ان يدعي النبوة لكونه يخرق العادات ويقتل شخصًا ثم يحييه وياتي
جنة ونار لتخبطت العقايد ووقعت الشكوك في كل شي كان ولكن
الله عز وجل صرف الدجال عن هذه الدعوى الى ادعا الالهية التي قد قامت
الادلة التي لا اضطراب لها على انها منزهة عن صفات الاجسام
والدجال جسم محصور محدود محمول العين محتاج وانما قال ان ربكم
ليس بذي جوارح فتسلط عليها النقايص فلم يتخالج العقلا في الدجال
وان راوا ما يشبه المعجزة لان العقل الذي ينظر الايه ينبغي ان ينظر الى من
صدرت منه والى ما يدعيه ومعلوم ان الملك اقرب الى دعوى الالهية من
الاجسام الكثيفة فانه لا ياكل ولا يشرب ولا ينسل ويقدر على قلب
الصخور والجبال ثم لو قال انا الاله لنهض العقل رادًا عليه بدليل الحدث

وهي الحسيمه

وهي الحسيمه والنقلة والحركة فكيف بالدجال الجسماني المحصور المعيب
وانما تعتز الجهال بما يرون منه ولا ينظرون اليه ومن نظر منهم ممن يجيز
التجسيم فعندهم حديث الصورة والنزول الذي يعتقدون نقله وانه في
صورة شاب عليه حلة فاذا راوا شخصًا قد خرق العادات احتاروا ان
يكون هو ومن بلغ مقدار عقله الى اتخاذ عجل الهًا لا ينكر اعتقاده في
الدجال ولو ظهر شيطان فقلب بلدًا او رمى جبلًا او قال انا الاله لاسرع
المشبهة الى تصديقه لما قد تخمر في النفوس عندهم من ان الاله صورة ولو فهموا
ان الدليل على ان الله تعالى ليس بجسم هو الدليل على انه واحد لان الجسم مركب
من جواهر وهو اكثر من واحد ومن هذا القبيل نظر النصارى الى الايات
الجارية على يد عيسى فادعوا فيه الالهية ولم ينظروا اليه وان الالهية منافية
لذاته فافا نافقه علم ان ما ظهر على يده من غيره ومن يقارب هذا المعنى
حمل اهل التشبيه احاديث الصفات على ظواهرها نظرًا الى صورة ما في
الحديث من غير مراعاة لما يجب للقدم واعلم ان تخايل ما لا يجوز تخايله
كثيرًا ما قد افسد الاديان والعقول اما الاديان فكما ذكرنا واما العقول
فمثل ما حكي ان رجلا ضرب وتد في حفيرة فعلق بذيله فقام واحس بان
ذيله قد امسك فتخايل ان بعض الموتى قد امسكه فمات فنعوذ بالله
من الخيالات الفاسدة المستحيلة واذا ثبت بالدليل القطعي انه لا يجوز

عليه الحركة ولا السكون ولا يحد له صفة بان معنى الاحاديث فاذا لم
يبن فالسكوت اولى بما استعمل فاما ان افهم من حديث شيا مثل قوله
فيا بتهم من غير صورة الغضب والشدة والا سكت كسكوت السلف
الذين ما فسروا هذا بل اقول اي هو نداء في صورة ثم تعبير تلك الصورة
الزائفة فهذا اجهل بما يجوز على الاله وما لا يجوز فافهم هذا الاصل ترشد

فصل عجب العجب انك تعرض عن طاعة مولاك ولا تمتثل امره لا في
غض بصر ولا حبس لسان ولا في منع مطعم ولا يدري كيف يؤدي فرائضه
فلا تكف نفسك عن منهياته فليس عندك على الحقيقة الا القلقلة باللسان
وقيام البدن في الصلوة وقعوده والمعاصي قد احاطت بك من كل جانب
فاذا سالت النعم اخرتها اخذ المستوفي لحقه فاذا فاتك غرض دعوت
لنيل غرضك والحجت الحاحا ما سالته في فوات امر اخرتك فاذا امتنعت
الاجابة اما لعقوبة او لسر او لمصلحة قلت قد دعوت وما اجابني اتراك
احببته يوما لما دعاك هيهات هيهات يا من لا يستحيي كيف تنكر ان لا تجيب
منك ثم لا تعتقد ان بينك وبينه سلم الا في زمن العافية فاذا ابتلاك تزلزلت
انري ما علمت ما جرى للاخيار من البلا ولكن اذا لم يعرف المبتلى كيف لا يصح

فصل في تعليم المعاشرة للمخالطة مؤنة وكلفة لتكاليف للمماثل
والتحمل للاكابر والصدور وتحمل الاثقال من كل سخيف وشرود ومنبسط

وعتاب فاذا

وعتاب فاذا اضطروا الى مخالطة الناس ومعاشرتهم ما استطاع
ولا بد ان يضطر الى ذلك فينبغي ان يحترز في مخالطته فان بعضهم يصلح
للمعاملة وبعضهم للمعاملة وبعضهم لدفع الشر وبعضهم للتوصل الى الاغراض
فهم كعقاقير العطار والمنزل كل شي يصلح لشي وكذلك الاصحاب يستخدم
كل فيما يصلح له فلا يستشار النقاط والنمام في مقام الغراس لكاتب كما
ان العين لا تستخدم في اشغال الاذن فاذا اضطر الى مخالطتهم تحسن
الادب للمتقدم والاسمان بالكرامة للمماثل وبالرفق لصاحبه واشد
الامر في حق المماثل فهناك يقع الحسد لحب النفس الترفع على المثل ومتى
علمت خطا من مخالطك فاياك ان تطلعه عليه فانه يعلم انك قد علمت خطاه
فتكتسب بذلك عداوته الا ان يكون ذلك الامر في دين فتلطف بتنبيهه
عليه وبطوا له ان لم يقصد ذاك فاذا وجدت منه وجه عن علامة فالحذر
الحذر ومن هذا الجنس ان يرد خطا على رجل في جمع فانه يستفيد ما
رددت ويعدك عدوا ومن الخطا الفاحش ان يرا العمه وقد فتر
مغتره قبله فتوهمه انك تعرف مبدا امره ومن اوحش الغلط ان تراحم اسيين
وهما كانا في سر فاقلقهما فعلك وان تقطع حديثا على متحدث او ان تعترض
له في الحديث متمما او تعلمه انك تعرف الحديث او تقطعه عن مهم هو فيه
او تقصد الدخول عليه في خلوته او ان تذكره مصيبة قد نسيها او ان تكسف

عن سيئته وهو يحب سترها ومن الخرق الخطا ان ياتي الى شخص يحب شخص
فتقبح له محبته وتقع في المحبوب فان هذا مما يزيده محبه ولا يكسب ابت
سوى العداوه وانما طريق ذلك اذا اصررت اليه بالايما او التلطف باللوم
فذلك يذم الافعال لا بعيب الشخص ومتى رايت كاتم سر فاطلعت على سره
فاجتهد ان لا يعلم اطلاعك فانه اذا علم تمنى عدمك ليكتم سره ومن الخرق
التفريط مصاوله عياده المرضى وحبس الحامى والحبيب عن حبيبه وايك
اياك والطمع في الصديق اذ حمل ثقيل عليه فانه انما يود كما ان لم يحمل
عليه كلا واحذر ان تنقل محالسك على صديقك فانه ربما خفت عليه
ومنعه من استخدامها عذر باطل فلا تشك في نزع الموده من
يسدي اليه النعم فان النفوس قد جبلت على حب من احسن اليها
والحمق ان احدا لا يلقه الا بالتعظيم على قدر حاله بل يزيده عليها
فانك انما ترى المتعلم والصاحب بتلك العين وهو يرى نفسه اكثر من
ذلك لانه ما من احد يحقر نفسه واحذر كل الحذر من الخلق فلا
تخالط الا العزوز بمقدار لانك اذا خالطت العوام استهانوا بك وقل
احترامهم لعلمك ان المخالطه يوجب قله الاحترام وان خالطت العلما
احصوا عيوبك وكانوا افطن لغلطك الا ان مخالطه الجهال كمخالطه
السكارى خطره ومخالطه الحكما كمخالطه من يحتج قبله الاحترام الطب

محموده

محموده ومتى اردت ان تفعل فعلا باحد فاقم نفسك مقامه فانظر ما يحب
ان يوتى اليك فانه الى غيرك واياك ان تظهر النعم الكثيره فتسرع من الحسد
والاصابه بالعين بل بمقدار كون خايفا من معاداة الجاهل ومخاصمته
فان مكاملة العاقل للجاهل كمخالطة الصاحي للسكران فاما العدو العاقل
فهو ان امره عليك لان العاقل يداري وقد اجمع العقلا على انه تجاذب
اثنان متكافيا القوه شيء ما انقطعت وانما زياده احدهما في الجذب
يوجب الانقطاع واذا اردت ان تهلك عدوك فاصلح نفسك مما يلها
ومن التعيين على من جالس ملكا ان لا يمدح غيره في مجلسه وان بكف عما
يكرهه وان يتغالب لمان لعب معه فانهم لا يعمعون لفضل السلطنه
حتى يضموا اليه فضل كل ذي فضل وان يريهم ان يتعلم منهم ولا يعلمهم وان
يتقاصر لهم وان كان الاطول ومتى اظهرت غلبتهم لم يامن حبهم للموحد
ان يحملهم على اتلاف او اسقاط حكم بين الناس فكانه يفرح ساعة ويغتم
الدهر ومن المتعين لمن يسطو في الحلوه ان لا يسبط في الحلوه فان
لكل مقام مقالا وكذلك المراه العاقله اذا راتب عن زوجها في حال المباشره
حضوعا لغلبه الشهوه ان لا تبني عليه في غير تلك الحال ولا ينبغي للملوك
ان يطلع الملك على قوه ذكائه وحده فطنته وحسن حيلته على اعدائهم
فانه وان يتوسل بذلك اليهم فانهم يستشعرون الخوف منه ان يعمل ذلك

وفطنته في تلك حدلتهم والعلما على نحو الملوك في استعمال الاذن معهم وان
كان العلم بصدهم عن الاذى فان الحيد في النفس لا يملك ومتى خالطت
صديقا فنعي عليك فاثبت له ولا تسعى عليه واعذره فانه ذو امزجة
مختلفة وانت لا تثبت لنفسك على حال فكيف تطلب من غيرك الثبوت ثم كيف
تطلب منه الاستقامة لك ولم تستقم لخالقك فانه قد اخبر عنه بقوله تعالى
واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قايما فلما كشفنا عنه ضره
مر فاذا كان ذا فعله مع كاشف الضر عنه حقيقة فكيف ينكر منه الجور
في حق مخلوق مثله وما ملكت احد قط بمثل تواتر البر والاحسان فبالمال
تصاد النفوس والاحسان يملك القلوب والبر يستعبد الاحرار واما
اللئام فقهرهم بالغلبة ومتى قنعت من الاخوان بدون حقك واعطيتهم
فوق حقوقهم المعروف ودهم واكسبتهم حبا وخجلا واياك واظهار النعم
لمن تظن فيه الحسد فانه يحتال على زوالها واعتبر بقوله لا تقصص رؤياك
على اخوتك واياك اياك ومخالطة الفساق فانك لو سمعت ان شريكا خان
شريكه لم تعامله او طلق عنه زوجا كم تزوجه فكيف بمن قد خان اول منعم
عليه واياك ان تشكو نازلة نزلت بك فانك تشكو من ابتلاك الى من يقدر لك
على فرج فان كان المشكو اليه صديقا اغتم او عدوا فرح وربما كانت اعانة
الصديق في مصابرة الاقدار فتاثم وتؤثم غيرك وان كان صديقك يقدر على

كشفها

كشفها فيفعل من او يحل حدد ذكرها ويقول طلب فلان مني وما امكن
فان قل صبرك فاروح السرور بالشكوى فاشك الى القادر على المراد
وان يردك بخير فلا راد لفضله ولا تستبطي الاجابة فهو اخبر منك بالمصالح
واياك ان تنقل حديثا موذيا الى احد فان النميمة من شر الذنوب واعلم ان
مما ذم به السحر انه يفرق بين المرء وزوجه فالنميمة تجانس في التفرقة
ومن الغلط القبيح ان يحدث العالم العوام بما لا يسع افهامهم فان الخفاش
يتاذى بضوء الشمس او ان تخالطهم بكشف جميع احوالهم فانه لو خرج
الى الجمعة مشيا رويدا والعامي بعد ويقال العامي عن العالم هذا قليل
الدين ما يبالي بفوات الصلوة وربما وقع من ميزاب ما فصاح العامي
اما وكم طاهر وشك العالم فقال العامي لو كان لهذا دين يبحث قال لو
ان للعالم من الجهال فينبغي احتمالهم مهما امكن ومن الغلط ان يقول الا ان
في جمع لا يكون طويل الا احمق ولا طويل اللحية الا قليل العقل ولا يعرف
الاقرع جميلا ونحو ذلك فربما كان فيهم من هو كذلك فيحقد عليه ومن الغلط
الثقة بكل احد وفي اخوة يوسف عبرة ومداراة المعاشرين متعينة فان
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم تكفه عزة النبوة حتى قيل له ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك ومتى جربت على شخص خيانة او لغة فاعلم
انها طبعه فاجتنبه وبعيد ان ينقل الانسان عن طبعه وكثير من الناس

كلما احسنت اليه اسا اليك هذا صحبته يكون لا ينفعه واحسانك اليه لا ينجع
فان الما القراح اذا دخل الى قراح انبت اشجارا ثمارها اللذيذة وانبت
شوكا السلى وكذلك المحل الفاسد من البدن فانه اي شي وصل اليه من
الغذا يولد عفونة ومدة وهذا لا يكون الا فيمن لا اصل له ولا دين
فيه وقد قال الحكما لا تصحب فاسقا فانه يبيعك باكلة وما دونها
فقيل وما دونها قالوا يطمع فيها ولا ينالها ولا تصحب بخيلا فانه يقطعك
احوج ما تكون اليه ولا كذابا فانه يقرب منك البعيد ويبعد القريب ولا احمق
فانه يريد ان ينفعك فيضرك ومن ادب المعاشرة ان يكون المعاشر نظيفا
والنظافة في الصورة ازالة الادران والاوساخ وكم قد رايت من ظريف
فيناجيني فلا اطيق سماع كلامه لريح فمه مما سعى سنه لا يستعمل سواكا
وقد احب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال من اكل من هذه البقلة
الخبيثة شيا فلا يقربن مصلانا ان للمخالطة حكما وادبا واما النظافة في
المعنى فالتنزه عما يكدر مجالس الاشراف والنظاف من رذائل الكلام
وما تاباه النفوس منه وما يدل على قلة عقل الناطق به ومروته فانه لو
اشاع ذنبا لمن خالطه يوما ما اظهر بذلك خيانة نفسه اذ لم يكتم على
صاحبه واوحش جلاسه من نفسه لخوفهم ان ياخذ عليهم كما اخذ على ذلك
وفي الجملة ينبغي ان يجتنب كل ما يستثقل ويكدر ولكل قوم ادب واخص

الخلق استعمال

الخلق باستعمال التاديب لهم العلما والملوك الا ان الملوك يدفعون
في اداب الدنيا والعلما يتساهلون وقد كان بعض الصدور لا يغسل فمه
من الزهومة حتى يمسح يديه لئلا يرفع الى فمه شيا قد علق به زهومة
ره ويغسل يده في الطست المشبك لينزل الوسخ الى قعره فلا يرى وكان
فيهم من ياكل السفرجل قبل الطعام لتمتلي مواضع الخلال به فلا يعمل
الزهايم اليه واعلم ان المخالطة خطرة لان المخالطة تفتقر الى ان تطلع
الى معرفة من اخالطه اذ من الناس من يحب قلة الكلام بحضرته ومنهم
من يعد ذلك عيا ويحب الاطناب في مدحه ومنهم من يعتقد كثرة المدح
سخرية ومنهم من يحب السوال للحوائج والشكر على قضائها ومنهم من يكره
السوال واما معاشرة الاهل فينبغي للعاقل ان يكون منبسطا في
اهله منقبضا عنهم فاما الزوجة فانه اذا لم يقعد معها الهيبة انبسطت
الى غير حد فاول ما يضيع اسقاط الاحترام ثم اضاعة المال فينبغي ان
ينقبض عنها بعض الانقباض والافضل لعيشه وخصوصا في باب
المال فانها لا تزال اذا طمعت تنفق وتكتسي ولا تنظر في عاقبة وكذلك
الولد فينبغي ان لا يطلق في المال ولا يمنع من مراده لئلا يتمنى موت الوالد
ولا ينبغي ان يوخذ الولد الكبير بما يوخذ به الولد الصغير لان الصغير
كان منقاد الموضع حاجته فاذا كبر استقل بنفسه فصعب انقياده

فربما نفر كان الجندي اذا امره السلطان فانه يكثر اتباعه فربما حدث
لنفسه بالمقاومة واما الخدم فهم على ضربين دخلا وخارجون فمتى كان
الخادم ابله اتعب المخدوم ولم يفهم الاشارة ولم يعلم المقصود ومتى كان
فيه ذكا وفطنة لم يستتر دونه سر فالصواب استخدام الابله في الامور
الداخلة لان كتم الاسرار مطلوب ومن التغفل ترك خادم مع جارية
او مملوك مراهق مع امراة ثقة بالسلامة في الغالب فان ذلك الى العطب
اقرب ومتى اعتقد الخادم والولد فليقل وليترك لهم موضع للعفو
لئلا يضطروا الى التجري في كثرة التوبيخ ومن الخطا تسليم النفقة
الى النسا لانهن لا ينظرن في عاقبة وانما يسلم اليهن المفصلات كحفظ الحمل
وفي الجملة ينبغي ان يكون الهيبة عامة على الكل والاحترار واقعا من الكل
من غير اعلام بذلك ثم يخرج الهيبة بنوع انبساط يرفع ثقل الاحتشام
فينبغي لمن اراد طيب العيش ان لا ينبسط الى زوجاته وجواريه منبسطا
ولا يتركهن ينبسطن بل يستتر ويسترن ليرينه على التمام ويراهن
كذلك فلا يقع ملل ولا يكون المعاشرة الا في وقت الصفا فاما
انبساط الزوج الى الزوجة مطلقا وانبساطها اليه في كل وقت حتى
في التواكل ونوم احدهما الى جنب الاخر مع العلم بما لا ينفك منه المخلوق
فانه لا يورث الا الرخا والذين لا يستقذرون من بصق فصل

بكل شي

كل شي لله عز وجل بقيت قال الربيع بن خثيم ما لم يرد به وجه الله يضمحل
وقد سمعت من يقول كيف يقولون للحق دولة وللباطل جولة ما ارى
الامر الا بالعكس الحق يظهر حينا والدوام للباطل فاجبت بان
هذا باطل لانك انما تقول هذا لما ترى من ظهور البدع والظلم والحق
حق وان لم يتبع والحق عزيز وان اضطهد والله تعالى يحميه وان زلزل
واعتبر هذا بالنبوات فانها لما كانت لله تعالى ومنه بقيت فلا اعتبار
بملك فرعون سبع مائة سنة ولا باضطهاد الاسرائيليين وذبح ابنائهم
لان تلك العقبات انجلت فتلمح يوم امنت وفرعون في مرفق الغرق
والقوم قد ملكوا دياره وديار قومه واصبحت منازله كان لم تغن
فدام عليه الدمع ودام لبني اسرائيل الامر فكانه لم يكن في الدنيا الا ساعة
وتلمح حال احمد بن حنبل وما جرى الذي ابن ابي داود ابن من اخاف بعده
او مال الى احد الما هل كانت الا نفعة وما حرة ضربه ولا بقيهم استراحتهم
وبقي الذكر الجميل لهذا في احوال الدنيا فاما استقرار الخالص في الاخرة
وثبوت جزائه هناك فلم لا نفاد له فافهم هذا ولا تغتر برسما في سوره
معنى قليل بعرض السائح فصل اياكم والظلم فانه شر مكتسب وذاك
لان حقوق الخلق مبنية على الشح فاذا رفع المظلوم الظالم الى حاكم
عدل لم يكن بد من اخذ الحق فاما ما بينك وبين الحق فاقرب حالا لانه

المسامحه واعلم ان الظالم متجبر على نظيره مستطيل على من حاكمه فما اسرع
العقوبه اليه واعلم ان الله تعالى يهب من حقوقه ما شاء ولا يهب من حقوق
الخلق شيا ورسول عليه السلام يشفع اليه في اسقاط حقوقه ولا يشفع
الى مخلوق في ترك حقه ودليل هذا ان من شفاعته في الدنيا ان يديها
لدى دين مكان اذا اتى من يصلي عليه قال اعليه دين فان قيل نعم امتنع
من الصلوه عليه وقد كان يمكنه ان يشفع الى صاحب الدين ولكنه لم
يفعل فاذا كان هذا فعله في الذنوب التي وقعت برضى الفريقين فكيف
يشفع في المظالم التي وقعت على سخط المعصوب فصل ليس في الدنيا
شي الا وهو مشوب فالغني وان حصلت به لذه وراحه فهو مشوب
بهم لا يحصى والفقر وان وجد منه الم ففي ضمنه راحات كثيره فالعاقل
من نظر نظر مرجح فان الاغنيا مخاطرون بالنفوس في الاسفار
والبحار فاذا جمعوا بالغوا بالحفظ وخافوا على المجموع واحتاجوا الى مداراة
لصديق ومكابده لحاسد وكم مقتول لاجل ماله اما في البوادي فقطاع
الطريق او في بلد عرضه بتغير المزاج وربما وصل شيا فاحال على قتله
وارثه وتقابل هذه الافات الغنى عن الخلق وقوه القلب بالمال وبلوغ الاغراض
واما الفقرا فهم وان استراحوا من المخاطره وخلا ذكرهم بالعدم وسلموا
من سعي الاعدا فان بل هذه الراحه ضعف النفس وذل الفقير للغني لموضع

الحاجه

الحاجه فاذن المحمود التوسط فصل خطرت لي حاجاه في خلوه فقلت
الهي وسيدي لقد حيرتني افعالك وتركتني ادري اخاه انا سعيدي بعيا
ابليس لتعليم الملكه وتقدم بالعباده الى من عليهم فيري اصله شريفا
لكونه من نار فطرد وسلط اللعنه عليه ابدا وتقدم الملايكه بكثره العبا
فيومر بالذل المسجدين ويحرس ملكه داود بالوف فتسور الفتنه عليه المحراب
ويخرج موسى لطلب نار فيقع بالتكليم وما خال قط في خاطره وعرنك لقد
عرفت ان الكل من تقديرك وتدبيرك فما اعتمد على عمل ولا اتجاسر على
مساكنه امل فقدم لي على الخوف واخرى على الرجا كيف لا اكون قلقا وبينا
ادم في مرتبه سجد واقبل لما اهبطوا منها ابو طالب مع القرب محذول
وسلمان مع البعد مقبول برصيصا مع التعبد مفتون وبلعام مع
العلم مطرود واقلقني لا يدري ما له عندك ولا يعلم ماذا جرى قدرك
عليه ولا له اطلاع على علمك فيه وقلبه كالريشه في ارض صفصف في ريح
قد عاصف كلما عوم على الاستقامه في الجاده زلق كلما عول على رفع
بنيان العزم هدم وها هو قد اشرف على شفا جرف الخاتمه لا يدري
بما ذا يختم له ولا ماذا يقضى عليه اي عيش يطيب مع هذه المخاوف واي
جزع ينفع فانا لله وانا اليه راجعون فصل يا من يجاهد مع غفلته بانواع
اليقظه وقد غلبه طول الوسن كم ازال الحجاب من حسن ثيابك ايام صعود

بناتك وانت لا تتكلم ثم قد بعث الغفلة تعرف اساس البنيان من
سحت وهن عظم وضعف قوة ولحد بدانت طهر وانت عاقل يسلك
سواد الاعمال في زهرات القوة ويحسبك الله بسوء الحساب ومابقي
الا الاستيفا وجك النظر في الحسنه وارجع في تامل السنه فالجهيد على
الباب اما جمعك من اضداد ستنا فحراره وبروده ورطوبه ويبوسه
ايسك المجتمع من اضداد ثم فهل رايا مجموعا قد اسر باجتماعه دين والله
والله الفرقة يا من قد قربت اليه جانب الرحيل وهو مشغول ببنا المجد ان
يا من رحل اهله وجيرانه وهو اخر القوم اعوذ بالله من علم لا ينفع فصل
رايت لا تقنع مني بالتشاغل بالعلم وانما تطالبني بالزهد وترك الشهوات
ولزوم الصوم والسهر فقلت لها اعلمي ان المخلوقين يختلفون فواحد
يحمل جسمانه رطل واخر يعجز عن عشرة ارطال وواحد ياكل عشرة ارطال
واخر لا يتم نصف رطل ولله عز وجل في خلقه اسرار فقد جعل بعضهم
بصيرا باسباب الدنيا فاذا حدث بمسالة من العلم سنة لم يفهمها
واذا انهم العالم في صناعة ذلك سنة لم يحسنها وقد ركب طبعك على حب الدنيا
فانت به اقوم ولم يعد لك طبع يحمل خشونة العيش فترى بحسب ساربك
واعلمي بعد هذا ان حال الكل في العلم اذا صنفت فيها الكتب افضل من فعل
كل زاهد وصيام كل صايم فان تدريس العلم وتصنيفه افضل من التنفل
بالصوم والصلوة والتسبيح فمالك تو ثرين الناقص على الكامل اي

شكانت

شك انت من فتوى العلم فان العلم يفتي بان الاشتغال به افضل وقد
قال مالك بن انس يحق للانسان ان يعتمد من دين الله تعالى ما هو فيه احرا
واعظم عنا فيضع نفسه في ذلك الموضع فان كان بالحرب بصيرا وفي القتال
اجرا واعظم عنا فيضع نفسه بالجهاد وان كان في ذلك نفعا للمسلمين
وان كان لا بصيرة له بالحرب وله بصيرة بالعلم فذلك اعم للدين وافضل
وهل جاهد المجاهدون الا بما علم العلما من الكتاب والسنة وما احسن
ما قال مالك فانه هو الذي وقع لي واني لو خرجت بين الصفين للقتال
اذيت القوم بانزعاجي ولو خلت بدني شهرا من الرملان ما حمله الزهاد
ابدانهم من اكل الشعير لرايت عجايب الاذى وقد كنت في مبدا امري
فعلت هذا فسلكت في زمن الصبوة طريقة التقلل فتاذى بدني وعقلي
حتى خلصني من رقه ذلك الجهل كف العلم فاياك اياك ان تعتدي
ان فوق العلم فكيف وما خلقت لذاك قالت فبين لي دليلا
على فضل العلم لا شك قلت الادلة على ذلك كثيرة ولكن ساختصر لك
من القران قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم قايما
بالقسط وقوله يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
وقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهو في القران كثير واما
فقوله عليه السلام من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين العلما ورثة

الانبيا مداد العالم فيرجح على دم الشهدا والاخبار كثيرة واما المعقول فان
العبادات البدنية تحصل بالات الجسد الظاهرة والعلم تحصل بالقلب
والعقل وذلك اشرف ثم به يتوصل الى الخلود الدايم ورضى الخالق وهو مستمر
مزيد الرفعة في الدنيا على اربابها فالعالم نايب عن الله تعالى في ارضه امر
عنه ناه عن قوله وبفضيلة العلم سجدت الملايكة لادم وهو مرتبة الانبيا
ثم لا يدري رضا الحق فيماذا الا بالعلم ولا سخطه في اي شي الا بالعلم
وزهادة الزاهد لا تتعدى عنه ماله ولم يمتاز في زهده بقلة علمه
والعالم مهتد بنور العلم وعلمه عام النفع باق بعد الموت فصل
في اليقين النقلي بلغ علم مكتسب وكل احد يوقن بان الله تعالى يراه ويسمع
كلامه الا ان ذلك اليقين في الاعتقاد لم يقف بحيث يخرج الى الافعال
فاما المحققون فانهم لما قوي يقينهم كانوا في خلواتهم متادبين كالجالس
بمشهد ملك عظيم وهو ينظر اليه وقد زاد اقوام فلم يمدوا ارجلهم ولم يستندوا
وقد كان من هو اشرف منهم يمد رجله ويستند ولكن كان ذلك على قانون
الادب ايضا فتحقيق اليقين اذا ظهر على الجوارح اثر الادب واثر في المعنى
محاسبة النفس وفي الصورة حفظ الجوارح لان من ايقن ان الله تعالى يراه
ويسمع ويعلم باطنه تادب تحذر من خاطر قبيح او فعل غير صحيح
او كلمة تؤذي على انه لا بد من نوع غفلة تعطي حقايق اليقين توجب وجودها

مصلحه

مصلحة ولولا ذلك ما اكلوا ولا نكحوا فصل سمعت الناس من زاهد
قد ذاب جسمه في الصيام والقيام تعبا بالنوائب ولا يعجبون من مسافر
رجع نضوا حتى كسب مائة دينار ولا من عامل خرج لطلب عمر فيقبل والسبب
في هذا غلبة الحس على العقل فلو غلب العقل الحسنات لاستعظمها مالا
ولا استهانوا ما استهانوا ما سمعت قول الشاهد عن اليقين لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فصل رايت نفسي شديدة القلق
من ذكر الموت كثيرة الصحيح فقلت لها ويحك لا يصلح هذا القلق
لوجوه اولها ان الصحيح ما ينفعك ولا بد من ان توطني على الخالق
سبحانه يبني ويهدم ويعطي ويمنع ويهب ويسلب فان سلمت سلم
وان اعترضت امتلت والقدر لا يتغير وقد قال عز وجل من كان يظن ان لن
ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السما ثم ليقطع فلينظر
هل يذهبن كيده ما يغيظ وقال علي رضي الله عنه للاشعث ابن
قيس ان صبرت ايمانا واحتسابا والا سلوت كما تسلو البهائم فكانك
يا نفس باستقامتك ردت الكرب كربا ومن تفكر في الموت دايما مات
كل لحظة فلان يتشاغل عن ذكره لبقاء مرة خير له من ان يجد على نفسه
كربا كل لحظة الا ان يجد الانسان غفلة عنه وهنا يذكر الموت كما قال
عليه السلام اكثروا من ذكر هادم اللذات والثاني ان المتصرف مالكه

واعتراض الملوك جنون والثالث انه حاكم وقد يخفى وجوه المصالح
وان كان ظاهرها ونحن نرى الطفل يصيح من خروجه من بطن امه لمفارقة
الغذاء ثم نرى ان ذلك اصلح ويضج من فقد الرضاع ونرى ان ما يعوض به
اصلح فربما كره هذا الموت وكان اصلح له تعليم والرابع ان الشرع المعصوم
قد نطق بمال ارواح المؤمنين وانها في حواصل طير يعلق من شجر الجنة
فما وقعت النقلة للمؤمن الا الى خير مما كان عليه وكان الحق عز وجل
اعارهم اجساد ليصح التنعم فاذا قامت القيمة واعيدت الاجساد ردت
العواري وعادت الاملاك والخامس ان من الف حكمة مع صبره
لكل محنة واذهب حياة منقطعة مشوبة فنعم من ذلك باعادة الجنة
سليمة امنة من كل افراد الحيوة سليمة من انقطاع باقية على الدوام حسن
الثلاثة ما الملف ثم دعني من هذا الذي كيف كونت لقد نقلت من
نطفة الى علقة الى حال بعد حال ولاقت منك الام كل مشقة في الحمل
والوضع والرضاع والتربية ثم تولاك الاب والمؤدب بانواع الرياضة
فلما رهنك واستقام تزينك ساوم فيك الخالق فقال ان الله اشترى
فقام الهوى يعارض لباحد كيلا تمض قواها لكان فهمت قدر الربح
في معاملة الحق والويل لك ان يعد الهوى نفسك مجانا فاذكر والله
الموت الذي لا حيوة فيه فعليه فاحزن لا على موت الصورة فصل

احق الناس

احق الناس باستعمال ادب المعاشرة طلاب العلم مع مشايخهم فانه ينبغي
للصاحب ان يتأدب لمصحوبه ويكون معه كالمملوك ولا يرد عليه
بقوله فاذا اراد ان يعرفه انه خطا احتال بوجه لطيف مثل ما اخبرنا
عبد الحق قال انا محمد بن مرزوق قال انا ابو بكر الخطيب قال حدثني ابو
عبد الله محمد بن علي الدامغاني قال سمعت القاضي ابا عبد الله الصيمري يقول
درسنا يوما ابو بكر الخوارزمي فحكى في تدريسه عن محمد بن الحسن شيا وهم في حكايته
وكان محمد قد نص في الجامع الصغير على خلافه فلما انقضا تدريسه ترك الاعادة
على الاصحاب ومضيت الى ابي بكر وقد دخل منزله ومعي كتاب الجامع لمحمد بن
الحسن واستاذنت على ابي بكر فاذن لي في الدخول فدخلت وسلمت عليه
ثم قلت له ها هنا باب فيه شيء قد اشكل علي فاحتاج الى قراءته على الشيخ فقال
افعل فقرات من قبل الموضع الذي قصدت لاجله الى ان انتهيت اليه وجاوزته
فقال ابو بكر قد كنا حكينا في الدرس عن محمد بن الحسن شيا والنص ها هنا فيه
بخلافه وهو كذا فعرف الاصحاب ذلك حتى يذكروه ويعلقوه على الصواب
او كما قال قلت فلقد عشنا الى زمان نرى فيه من التلامذة من سوء الادب
وسرعة الرد على الاشياخ ما يستحي من ذكره وبلغنا انهم يحلفون اشياخهم بما لا
يصلح بعيد فلاح اولئك فقد قال ابراهيم بن ادهم كنا اذا راينا الشاب يتكلم في الحلقة
ايسنا من خيره والسبب في قلة ادب هؤلاء انهم لا يطلبون العلم للعمل انما لو

طلبوه للعمل لا ستعملوه فانه فيهم والذين كانوا يطلبونه لله عز وجل كان احدهم
اذا طرده شيخه صبر وثبت ولم يكن منه الا التواضع والادب ولقد ساءت
احوال كثيره من الاشياخ ايضا لفساد مقاصدهم فاحدهم يغضب اذا مضى
تلميذه يقرا على غيره وفيهم من يحلف اخوانه بالغيبه وينصر الباطل في مناظرته
وهو يعلم انه باطل وقد قال الشافعي ما ناظرت احدا فاحببت ان يخطي
ولا باليت معي كان الحق فهذه سير العلما والتلامذه القدما وهذه سير
المتاخرين وبينهما بون بعيد ولقد بلغنا ان عبد الغني الحافظ اخذ على ابي
عبد الله الحاكم اغلاطه في كتاب عمله وكتبها اليه فلما وصلت اليه املاها
على الناس واستفادها نسال الله عز وجل سلامة القصد وحسن الادب
والعمل به انه تدبر كريم حكى لي ابي مملي هذا الكتاب قال لي يا بني كنت انا وجماعه
مثل ابن الخشاب وابن لسنه وابن سافع وجماعه كل من عند الوزير يحيى
بن هبيره لما كان على كتاب الافصاح في معاني الصحاح يملي عليه ما يقع له
خاطرا ومطالعه فاملى يوما ملي وانفعه قد وقع لي في معنى حديث فقلت
له هذا الواقع خطا فقال لا بل هو على الصواب فقلت لا اكتبه فقال لي اكتب
ما املي فقلت هذا خطا والحجة عليه فقال من اين اخذت هذا فقلت من
كتاب فلان وفلان فاحضر الكتب ونظر ما قلته واذا به هو الصحيح لا ما
وقع له فقال صدقت اكتب الان ما قلت فهو الصواب قال ابي فكتبته له كما قلته

وكان جاعه

وكان جاعه قد اشتد بوا الحفظ كتاب الوزير وجعل له على ذلك اخبار
ومشاهرات فبينا انا ليله جالس بحضرة الوزير واذا الواحد يقرا من حفظه
صوره ما كتبته رده على الوزير فلما انهى ذلك قال الوزير يا ساده هذا
كلام ابن الجوزي فانه وقع لي كذا وكذا فقلت له علقه في كتابي فقال هذا
خطا فبان لي صحة قوله فذهبت اليه وليس هذا من كلامي والا شرحي هذا
كلام الشيخ ابو الفرج قال ابي فاستحييت من ذلك فلما خلونا بالوزير قلت
له يا مولانا قلت كذا وكذا فقال كذبت ما كذا فاوصيتني فيه وقلته فكان الصحيح
معك كتبه ابن الجوزي عن ابيه رضي الله عنهما **فصل** من تلبيس ابليس على
طلاب العلم انه يحسن لطالب العلم الحديث كثرة السماع والطلب فيستكثر من
كتب الحديث وبعد الرحلة الى البلدان والذي في هذا الجزء والذي في هذا
الجزء لو كان العمر يحتمل لم يكن بذلك باس واما كان هذا ممكنا في الزمن الاول
لقلة الحديث وقرب الاسناد فاما اليوم وقد انتشر الامر وزاد على الحد فان
الزمان يمضي من غير ما وضع له ذلك لان المراد التفقه في الحديث لا الاكثار
وكثير من ارباب التشاغل بالحديث يتوفى اخر عمره فيصبح منهم من يعمل بما
عنده من الاحاديث وربما كانت منسوخه او ضعيفه او بخلاف المعنى ولا
يدري كل ذلك لتشاغله كله بكثرة الطرق عن الفقه ولقد بلغني ان رجلا من
المحدثين قرا على قوم في حران النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى ان يسقي الرجل

ماوه زرع غيره فيفرق القوم وهم يستغفرون الله ويقولون كنا
اذا فضل من مايناشيا ارسلناه الى زرع جيراننا ونحن الان نستغفر
الله وهذه جناية على الاسلام اعني قراه مثل هذا الجاهل للحديث وانما
اريد بالحديث ان لا توطى السبايا الحوامل ومن المحدثين من كان يقدم على
الفتوى لئلا يرى بعين انه شيخ وهو جاهل فانبانا محمد بن ابي منصور قال
انبانا احمد بن الحسن بن خيرون قال حدثنا احمد بن محمد العتيقي قال اخبرنا
ابو عمر بن حيويه قال اخبرنا سليمن ابن اسحق الجلاب قال حدثنا ابرهيم
الحربي قال بلغني ان امراه جات الى علي بن داود وهو يحدث وبين يديه
مقدار الف نفس فقالت حلفت بصدقة ازاري فقال بكم اشتريتيه قالت باثنين
وعشرين درهما قال اذهبي صومي اثنين وعشرين يوما قال فلما
مرت يقول اه اه غلطنا والله امرناها بكفارة الظهار قلت فانظر الى هذا
الفضيحه ومنهم من كان يتلجلج لا يدري ما يقول اخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز
قال حدثنا احمد بن علي بن ثابت قال سمعت البرقاني يقول قال لي ابو بكر الابهري
الفقيه كنت عند يحيى بن محمد بن صاعد فجائته امراه فقالت ايها الشيخ ما
تقول في بير سقطت فيها دجاجه فماتت هل الما طاهر ام نجس فقال
يحيى ويحك كيف سقطت الدجاجه في البير قالت لم يكن البير مغطاه
فقال يحيى الا غطيتها حتى لا يقع فيها شي قال الابهري فقلت يا هذه ان

كان الما

كان الما قد تغير والا فهو طاهر قلت ويدخل الشيطان على الفقها فيلهيهم
بالجدل والخصومات فيقطع الزمان من غير حصول فايده ويتشاغلون بذلك
عن الحديث الذي هو اصل الشرع ويدخل على الوعاظ بان المقصود ترقيق القلوب
فترى احدهم ينشد الاشعار الغزليه والمقرى يلحن ويطرب فيوجب ذلك ما يوجب طرق
الغنا من التواجد وتمزيق الثياب ويوهمهم ان المجلس قد طاب وهذا عين المنهي
عنه لانه اخراج للطبع عن الاعتدال وهل سمع عن نبي وصحابي انهم فعلوا ذلك
او خرجوا عن الاعتدال في حال ويدل على انه خروج عن الاعتدال انه اذا ارتكبه
استحيى الانسان مما اعتراه من الطرب والانزعاج كما لو خضع عند الرهبه حتى
فاعطى فانه اذا صحى من سكره ذلك ندم ويدخل على اهل اللغه فيقول اهل السان
الشريعه فيشتغلون بالالفاظ عن معرفه واجبات الشرع الى ان يفني العمر وكم
في النحو وقد لبس على صاحب فتيا فقيه العرب لقلة فقهه فاراه انه قد افتى في المسايل
وانه قد اتى بال لا حل الى ما يحمل اكثر الناس عنه وهو خطا اخبرنا ابو منصور اللغوي
وابو الفضل بن ناصر وابو الحسين الانصاري قالوا حدثنا زكريا التبريزي
قال انبانا ابو وقال ثنا ابو الحسين بن فارس قال قيل لفقيه العرب هل يجب على
الرجل اذا شهد الوضو قال نعم والاشهاد ان يمذي الرجل وذكر من هذا الجنس
مسايل كثيره ووجه الخطا في ذلك انه متى كان الاسم مشتركا بين مسميين كان
اطلاق الفتوى على احدهما دون الاخر خطا لانه ربما كان السمعي ما يتولد



في وطي الرجل زوجته في قرئها فان القرء يقع عند اللغوي والفقها على الحيض
وعلى الطهر فيقول الفقيه لا يجوز اشارة الى الحيض لا يجوز ويقول يجوز اشارة
الى الطهر لا يجوز بل ينبغي ان يفصل وكذلك لو قال السايل هل يجوز للصايم ان
ياكل بعد طلوع الفجر لكان ينبغي للفقيه الفجر فجران فيجوز له الاكل بعد طلوع الاول
دون الثاني وعلى هذا جميع المسايل التي ذكرها خطا باطلاق الفتوى فيها لوجهين
احدهما انه لم يستفصل في المحتملات والثاني لانه صرف الفتوى الى بعض المحتملات
وترك الاظهر وانما يقع هذا لقلة فقه النفوس واستغنا الانسان بعلمه ثم ان ابليس
حسن لكثير من العلما ان العلم يدفع عنهم وانساهم انه حجة عليهم ففسحوا لانفسهم
فيما ينهى عنه العلم ومنهم من لبس عليه بان المقصود نفس العلم وجا الى الاخرين فقال
المراد العمل فشغلهم بالصوم والصلوة مع قلة العلم واضلهم بالريا والعجب والعمل
الباطل فالموفق من استضا بنور العلم واحترز به وعرف المقصود منه فان
الاحاديث تراد لفقهها والنحو واللغة لبيان معاني كلام الله عز وجل وقوله
صلى الله عليه وسلم والفقه لفهم مراد الشرع ثم المراد العمل بذلك لصاحب العلم وذلك
هو الاخلاص نسال الله عز وجل فهما يوقفنا على المقصود ويمنعنا من الزيغ
والله عز وجل قادر كريم

فصل

لله سبحانه وتعالى عندي من النعم ما لا احصيه
ولا يمكنني عدها من زمن الطفولة الى الان وذلك يقوي املي في عفوه وان كانت
الذنوب تعترضني فتكاد تويس غير ان اللطف لي اغلب ولولا ان التحدث

بالنعم شكر

بالنعم شكر ما ذكرت هذا غير اني اشكر المنعم واحوال تعتبر سامعها توفي ابي
ولي من العمر نحو سنتين او حولها فلطف سبحانه بي في التربية ورزقني علو الهمة
في الطفولة وكنت في المكتب وانا قرين الصبيان وهو المتقوم عليهم وكنت
اتوق الى مجالس الوعاظ واحبها من ذلك الزمان واحضر واكتب ما يقولون
واتفق ان شيخنا ابا الفضل ناصر كان صديقا لعمي فكان يحملني الى المشايخ ويسمعني
عوالي الحديث وثبت ذلك الحب وركز في طبعي من الطفولة السكينة والوقار
فما اعلم اني وقفت في طريقي مع صبي مثلي العب ولا ضحكت مع قرين مثلما
للصبيان وكنت بها جزت بالرحبة وانا طفل فلا تعجبني حلق المشعبذين وانما
اقصد حلق المحدث فاختم قلبي لحفظ السمر واعود الى المنزل فاكتب ذلك بالمعنى
وامر على مجالس الوعاظ وانا بعد في المكتب فادخل فاكتب ما يقولون ولزمت ابن
ناصر اكتب عنه واسمع معه على المشايخ الى ان بلغت فاخرج الي ثبت ما سمعني على الاكا
فعجبت من تعذيب الحق ذلك من غير كسب مني فالحقت بذلك الاسناد للمعالي
فلما بلغت الهمني الحق عز وجل الزهد والنظر في سير الصالحين حتى قطعت بذلك
سورة البلوغ وهداني الى الفقه فميزت به ما يصلح مما لا يصلح من سير القوم وما زالت
الاحوال تتلطف بي على احسن لطف واقواها في الطلب بحب العلم الي فكان شعاري
ودثاري وسيري وصار الفقه يسوق الى اصول العلم ويطلعني على عيون النكت
ويعرفني غور الامور وآل الامر في مجالسي الوعظية الى ان يحضر المجلس عشرة الاف

واذكر لهم سير السلف فتوب بالمائة وحولهم ويصلح خلق كثير ثم اتفق قطع مجالس
الوعاظ كلهم وانفردت بالعلم والتصانيف انفرادا لم اقدر عليه قبل ذلك لمكان
المخالطة فكان الناس يدعون الله تعالى ويسالونه عود مجالس الوعظ ويقولون
فقدنا قوتنا وكم من مذنب قد رجع وكم من عاص قد صلح وكنت انا معهم على ذلك
الى ان كشف لي غور العلم وتحقيق النظر ان جمهور ما كنا فيه خطا وسبب الخطا تقليد
الاشياخ والجري مع العادات وذلك انا راينا الناس يستعملون في الوعظ طرائق
فسلكنا اصلحها ثم قسناها باحوال القدماء من السلف فرايناها غلطا وذلك
ان مما كان يجري قراءة القراء وخصوصا البسملة التي يوقعون بها توقيع الاغاني
وكان غيرنا اذا انشد الاشعار التي تصلح للوعظ انشدنا ما يليق بالوعظ وما قاله
اهل المعاملة والمعرفة الا انه كان يتفق هذا الانشاد مع ذلك التلحين فيوجب
طرب الناس فرايناهم قد ابتلوا بهم وصحوا ولطموا وخرجوا على وجوههم وكان ذ
ذلك يؤثر في نفسي ايضا ولعمري انما ما كنا نعد ذكر السلف والصالحين مما
يوجب القلق غير ان طريقة السلف الصالح لا ترتضي هذه الحال واخراج
الطباع عن الاعتدال لا يصلح بحال ومما بان لي غلطه انا كنا نذكر عن جماعة
من الصالحين اشياء بان لنا انهم غلطوا في فعلها وكان ذكرها للعوام لا يصلح
مثل ان يقول كان فلان منذ ستين سنة لا يضطجع وكان ابو يزيد حلف على
نفسه ان لا يشرب الماء سنة وهذه الاشياء وامثالها غلط من فاعلها

وذكرها

وذكرها يفسد السامع ولا يصلح على قانون الشرع الى غير ذلك من الاحوال التي
انكشفت لي بما اوجبه الفقه والفهم وادراك غور الشرع انه كله خطا وان
انقطاعه كان مصلحة وما كنت بالذي يمكنني تركه بغتة لكن القدر درجني القطع
عنه ثم بالفكر فيه ثم بمعرفة اصول الشرع التي تنهى عنه ولو اخذني على ذلك الاول كنت
ملابسا للمكروه الشرعي على ان مجلسي كان اصلح المجالس فما كان يمكن فقيها من الفقهاء
ولا محدثا ولا احدا يطعن في شيء منه لوضع اجتهادي في اتباع الشرع غير اني بينت
ما ذكرت على نفسي بعين التحقيق فرايت انه على غير الطريق فلله الحمد حيث نقلني
من مقام الى مقام هو اعلى منه وكشف لي غور ما بعده منفعة وفضلا فانا اقول

لا زلت انزل من ودادك منزلا   تتقاصر الالباب دون نزوله

وكان عز وجل قد رزقني الازواج والاولاد ولم يحوجني الى ذل الخلق ولا تعب
كسب بل كان يلطف بي من حيث لا احتسب ويخير لي في اموري ويلهمني
طلب العلوم الانفع والاصلح وما يبين لي الخيرة في عاقبته وجعل قوتي بعد ات
لا يشغلني ولا يعوزني وكان النفس يطلب فضل نكاح او شرى جارية
فيمنعني من ذلك لضيق اليد ثم بين لي في العواقب ان ذلك حجره لترقيه
القوة على العلم والعمل ثم فتح لي ابواب التصانيف فجمعت من كتب الزهد
والادب ما لم تتهيا لغيري وجمع لي من ادب في نفسي وصبر في باطني مرارات
ومدارات للخلق وصونا لبيتي بمكروه وحبب لي الخلوة وفتح لي باب معرفة

انست فيها بخدمته واوقع في القلوب اكثر من قدري فنهض خلق كثير من ابنا جنسي
يحسدوني على الذكر الجميل وقبول القول وظهور التصانيف ونفع الناس فاخذت
النفس تتغص بما يبلغني عنهم فضجت بها ويحك احترزي من الحسد ثم اعلمي انهم
يحسدونك على ما يتعلق بالدنيا وانت فهمتك متعلقة بما هو اعلى من هذا فارحميهم
فانهم ما عرفوا المعطي فلذلك ذموا المعطي ولو عرفوه لاشتغلوا بالمعرفة واشتغلوا
بالطلب **فصل** ما هلك الناس كلهم الا بموافقة الهوى لانه يؤثر العاجل
ويحث عليه ولا ينظر في عاقبة وكم وافقت الهوى في مباح لم انظر فيما له
فبقي على حالة باذى ولقد نظرت في امر خفي وهو اني مشيت يوما في شمس
الحر ثم جئت الى مكان بارد فمال الطبع الى التعري طلبا للتبرد والعقل والعلم
يمنعان من ذلك لئلا ينشف العرق فلم اصبر وقال الهوى المحض فاصابني
من الزكام مدة ما قارب الامر فيه الموت فاعتبرت بذلك وقلت يا نفس السوء
انظري ماذا جنى عليك الهوى في البدن فكيف جناية الهوى عليك في الدين
يا سبحان الله كيف اقدمت على استعجال لذة قد علمت عواقبها او لا تساوي
لحظة راحة مرض مدة وربما آل الامر الى الهلاك فالآن قد وعظت بما جرى
لك فاياك ان توافقي الهوى حتى تستشيري العقل فان العقل ينظر في
العواقب فاذا فعلت من غير استشارته عطلت منافعه وكان وجوده عندك
كالعدم ثم يعقبك فعلك ذلك حزنا اضعاف فرحك ومرضا اضعاف عافيتك

وربما

وربما منعت لذات عراقا العواقب اذا ما ابت عاقلا فقد سلب قواعد
عقله **فصل** لما سبرت سير السلف تعلق قلبي بمحبة اقوام منهم لما
اطلعت عليه من صفاتهم الجميلة وان كنت احب كل الاخيار لكن رايت بعضهم
في قلبي على بعض لعلو مراتبهم وفضلهم فزادت محبتي للحسن البصري وسفيان
الثوري واحمد بن حنبل حتى عملت بجمع فضائلهم وخصائلهم وادابهم ومن
العباد ابراهيم بن ادهم والفضيل بن عياض وبشر ومعروف ورابعة
جمعت فضائلهم واخبارهم ومن الولاة عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز الا
انه دق نظري وقوي بحث فكري فما في هولا السادة الا من اخر الحالة
لو تركها كان اولى او اراها امرا قصر عنه لو فعله كان احسن فيهم فمنهم
المشدد على نفسه التي حملها فوق ما لا تطيق ومنهم ومنهم ومنهم وما
رايت في الوجود سيرة مخلوق قط تشبه سيرة نبينا محمد صلى الله عليه
واله وسلم وما اتفقت محبته في قلبي موضع الغيرة لاني لا احبهم ولكن
محبتي لهم كمحبة الاخوان والاهل ومحبتي له عشق فاذا تاملته رايت
الشخص الكامل لم ار له نظير الا من الانبيا ولا قدر على حالته الملائكة
تارة يخشن في الله فيقول لو سرقت فاطمة لقطعتها وتارة يلطف
هلا سترته ولو بثوبك يا هزال وتارة يقوم الليل حتى تتورم قدماه وتارة
يتنفل قاعدا وتارة يصوم وتارة يفطر وتارة يداعب الصبيان ويمزح

السا ويجرى في كل ذي حال مع حاله فيجمع الاضداد ليس معه خشونة ا
الزهاد ولا الى المترفين تارة ياكل العسل ويحب الحلوى وتارة يشد
الحجر على بطنه ويوثر بالموجود وكل من يجرى على حالة واحدة فامره سهل
انما الصعوبة القلب في الاحوال على وجه المداراة للدنيا واهلها فان عيسى
ابن مريم كان زاهدا محتسبا وكان في موسى فظاظة وكان في ابراهيم كرم يغلب عليه
وكان سليمن ملكا وهذا المصطفى قد جمع جميع خصالهم جمع المغاني
فوكبها واستعملها وزاد عليها فلم يجر في قانون واحد يصعب معه استعمال
ضده كان اصحابه اذا انشدوا الشعر سمع واذا تحدثوا حديث الجاهلية
تبسم واذا طلبوا منه اعطى ما بين جبلين واذا لم يجد شيا رهن درعه
عند يهودي وتارة يبطش بطش ملك وتارة يتواضع انما انا ابن امراة
من قريش كانت تاكل القديد فما احسن اخلاقه التامة الكاملة التي من
تاملها شهد له بالكمال السالم عن تقصير فكل شخص نزل في قلبي من
المحاسن تجد قلبي مملوا بحبه هذا المصطفى فيتزايد البيضا منه ولا يكون لي في
السوابد امكان فانا انشد متمثلا في محبته • • •

• اوقدتم نظري على فلم ارى • من بعدكم حسنا الى ان تقدموا •

فصل صفت لي خلوة في مناجاة فقلت الهي وسيدي اتمنى عليك اشيا كثيرة
ثم تمتد املي الى زيادة تليق بفضلك لا تعرفها املي وكذا ينبغي لمن طمع في

جانب كريم

جانب كريم فامثل نفسي بالزبير حين اقطعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم
حضر فرسه من ارض فاعلا الفرس فلما وقفت رمى سوطه ثم تعرض
لي ذنوبي فيقول مثلك يومل الآمال وينسى ذنوبه التي يسعى ان يكون
غاية امله العفو عنها فاقول وعزته وجلاله اني لانف لفضله ان يكون
معوق واما قدر ذنوبي مع اعترافي بالاضافة الى فضله وها انا اقول
كما قال ثمامة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان تقتل تقتل ذا دم وان تعف
تعف عن شاكر فقال ابليس وما قدر شكرك قلت لا امن به ولكن صف ما
وهبت لي من الشكر وهو اني معترف بالعجز عن الشكر عالم ان لا اقدر على ذرة
منه لاني اذا شكرت كان الهامي الشكر نعمة يحتاج الى شكر فاعترافي بتقصيري
هو الشكر وعزتك لقد انف ثمامة لما اسره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
ان يدخل في دينه فقال انما اسلم تحت السيف فحبسه الرسول بانفه فقال
اطلقوه فلما اطلق اسلم وانا وعزتك انف لفضلك وحاشاه ان يمنع
لاجل ذنوبي فكيف وذنوبي كالعدم في جنب فضلك واعترافي ثم حاشاك ان تخلق
ذوقا وما له مذوقا وشما وما له مشموم فكيف تخلق طلبه وحبا للامور العالية
وتمنعني نيلها اللهم الا ان يكون ذلك تعذيبا وهو اللايق بذنوبي فان وقع لم
انكره ولكن حسن ظني بفضلك الا تركني اساكن الخوف من الجزا وانما امر
وادور عليه ولا اسكن الا الى قوة الرجا في فضلك بعزك وذلي وغناك

و نفتري حققوا املي في فضلك ورجاي لانعامك وزدني ما لم يبلغه املي حتى لا
اعيش في فنا الفضل فقد بلا شي عندي علي من الخير واكون من عتقا الرحمن

فصل ليس على الصبيان اضر من مخالطة السفهاء فان التقويم برؤية الافعال
اعظم من التقويم بالمقال فانظر لمن تسلم ولدك ولمن يخالط ومن اصلح نفسه
قوم خلقا كثيرا بذلك لا يسعون بكلام طويل ومثال ذلك الطبيب اذا احتمى
فانه يدل على صدق ما دعى اليه فاذا روي يخلط سابت الظنون في اقواله
فينبغي للانسان ان لا يرا منه ابنه معصية قط فانه يودبه بكشفها ويزرع
ذلك في قلبه ولذلك المشايخ المعلمون • وحكى بعض المشايخ قال صحبت في زمن
الصبا شيخا من كبار العلما فرايته يقبلني وتارة يضمني اليه الى ان رايته
يطلب الفاحشة فعرفت من ذلك وصغير السن لا يعرف ما يفهم منه قال فلما
بلغت هانت علي الذنوب كنت اقول في نفسي اذا كان مثل ذلك على هذا
الوصف مع كبر السن والعلم والهوى عذرا لمثلي فلما تمادى قوي تشاغلي
بالعلم وعرفت ما اوجب التقوى صرت لا اترحم عليه بل اسبه كلما ذكرته واقول
لو كانت الي المغفرة ما غفرت له لانه لم يكن عنده شفق ولا فيه قوة النهوض
على قدمه ولا جرى هذا امته مرة فاقول غلط وقع ولا منه الله تعالى علي
بالعلم لشككت في امر الاخرة قال الشيخ وصحبت شيخا اخر فكان يرمي
كلما يجي خلال كلامه بشكك في الخالق ويرد على الانبيا فاوجب ابتلاب

البعث

البعث فقارقته ثم حصل لي بالعلم امثال الحال من الايمان لاني كنت كلما ذكرت ما كنت
اسمعه منه في الصبي خدش وجه علمي فقد يتحصل من هذا انه من كان له صبي فليتيقظ كيف يوجهه
والى من يضيفه فان طبع الصبي يكسر والنقش فيه لا يتقلع وليحذر من صحبة صبي يتعلم
منه ان يضحك في وجهه او يخلوا به وهيهات ان يجري هذا ممن يعرف علم السلف وطرايقهم
فقد قال يحيى بن معين ما طمع امرد ليصحبني في طريق ولا احمد بن حنبل وانما نشا اقوام
قل دينهم وقل معرفتهم باداب السلف ووقفوا مع صورة من العلم كالجدل والفقه ونحو هذا
من العلوم التي هي وان كانت شرعية الا ان اداب الشرع الاول بعيد منها فمنهم من جهل
ومنهم من اقدم ولم يبل ومنهم من قال ان العلم يدفع عنه فجروا مع الطباع ففجروا
نسال الله عز وجل توفيقنا وان يلهمنا رشدنا انه قريب مجيب

فصل من الغلط
العظيم مساكنة الامل واهمال الامور والحزم الاحتراز من كل ما يمكن وقوعه والاستعداد
لما لا بد من اتيانه ولا يجوز للعاقل ان يقطع زمانه بالتسويف فلربما هجم المخوف فندم
وقد فات الاستدراك بل ينبغي للحازم ان لا يمضي عليه يوم الا وقد ابرم اموره كما روي في
الصحيح ما حق مسلم له مال يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته عند راسه وليفعل
ذلك في جميع الاشيا فيقف ما يريد ان يقفه ويعمل كل ما يريد ان يعمله ويجلس متاهبا
للموت فاذا نزل لم يندم ويقول ليتني فعلت وقد يظن الانسان انه يعيش الخمسين
والستين فيوخر اشيا فيبغته الاجل قبلها فيندم كما يظن المسافر ان بين يديه ما
فيترك الاحتراز باخذ ما ولا يجد شيا فيهلك وقد يغتر الانسان ببعض نباته او تنبيه

بما له ويرجو ان يعوض الاخر فتدبر كيد المنبه على الجود والحاصل من هذا الكلام انه ينبغي
للانسان ان يكون على مقتضى الحزم فلا يوخر توبته ولا يامن مايحذر وقوعه ويجمع رحله
قبل رحيله ويستظهر بزيادة الزاد ويصور الموت كل لحظة نازلا فما يريد ان يفعل
يفعله فان حيوة الادمي غنيمه وبقاه ربح والا فالموت المتيقن ونقض البنيه هو الامر اللازم
نسال الله عز وجل يقظة تمنعنا حلول الندم وحزما يومننا زلل القدم وعقلا ينبئنا بما
ابقدم واستدراكا للفايت في الوجود قبل العدم انه سميع قريب **فصل** تاملت على اكثر
زهاد زماننا فرايتهم يسرقون اعراض الدنيا في خفية لا تقدح في ظاهر زهدهم فمنهم من قد
قصر زهده على لباسه فلبس الصوف والفوط ومايزال يغشى السلاطين والظلمة وياخذ
من اموالهم ويقول هذا زهدي وقسمي بهذا في مرتبة نهاري اللصوص ومنهم من ينقطع
عن السلاطين وابنا الدنيا الظاهرين فان مرض في جيرانه احد منهم عاده مع علمه
بان ذاك من كبار الظلمة ويخلل التودد اليه بحجة العياده لعل ذاك اذاع في بعث له شيا
او الى مسجده فكم يمرض في جيرانه فقير فلا يعوده ومنهم من قد انقطع الى التعبد
فزاره الناس لانقطاعه وغشيه الامرا والسلاطين والمبدعه وغيرهم وهو لا
ينكر على الظالم ولا يكفهر في وجه مبتدع بل لحق لكل الا البشر اقامه لسوقه وحفظا
لدكان زيارته ولو انه قصد الله تعالى لخرج ومشى في السوق واشترا حاجته بنفسه
وقد انقطع الناس عنه ولكنه لا يفعل هذا ويرى بنفسه ان ذلك لعوه الانقطاع عن
الناس فانما هي ريسه ناموس وقد كان بشر الحافي يقعد في السوق عند بعض العطارين

ويفعل اشيا

ويفعل اشيا وهو يطلب الجاه وكذا كان الناس وفي المتزهدين من يدعي للطايفه في
المسجد وهو يسمع ويمكنه ان لا يدعى ذلك ولا يمنع منه حتى ربما لقبوا بالقاب الدين وهولا
ينكرون ما كتب في السر وطلب منهم صحبة الفقرا عنده وعمارة الرباط او المسجد وهو يعلم
اموالهم من اين فليت شعري هذا في اي شي زهد انما فوطا مركب الراحة افتراه يتناول
الحرام من اموالهم والشبهات ويصلي فيها ينوح ويصايح الحق بدمعه تجري ثم اذا علم بصاحب
دنيا قد مرض بادر اليه في السر وعرفت من حال من يتزهد ويومي اليه ان بعض الظلمة
مرض في جيرانه فعاده فلما عوفي جاء يشكره على عيادته فقال له اريد ان تعمر في رباطي
هذا موضعا فاستحيا ذلك الرجل فقال نعم وهو لا يريد فقلت سبحان الله قد كان ينبغي
له انه لو سالوه انه يعمر فيه شيا لم يتركه ولم يصل على باريه يشتري بها ذلك الظالم وهولا
كلهم في ثياب متصنعون بزهادتهم اصحاب ركا كي لا يساوي عبادتهم شيا لانهم
للخلق يعملون وللدنيا يتعبدون وانما العباد كبشر وسفيان وابراهيم الذين بواطنهم
ظواهرهم بل احلى ومذاق سرايرهم الذ من كل حلو احلى وبعدهم بلا ابرح اوليك حزب الله
الا ان حزب الله هم المفلحون **فصل** جاء في الحديث اياكم والمحقرات
من الذنوب فان لها من الله طالبا وفي حديث اخر مثل المحقرات من الذنوب كمثل قوم
نزلوا واديا محضر صنيعهم فلم يجدوا فيه حطبا فتفرقوا فجا هذا بعود وهذا بعود
واوقدوا نارا وانضجوا ما ارادوا فتاملت على كثير من الناس انهم يحتقرون اشيا من
الذنوب واكثر اسبابها احتقارهم لها جريان عاداتهم بها فترى كثيرا من اهل الدين

والخير لا يتحاشون من كلمة غيبة فاذا انزعوا اخرجوها في مخرج فيقولوا فلان عافاه الله
فعل كذا او ما احببت له هذا ولا يتحاشون من نميمة فيجي الرجل فيقول فلان قال عنك
كذا ولا يتحاشون من نظرة يطلقونها او كلمة لا تحل يقولونها ومنهم من يجري مع العامة
في استعمال الربا وعقوده في المبيعات وعندهم ان هذا الامر قريب ومنهم من يصبح على والدته
فريما ضربها ومنهم من يطفف في مكياله وميزانه جريا على العادة ومنهم من يحلو القطع
ويصر فيها او قيل له هو لا افطر يوما في رمضان لم يفعلوا او لو ضربوا بالسياط عادة
يملكهم واحتقار لتلك الذنوب ومنهم من يترقى به التفريط الى جمع الصلوات بغير عذر
ويحتقر هذا الامر ومنهم من يصلي الصلوة التي ما صحت ولا يكاد ينظر في صحتها الى غير
ذلك من المحتقرات عندهم وهي عند الله عظيمة فينبغي للانسان ان يحذر هذه الاشيا
فرب يسير منها ادخل النار ففي الحديث ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يظنها تبلغ ما
بلغت فيهوي بها في النار سبعين خريفا والعاقل لا يحتقر معا لعذرة قط كما قال
بلال ابن سعد لا تنظر صغر الخطيئة وانظر من عصيت والحكما يقولون رب حرب
جنيت من لفظة ورب صبابة غرست من لحظة وفي الحديث الصحيح دخلت امراة
النار في هرة ربطتها فلا هي اطعمتها ولا هي ارسلتها تاكل من خشاش الارض وقد دخلت
بها النار وبالعكس من هذا يحتقر الانسان يسير الطاعات فيتكاسل وهو يطالع
تسبيحا او ركعتين ويحتقر كسرة صغيرة ولا يتصدق بها ويرد السايل ورب محتقر
من الخير اوجب الجنة كما صح في الحديث عن النبي صلى الله عليه واله وسلم

بينا رجل

بينا رجل يمشي اذ راى غصن شوك فرفعه فدخل الجنة وبينا بغي تمشي في بريه
رات كلبا ياكل الثرى من العطش فخلعت موقها فاستقت له به فسقته
فدخلت الجنة ومما يزعج قول الحسن اخاف ان يكون اطلع علي في بعض ذنوبي فقال
اذهب لا غفرت لك ومما يقوي رجا الناس ان مسطح ندد بعائشة
رضي الله عنها وقد عرف ما يواعد به القاذفون ثم لم يسلبه الحق اسم الهجرة وبطل
الى ابي بكر ليعفوا عنه فقد بان من هذا المشروع انه ينبغي ان يعتدل الخوف والرجا فلا
لا يحتقر طاعة وان قلت ولا سيئة وان احتقرت فمن ورآها طالب والله الموفق
فصل قد غلب على الناس الريا فقل من ينفك عنه فترى العالم يحفظ العلم
ويناظر في الفقه ويسهر الليل ليقال وليمدح فالزاهد يترك اللباس الحسن ويقنع
بالسطح الخشن ليقال وليشكره العوام فجمهور اعمالهم ريا ان لا يقصد واحدهم
فليراه الناس وان لم يروه من على الفقرا وتحدث به وان صلى او فعل خيرا او لو رايت
ايمة التراويح يقرون السور ويعيدون اللفظة مرارا انه يخرج القران عن نظمه
ومقصودهم بهذا ان فلانا حافظ ومن اعجب ما رايت ان النسا اذا مات لهم ميت
صعدن في الحر الى السطح بعد نوم الناس ونزلن قبل انتباههم لئلا يقال فلانة
تنام في السطح ولبس خشن الثياب ظاهرا حسنها باطنا وقد كثرت احوال الريا
في الرجال والنسا في كل فعل وقل ان ينفك منه احد وانما يكثر ويقل فينبغي لمن وفقه
الله تعالى ان يعلم ان الريا كالشرك ويفهم معنى قوله يراون الناس وقوله الذين هم

يراؤون ويطالع الاحاديث المذكورة في ذم الريا وهي كثيرة كقول النبي صلى الله عليه
واله وسلم يقول الله تعالى من عمل لي عملا اشرك فيه غيري فانا بري منه وكان بعض السلف
يقول القواس ابر الشرك وهو ان يصلي فتلحظك العيون فتطيل السجود وجملة الامر ان
الريا كلما قصد به روية الخلق لا احقاق الحق وقد كان السلف يتناقشون في ذلك
حتى قال بشر الحافي ان الرجل ليرائي بعد موته قيل كيف قال يحب ان يكثر جمع جنازته
وهذا تدقيق عجيب لانه لو احب الكثرة للاستغفار له لم يكن مذموما وانما يحبها لكثرة
مدحهم وليقال لولا انه رجل صالح ما كثروا فليتق الله العبد وليعلم ان الخلق لا يغنون
عنه شيئا وان جزاوه على نيته لا على علانيته واعمال الريا تذهب باطلا ثم يعاقب عليها
وليتصور في نفسه انه بعد قليل يبلى ويبلى من راءاه وتذهب المحامد ويبقى السوء
فلا يحسن للعاقل ان يعمل الا لله تعالى ولا يقول الا لله وانه متى صلحت نيته واخلص
عطف الله تعالى القلوب اليه فحصل له اضعاف ما رجى من مدح الخلق كما روي عن بشر
قال مررت بقوم وهم يقولون هذا لا ينام الليل والله ما اذكر اني صليت ليلة الا
بعضها ولكنه اذا رضي بشر الجليل ومن رايا ادم من حيث يرجو المدح قالت عايشة
رضي الله عنها من ارضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس ذاما

فصل

ما رايت اطرف من افعال الظلمة والمتكبرين ومنهم من يصانع بصدقة في وقت
واذا راد قوت على فقير واخراج ماء للسبيل في طريق مكة وبناء رباط ومدرسة
ثم لا ينزع عما هو فيه من الظلم ويظن ان ما يفعله من خير يمحو ما يفعله من الشر ويبني

ان التصدق

ان التصدق بالغصب لا يصح وان رجحه من ظلم افضل من مائة الف دينار يصدق فيها حتى ان احدهم يحج
للحج فينفق ما ليس له ويتذرع واصل مجيئهم الطرب والريا فاذا رجع من الحج لا امل في الطريق بالغ
في الظلم ويدخل على من هو اظلم منه فيقول دعوت لك عند البيت ورجع شرا مما كان فان اقلع
وانقطع بعد الحج فهو مشغول باكل ما جمع من الحرام لا يرده على اربابه ولا يبالي باستحلالهم ولقد
بلغني عن بعض الظلمة وكنت قد رايته حج ثم رجع فانقطع الى حيث عن اعمال السلطان انه بعث
الى بعض من كان ظلمه فقال له اجعلني في حل فقال والله لا افعل لانك اخذت مني خمسة الاف دينار
وقلعتني بها وقلعت بيتي ومنها شيء للاطفال ومن لم يبلغ قال فلما لم افعل تركني فخرجت والله
لو اعطاني مائة دينار لعصفتها على اصحاب الاموال وسالتهم ان يحلوه ولكنه راى ذلك صعبا
فامسك وكان لهذا الظالم حينئذ من المال والعقار كثير يمكنه ان يعطي منها خمسة الاف واكثر بعث
الى بعض من ظلمه فاخذ منه مائة دينار مثلا فيعطيه دينارين ويقول اجعلني في حل فيرى ذلك
المظلوم ان ما قد اخذ منه فات وقد يئس منه وانه ان امتنع لم يعطه شيئا اصلا فيحلله
بطرف لسانه وقلبه غير راض فيقنع بذلك ثم ان هذا الرجل لم يتغير عليه شيء كان فيه الا انه لبس
قميصا من قطن واما نعمه وتردد الناس اليه واكله ما جمع فانه لم يتغير وانما جعل القميص
وقاية لئلا يصادر وعنده انه قد عمل شيئا وهولاء يلعبون بانفسهم ويظنون ان التوبة قميص
ومنهم من يسمى تربة كان بابها بابا يلد ولا ينزع عن الكبر حتى في موته ويزعم انه ينتفع بجوار قوم صالحين
فما ابعد هولاء عن التوبة وقبولها وانما التايب من الجند مثل ابراهيم بن ادهم وما يحكى عن
الشبلي انه قال ظلمت شخصا بدانق ولا اعرفه فقد تصدقت عنه بالوف وانا التقي الله وذاك

في قلبي وهكذا ينبغي لمن تاب يخرج عن المظالم ويتبع اهلها فيردها عليهم او على ورثتهم ويبالغ
في الرد والاعتذار ويخرج عن كل مال حرام ثم ينظر من اين يكتسب ومن اين ياكل وقد بلغنا عن
بعض من سلف انه مات ابوه وكان لا يرضى ماله فخرج في جنازته واعترضه نهر فنزل اغتسل
ووقف له الناس فقال اشهدكم اني لا ارث من مال ابي شيا فحصل فيكم من يتصدق علي بقميص
وقد قال الفقها اذا تاب من الغصب والمغصوب في يده لم تصح توبته فواعجبا من هولا الجهال
الذين يكسبون الحرام ويتصدقون ببعضه وتوبتهم اقبح من معاصيهم نسال الله عز وجل ان يوقظنا
ويعرفنا طريق التوبة ويوجب لنا القبول انه كريم مجيب فصل ومن الغلط العظيم العمل
بمقتضى الحال الواقعة من غير تدبر المال مثاله ان يسمع المواعظ فيقع في قلبه الزهد وملازمة
طرق الصالحين فينهض مغتر لا للدنيا بالكلية فربما طلق زوجته او اعتق امته او غير ربيه
بين الناس واخذ في الصوم الدايم والسهر الدايم وخرج مما يملكه واشتهر ذلك بين الناس وكل
هذا كان ثمرة ما بدا له بالموعظة من الاخرة وقليل ذلك في جنب حال الموفق الا ان ذلك المؤثر لا
يدوم ونقاضي الطبع بما ترك لا بعد فيشق عليه عدم المؤثر وتقاضي الطبع فيهيج فقد راينا
من رجع اقبح رجوع ومثله الاكمل من غضب على زوجته واحد فطلقها ثلاثا فلما سكن
الغضب وتاقت نفسه اليها اخذ يحتال في تعليق الولي ويثبت ان نكاحه كان باطلا وانه
وطى فرجا حراما هذه المدة وان الولد الذي له ليس من نكاح صحيح فكذلك من حصر نفسه
وعيرته ولم يصبر فمنهم من يعود الى اكثر مما ترك ويرعاه ...الحرام وكان السبب قوة ذلك الحال
الحصر وفيهم من يستحيي من الناس ان يرجع فيستتر بالعمل ويفعل في الباطن اصعاف

ما كان فيه

ما كان فيه من الانبساط وهذا هو النفاق ومن الغلط العمل بمقتضى الغضب كالمشاتمة والمخاصمة
وقتل الولد وكذلك ما توجبه كل فورة كطرب الممدوح فانه يعطي ماله ثم يندم وربما قتل الذي يمدح
بالشجاعة للذي يرى بعين انه جبان والصواب ان لا يعمل بمقتضى فورة اصلا بل يتثبت كما فعل ابو داود
الطائي ان نفسه نازعته الى الزهد وكانت عادته حضور حلقة الفقه فقال لها ان صبرت في الحلقة
سنة ولم تتكلمي بكلمة افردتك للزهد فصبر وقال كانت الكلمة تخطر لي فاقول لها عندي اشهى من
الماء البارد فامسكتها فلما رايت ثبات نفسه افردها للانقطاع ولهذا امر في الطلاق ان لا يكون
الا في طهر لم يجامع فيه المراة وان يوقع طلقة وينتظر الى الحيض وتطهر ثم يوقع اخرى كل ذلك
لترجع النفس الى مقتضى الاعتدال ولا يعمل بحرة الفورة ولهذا نهى عن جمع الطلاق الثلاث وهو
محرم عند جماعة من العلماء وقد قال الله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وكثير مما راينا
من طلق وكان لا يستطيع ان يرى المراة فلما وقع الطلاق حن اليها وقد صبره عنها فيتحلل من
هذا انه ينبغي للعاقل ان يتثبت في كل شي من تغير زهد او تغير ثوب او غضب او فرح او عطا او منع او
ضرب الولد وغير ذلك فان المقتضيات للشي لا تدوم فاذا تغيرت تغير المحرك فاذا وقع التثبيت علم الانسان
اين هو وعمل بعزم معتدل لم تحركه فورة ولهذا نهي القاضي ان يقضي وهو غضبان او جايع او حاقن
لحر وجه عن الاعتدال والاعتدال واجب خصوصا لمن نوى الزهد ان مر قد عرضه من نفسه ان لا يعيد
ثوبه بين الناس فان صح له عرضه الباطن لم يضره ثوباه وان لم يصح له عرضه الباطن لم ينقصه بين الناس
بالعود فهذه سد يقاس عليها كل ما افعل من ميل الى معشوق ومبالغة في مال بعرض وغير
ذلك فان الطبع لا يبقى على حال ومرور الزمان يسهل على النفس قد يغرس الشجر كما قال الشاعر



● وزادني شغفا بالحب ان منعت ● احب شي الى الانسان ما منعا **فصل في تعليم الصبر وتسهيل**
الصعب اعلم انه انما يمكن استعمال الصبر من كان عينه ملاحظة لعاقبته فان يصبر عاما كما يصعد
عنه حاصر الحملة عند ما صبر لاجله فمحبته يهون عليه كل صعب وان المسافر في طلب الارباح لا
يرى هول الطريق والراكب في البحر لا يخطر على قلبه الغرق وانما يتامل ما يرجو من الربح فينبغي لطالب
الاخرة ان يقيس على هذه الاحوال ان كان موقنا بالوعد ومتى علمنا ان كثرة النعيم على قدر
قوة الصبر اليوم اثرنا الصبر ولو ان رجلا قيل له كل سوط تصبر به نعطيك مائة الف دينار لاحب
كثرة العدد في اسقاط العلة بزوال الالم عن قريب وحصول غاية الامل ومن ها هنا هان على الزهاد
ترك الدنيا لانهم نظروا الى ثمرة الصبر وعلى هذا ينبغي لمن نزلت به بلية ان ينظر قرب زوالها وقلة
لبثها وحلاوة ثمرتها وانه كلما ازدادت الشدة زاد الاجر وهذا الذي تلمحه سويد بن شعبة لما اضنى فقال
ما احب ان الله نقصني منه قلامة ظفر وقال عمر بن عبد العزيز اللهم لا تهون علي الموت فانه اخر ما يكفر به عن المسلم
فمتى نزلت بك شدة فصابرها وتلمح اجرها وقد هانت وان علت درجة تلمحت حكمة المبتلي بها وان ارتفع
علمك نظرت الى تصرف المالك في ملكه فلم تسو اعتراضا واي اعتراض لمملوك على مالك حكيم وقد كانوا ابدا الفوا
في الصبر حتى ان طاوسا كره انين المريض وما قال الامام احمد في مرضه حتى مات وكانوا يضيفون الى
الصبر عدم الشكوى الى الخلق فهذه احوال العلماء بالعواقب الموقنين بالاخرة ومن قاس قدر النعيم الموقنين
بالاضافة الى بقاء اهل الجنة في الجنة استقل ان لو قطع كل يوم مرة بالاضافة الى ما يرجو من ثواب دائم
عزيز فافهم ما اشرت اليه يهن عليك كل شي حتى الموت واعلم ان الصبر ثمرة العقل وهو اصل كل خير
لانه لولا الصبر ما اجتلب نفع ولا دفع ضر فلولا صبر الكريم عن المال ما سخي ولولا صبر العفيف عن الدنايا

لدل عرضه



لدل عرضه ولولا صبر الشجاع ما نال الغنيمة والمدح ولولا صبر الحليم ما حصلت فضيلة العفو ولولا
صبر المتعلم ما نال العلم ولولا صبر المتقي لوقع في الزلل فمن تامل عواقب الصبر هان الصبر عليه في كل امر
فصل وقد حكي لي حكاية عن ابي محمد البربهاري قال حدثني ابو اسحق الانصاري وكان من اهل الطاعة قد
جب نفسه حياء من الله تعالى لئلا يخطر بقلبه شهوة النكاح فعجبت من اصحاب البربهاري وهو من العلماء
هذا الكلام بمخرج المدح ولو صدر هذا من عامي جاهل كان قبيحا ومعلوم ان جب النفس معصية عظيمة
ومخالفة للسنة فقبح يستحق صاحبها النار وشهوة النكاح قد وضعها الخالق سبحانه وحث عليه
وامر به وهو سبب لكثرة المسبحين وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم فمقابلة ما وضع من ذلك بعدمه قبيح
فان الله تعالى شرف الرجل بهذا ورفعه على مقام الانوثية وقد اعطى الله عز وجل دون هذا فقال فليبتكن
اذان الانعام ثم ان الشهوة التي تخطر بالقلب لا تزول بالجب وانما الالة تعدم والشهوة في القلب على
حالها وما وجه القباحة في خطور شهوة النكاح بالقلب حتى يستحيي من ذلك وهل وضع ذلك
الا الله سبحانه ثم امر باعاذ تلك الشهوة بالنكاح وكان لو صنعه اباها بمعنى صحيح هو بقاء الخلق
وكثرة الموحدين فكيف يستحيي منه في هذا ثم هذه رهبانية محرمة في شرعنا فالعجب لمن يتشاغل بظواهر ولم
يدقق طبع معناه فيفهم اسراره على ان هذا الظاهر غير غامض ونحن نسال الله تعالى عز وجل السلامة من قلة العلم وسوء الفهم
فصل من اغلاط الناس واوهامهم القبيحة انهم يمدحون بما يوجب الذم فانهم اذا سمعوا عن السلاطين والولاة
بالعطاء المسرف من اموال المسلمين مدحوهم بالكرم واولئك الى الذم اقرب مثل ما يروى عن حماد الراوية انه قال بعث الي هشام
ابن عبد الملك خمسمائة دينار وراحلة فسرت عليها في اثنتي عشرة ليلة الى دمشق فدخلت عليه في دار قوراء مفروشة بالرخام وبين
كل رخامتين قضيب ذهب وسميت فاذا جاريتان لم ار مثلهما قط فقال اتدري فيما بعثت اليك قلت لا قال بعثت اليك

لست حطر الي لم ادر من قايله فقلت ما هو فقال • ودعا بالصبوح يوما فجاءت • قينة في يمينها ابريق
فقلت بقوله عدي بن زيد في قصيدة له فقال انشدنيها فانشدته فطرب ثم قال احسنت يا جارية اسقيه
فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي ثم قال اعده فاعدته فاستخفه الطرب حتى زاغ عن فرشه ثم قال للجارية الاخرى
اسقيه فسقتني فذهب ثلث اخر من عقلي ثم قال سل حاجتك فقلت احدى هاتين الجاريتين قال هما جميعا لك بما عليهما
وما لهما ثم قال للاولى اسقيه فسقتني شربة سقطت منها فلم اعقل حتى اصبحت والجاريتان عند راسي واذا عشرة
من الخدم مع كل واحد بدرة فقال احدهم ان امير المومنين يقرا عليك السلام ويقول خذ هذه فانتفع بها في
سفرك فاخذتها والجاريتين وعاودت اهلي قلت فانظر الى هذا التبذير القبيح واعطا هذا الذي لا يستحق من
اموال المسلمين على انشاد مثل هذا ولو كان ما اعطاه من مال نفسه كان تبذيرا وتفريطا فكيف وليس من ماله
فالعجب لمن يرى مثل هذا عن الملوك فيخرجه مخرج المدح والكرم وهو معدود في التبذير و
والاسراف وقد قال عز وجل وتثبيتا من انفسهم اي ينظرون اين يضعون اموالهم فاين
الفقرا وارباب الحلة عن هذه الاموال التي صرفت الى هذا الشخص نعوذ بالله من سوء الفهم
وما يزال الناس يمدحون الملوك والبرامكة بمثل هذا الحال واذا تاملت الحال وجدت الاموال قد
اخذت على غير وجهها وصرفت في غير حقها وخرجت عن نيات فاسدة من قصد المدح بالسخا
والطرمذة وغير ذلك • ونحن نسال الله عز وجل السلامة في مقاصدنا ونياتنا
وفهوما صحيحة نعلم ما يوجب المدح مما يوجب الذم والله الموفق • • •
تم الكتاب بحمد الله وعونه • ومنه وفضله والحمد لله على ذلك • وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وكان الفراغ منه يوم الاثنين لعله رابع عشر شهر محرم الحرام
١٣٣٣



